

بَيْنَ النّيرِ وَالنور



الطبعة الأولى

١٣٩٠ هـ . – ١٩٧٠ م .

دار الفكر   الدار السودانية



بين النير والنور



الطبعة الأولى

١٣٩٠ هـ. – ١٩٧٠ م.

دار الفكر — الدار السودانية

عبدالله الطيّب

بَيْنَ النِيرِ والنّور

الدار السودانية

الطبعة الأولى
١٣٩٠ هـ — ١٩٧٠ م.

بسم الله الرحمن الرحيم

معذرة الى القارىء والناشر

ذلك بأن من حقّهما عليّ أن أبيّن لهما بعض مذهبي في بعض ما عسى أن يجدا في هذا السّفر من اضطراب ربطٍ أو نوْعِ غموض.

أما بعــد

فانّ أوّل هذا الكتاب كان مذكرات أردتها لتكون في ذات نفسها عملاً أدبياً بين الخبر والأنس والمفاكهة ببعض الشعر . ثم بدا لي أن أُضمِّنَهُ معلومات مستفيضةعن تاريخ نيجريا وأحوال كبريات قبائلها وبعض مظاهر الطبيعة فيها . ولما بلغت من كل ذلك مبلغاً لم أرض ما صنعت ، فأعرضت عنه إلى حين .

ثم إني راجعت النظر فيما كنت كتبت هذا الصيف المنصرم ، فوجدت أنّ أكثر ما ضمنت من شعر قد نشر في ديوان « بانات رامة » ولعل موضعه مجتمعاً في الديوان أن يكون حقّ مُغْنٍ عن تضمينه مُفَرّقاً بين المُذكّرات . ثم وجدت أن جانب المعلومات فيه ثِقَلٌ وجفاف وكدٌّ لا يناسب روح الصفحات الاوليات التي كان في النية بدءاً ان يتلشب أمر الكتاب جميعه على أسلوبها . ثم كان قد اجتمع عندي شعر جديد منه ما ذكرت فيه نيجريا وأنا بالسودان فكان ذلك عندي كأنه أولى بالتضمين لو حسن موقع التضمين مما قد تم نشره بالفعل في « بانات رامة » .

ووجدتُ نفسي أنقل من الصفحة الأولى . وإذا بي شيئاً فشيئاً أسلك مسلكاً بين الاختصار مما سبق والتسجيل للخاطر والفكرة والملاحظة والالتفاتة الجديدة . وإذا بالمادة التي كنت كتبتها جميعها تصير لي مجرد مرجعٍ أستفيد به . وصحّ العزم على السفر الذي هو الآن بين يدي القارىء . وفرغت من فصوله الاربعة عشر في زمن وجيز . ثم أطلعت على ذلك من الزملاء والاخوان . وكانت كتابتيه كلها بين أغسطس وآخر اكتوبر بين الخرطوم والقاهرة عدا الاهداء والخاتمة والمقدمة او الذيل وتاريخ الفراغ من ذلك مذكور في موضعه ان شاء الله .

وقد اقترح عليّ بعض من أطلعتهم على ما كَتَبْتُ أن أجعل له مفتاحاً ينكشف معه معظم الغموض . ورأى بعضهم أن أجعل في الهوامش شروحاً لما في المتن من إشارات خفية شتى بعضها يذكر كتباً ونصوصاً وبعضها يتعرض إلى ذكر عادات سودانية وأشخاص من التاريخ والقصص مما يلزم تفسير أشياء منه . وآثر بعضهم أن أدع متن الكتاب كما هو خشية أن يكون في أيما شرح للاصل تشويش لاطاره الفني .

ولقد كادت تحسن عندي فكرة المفتاح أول الأمر ثم نفرت عنها النفس لما كان سيصحبها من المنهج التعليمي الجاف . وقد ذكر لي المفتاح الذي صنعه جيمس جويس لكتابه يوليسيس، وما اطلعت عليه وانما اطلعت منذ دهر بعيد على بعض صحائف من يوليسيس راعتني ألمعية جمل وعبارات منها وأحسست إزاء بعضهن وحشة سآمة لا أزال أسمع لها جَلَبَةً . وسمعت أسطوانة تضمنت من « أنا ليفِيّا بلُورابيل » فأعجبني جرس الصوت والاداء وقرأت الفقرة الأولى فلم أفهم شيئاً .

واستقر الرأي آخر الأمر على أن أستعرض فصول الكتاب وأتناول بعض العبارات والاشارات وهلم جرا من كل فصل وأشرحها أو أعلق عليها أو أجعلها سبيلا إلى قصة أو خبر مما عسى أن يكون معيناً على إزالة بعض غوامض

المتن ، وآثرت أن أرقم الشروح والتعليقات داخل كل فصل ، هكذا : ١ ، ٢ ، ٣ الخ . ولكن لم أرقم المواضــع التي اليها الاشارة في نفس الفصل . أولا : نفوراً من الالتزام بمذهب الحواشي إذ لو قد فعلت ذلك لأوشك أن يلزمني وضع كل شرح أو تعليق في الهامش تحت الرقم الذي يرمز اليه وهو مرقوم به في المتن . ثانياً : لأن الشروح وحدها كتبت بروح واحد ونفس واحد ففي تفريقها على هوامش الصفحات ما يقتل وحدتها ، وفي جمعها معاً عند ذيل الكتاب عناءٌ مدرسي أو كالمدرسي للقارىء الذي قد يضيق صدره عن مثل هذا المنهج . وثالثاً: رأيت ان المراد هو ضرب أمثلة من التعليق والشرح للقارىء لا استقصاء كل ما ينبغي شرحه وكشف غامضه . فكان من حق ذلك أن يُعْرَض له أمثلة معدودة تشير إلى جملة الفصل كأنها نماذج لا غير .

وسبيل القارىء إن شاء قرأ « المقدمة أو الذيل » أولا ، ثم عاد إلى المواضع فيها التي تشكل عليه من كل فصل وقد تغنيه قراءة الأولى عن كثير من ذلك . وإن شاء رجع إلى الشرح أثناء قراءته بعد أن يكون بدأ من الفصل الأول . وأول « المقدمة أو الذيل » الذي فيه البسملة والحمدلة والصلاة والاستشفاع والاسجاع من بعد هو مقدمة صريحة وما بعده هو الذي ان شئت عددته مقدمة وإن شئت عددته ذيلاً ولو كنا قلنا « المقدمة والذيل » بغرض النص على هذا المعنى لصار ما بعد المقدمة ذيلاً لا غير واستعمال (أو) يجعل من الممكن اعتباره ذيلا واعتباره استمراراً للمقدمة معاً ، إذ (أو) تفيد العطف كما تفيد التخيير في ما ذكروا،وبذلك فسر بعضهم قوله تعالى « وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون » .

واعلم أصلحك الله أن بعض غموض هذا السفر منشؤه من تقطيع مجرى الكلام . مثلا في الفصل التاسع «مسَّ يدها في الحديقة وانحدر بها الطالب في الحنطور» أوله من قصة الاحمر والاسود لاستاندال ، وآخره من قصة مدام بوفاري لفلوبير . ومثلا — في الفصل التاسع أيضاً — : قال المتعمقون من رهبان

لنصارى . مقول القول « ان الشيوعية أقل علينا خطراً من الاسلام » واعترض الكلامين بقوله تعالى : « وكثير منهم فاسقون » والتعليق : فهم مع لمشركين الخ أي لا يدخلون في مدلول النصارى الذين هم أقرب مـــودة للذين آمنوا .

ويداخل مثل هذا التقطيع أنواع من تداعي المعاني بعضها ظاهر كما في أول الفصل التاسع « فارهة » قراءة أبي عمرو « فرهين » وبعضها فيه خفاء على رجات في ذلك .. مثلا فكرة « هل الأثم الباطن الخ » متصلة بفكرة انشراح لصدر للاسلام وبعض الاشارات لسورة الانعام وفيها قوله تعالى « وذروا ظاهر الإثم وباطنه » .

ومثلا « وباع له العرب دورهم عند ساحل البرتغال » إلى « نعالهم الشعر » (كل هذه الامثلة من الفصل التاسع وهو أكثر الأبواب غموضاً فيما ذكر لي) كل ذلك متداخل فيه إشارات إلى تاريخ الاستعمار والصهيونية وفلسطين وأواخر صحيح مسلم (باب الفتن والاحداث) وبعض الخواطر .

وقد يسلك تداعي المعاني مسلكاً بين الوعي واللاوعي ويخالط ذلك خواطر من الراوي الذي جرده المؤلف من نفسه من غير تصريح لفظي بذلك ، ومن لمؤلف نفسه وتجارب بعضها ذاتي وبعضها مقروء وبعضها محكي ، ومشاهدات ملاحظات وأفكار وشعر ونسيب وأدب واقتباس ومدارسة في الشعر والتراث كل ذلك معاً كما يقع في تأملات الذهن الواحد ومجالس الجماعة وهلم جرا .

هذا وبعض ما جاء من النسيب في سياق حوار أو سياق كالحوار فهو على لسان ما سيق أو من سيق على لسانه صرحنا بذلك أو لم تفعل . ومن هذا ما هو ن شاء الله مسوق للموعظة الحسنة . وقد أنشد سيدنا حسان رضي الله عنه أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بُنيتْ علَى قَطَنٍ أجَمَّ كأنّهُ   فُضُلاً إذا قعدَتْ مَداكُ رُخامِ

وهذا كما ترى . وأنشد رضي الله عنه :

هَمُّها العِطْرُ والفِراش ويَعْلُو ها لُجَيْنٌ ولؤلؤ منظوم

وهو في قصائد أُحُد مما صح له أن شاء الله .

وأنشد ابنُ عباس رضي الله عنهما :

وَهُـن يَمْشِين بنا هميسا إن تَصْدُق الطَيْرُ (كذا) لميسا

والبيت معروف

وأنشد الإمام الطبري في التفسير (سورة الفُرْقان) :

لا يُقْنِعُ الجاريَة الخضاب

ولا الوشاحان ولا الجِلْباب

إلى قوله « لُعاب » والأبيات معروفة .

ويلحق بهذا الباب ممّا جاء بلغتنا الدّارجة ما رَوَيْنا عن السَّراةالعُدُول من شعر الشّيخ قَدُّورَة رَحِمة الله بقاف ودال مشددة مضمومة بعدها واو وراء مهملة وتاء تأنيث (وهذا اسم تمليح لعبد القادر) من أهل الجزيرة ، المادح المقبول عند الرّسول عليه الصلاة والسلام بثبوت الرُؤَى المناميّة الصادقة في هذا المعنى ، من قصيدة نبوية له بناها على حروف المعجم فقال في باب الطاء يذكر أبا لَهَب وامرأته حَمّالة الحطب وذكر أنها عوراء وجَعَل أبا لَهَب أبْ جَهَلْ ، كما هو في اللغة الدارجة :

أَبْ جَهَلْ ومَرَتُه القَمْطَا – أي العوراء . أَلْ فِي النَّارْ مِنْعَمْطَةْ أي مَغْمُوسة . وكُلْ مَا يَكْوُوها تَاخُدْ لَهَا ضَرْطَةْ – وهذا موضع الشاهد كما ترى .

وهذا نهج عند أهل الفضل الاوائل لا نستنكف ان نقتدي بهم فيه إذ هم

كانوا أعلم بما فيه صلاح القلوب وجلاء الرَّان[1] عنها . وقد يقاس على كل ذلك مشابهُ مما يقع في لغات العصر على سبيل الاقتباس أو النادرة أو التعريض أو النقد الخفي أو الصريح لأساليب الأدب المكشوف وهذا مما عسى أن يدخل في باب الموعظة الحسنة كما تقدم إن شاء الله.والله أعلم وأحكم وهو المستعان .

هذا ويحسن التنبيه ههنا إلى أن أكثر الشعر الذي ليس بترجمة ،ديوان لم يُنْشَر بَعْدُ نتريّث به أن يُعتّقه الزمن شيئاً كما صنعنا بيانات رامَةَ وأصداء النيل من قبل وكما ينبغي أن يَصْنع الشاعر . وكان هذا التعتيقُ في الدهر القديم تتولى شأنه الروايةُ والرواةُ فسُبْحان مُقَلِّب الأحوال . وما كان ترجمةً فقد نظم أثناء التأليف وأشياءُ أُخَر ممّا ليس بتَرْجَمة كذلك ، فالتحم ما نُظِم هكذا مع أسلوب الكتاب إذ هو جزء منه لا يتجزّأ . وكذلك ما تضمنه الكتاب من تضمين ما ضمنا من الديوان الذي ذكرنا وغيره ممّا جاء منساقاً مع التأليف فهو أيضاً جزء منه ان شاء الله . هذا وقد كنت أعددت ترجمات منثورة من الشعر الانجليزي في زمان مضى ثم لم أرم نشرها لما كنت أحسه من أن ترجمة الشعر بالنثر تذهب برونقه . فلما ترجمت بعض شِعْر كيتس وشكسبير مع استرسال النفس أثناء التأليف رَجَعْت إليها وإلى الأصول الانجليزية ولم أُزايِل الطرس الذي كنت أكتب فيه إلى غيره أو أُطِلْ المكث والريث عند العبارات . فاستقام ما صنعت من هذا مع النَّفَسِ الذي كان جرى عليه القلم ان شاء الله. هذا واعلم أنني ما اعتمدت محاكاة جويس وفرجينا وُلْف ومذهب « جدول اللاوعي » فما الذي أكلت من قراءة ذلك او أعجبت منه بما أرى أنه يؤثر حقّاً علي . وأراني تأثرت كثيراً بمقالات «لام» *Essays of Elia* وما فيها من « علاثيات » — ان صحت هذه العبارة مجازاً — وبأبي العلاء نفسه رَحِمهُ الله في الغفران والملائكة والدرعيات وبألف ليلة والقصص الشعبية

(١) الران والرين: صدأ يركب القلب .

وبمذهب إدوارد لير في منظومات الهُرّاء التي كان يخترع فيها بعض الالفاظ اختراعاً مما ليس له وجود في القاموس نحو *Runcible* ولم أخل من نظر إلى لويس كارول ولكن أكثر أثره علي كان مما قرأته في الصبا مترجماً من «أليس في بلاد الاعاجيب» إذ قد نفرت من أكثرها كبيراً . ولو كانا — صديقاي عبد الرحيم وأحمد رحمهما الله وكلاهما مذكور في الكتاب — على قيد الحياة لشهدا بصحة هذا الذي أذكر وقد ذكرت بعضه في مقدمة أصداء النيل طبعة الدار السودانية فليرجع اليه .

هذا ومن أعظم ما تأثرت به طريقة تأليف العرب القدماء في النتف والاخبار وما اليها . من ذلك مَسْرُورُو الجاحظ وقصة ابي العبر في الأغاني ونحو :

تمر وخبز ورمّــــان ومغفــــرة قتلتمو الشيخ عثمان بن عفانا

وفي معجم الادباء لياقوت أمثلة جيدة من هذا الضرب في الجزئين الخامس عشر والسادس عند ترجمتي التوحيــــدي والصاحب . كالخبر الذي يقول فيه الصاحب وادخلتك في خزائنك جميعاً — اخذه ياقوت من مثالب الوزيرين وهذا قد نشر قريباً وفيه من هذا المذهب طرائف ، وكالخبر الذي اخترعه التوحيدي على الأرجح رواية عن القاضي الذي ذكر ينسبه إلى ابي الجعد الأنباري الفقيه شيخ الشونيزية الخ (١٥ : ٤٤ — ٤٧ ، ياقوت — طبع مصر) وفيه نحو « وجهه وجه من رجع من القبر بعد غد ، والرجوع من القبر خير من الرجوع إلى القبر ، لعن الله القبر ، لا خبّاز ولا بزّاز ولا رزّاز ولا كوّاز . إنّا لله وإنا اليه راجعون عن قريب ان شاء الله وما تدري نفس ماذا تكسب غداً ، وما تدري نفس بأي أرض تموت » وقال جلّ شأنه « ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله وهو على جمعهم إذا يشاء قدير ،ومن الجبال جدد بيض وحمر» ومنها في آخرها : «ولا يسلم في هذه الدار إلا من عصر نفسه عصرة ينشق منها فيموت كأنه شهيد وهذا صعب لا يكون إلا بتوفيق الله وبعض خذلانه الغريب ، على الله

توكلنا الخ » — قوله لاكواز أحسبه يشير فيه إلى المكوّزين الذين ذكر ابو دلف الخزرجي في رائيته حيث قال :

ومن دروز أو حزّ أو كوّز بالدّغر

(يتيمة الدهر ، الجزء الثالث طبعة مصر ١٣٦٦ ، ص ٣٥٦ — راجع شرح الثعالبي . الدغر المقاسمة فيما ذكر الثعالبي) .

وقد زعم المحشي على ياقوت عن القطعة التي أشرنا اليها من روايةالتوحيدي أنها « كلام لا تحاول أن تفهمه وإلا أنت في عناء وقد أخبرت المطبعة ألا تضبطه الخ » (هامش ١ / ٤٧ — ١٥) ولولا ان يطول الاستطراد لاوردت الكلمة ههنا مع ما أرجح من الضبط وبعض التأويل إذ ليس في ذلك فيما أرى من العسر الذي زعم والله تعالى أعلم .

هذا واعلم أن أكثر نماذج القصة المعاصرة في لغتنا ضعيفة للغاية وذلك انها تروم تقليد القصة الاوربية تقليداً كاملاً بدعوى ان العصر واحد وأن العصرية والمعاصرة تقتضي ان توجد في العربية قصة كالذي مثلا يسمى في الانجليزية نوفل *Novel* وشورت ستوري *Short Story* ولا بأس بالنظر والأخذ والاقتباس متى كان يعتمد على أصل ذي جذور . ولكن مجرد التقليد قبيح .

والخبر والرواية وحيوية الاخذ والعطاء الذي يكون في الاحاديث كلّ أولئك أساس البيان العربي وتراث الحضارة الاسلامية . والجد الذي عند المحدثين توجد مشابه منه عند رواة الشعر والاخبار . ثم مذاهب هؤلاء نظر اليها الادب الشعبي . حتى قصص ألف ليلة وليلة الطوال كرهت مظهر التطويل فجعلت ذلك ليالي أسمار كلٌ منها خبَرٌ تقصه شهرزاد المليحة : بلغني أيها الملك السعيد . وقد أثرت الف ليلة في الأدب الغربي بلا ريب واليها أو إلى مشابه منها نظر بوكاشيو . وإلى بوكاشيو نظر شوسر . وإلى شوسر نظر شكسبير واليهما نظر فيلدنج وهلم جرّا حتى نصل إلى جين اوستن

وبرونتي وديكنز وأمثال ذلك ، هذا في الأدب الانجليزي ، وليس ههنا مجال التفصيل إذ قد أفردنا لكل ذلك كتاباً آخر ان شاء الله .

واعلم أصلحك الله أن من أرب هذا الكتاب تنبيه القارىء أصلحه الله إلى أهمية أسلوب الخبر وضرورة الرجعة إلى أصولنا القديمة في علوم العربية المختلفة. وإننا مهما نعرض عنها فان روحها في أعماقنا يحول بيننا وبين أن نكفر بها كل الكفر ولئن فعلنا فان ذلك ليس بذي غناء ، إذ تنقصه الاصالة ، ودعوى بعضنا الاعجاب بأمثلة مما نقول لانفسنا أنه أدبنا القصصي لا يمكن أن تَطْمِس هذه الحقيقة أو تخفيها .

والمحاولات ، وان يَبْدُ من بعضهن بريق حسن لن تجدي كل الجدوى في هذا الباب إذ القشور قلَّ ان تُغْنِي عن اللباب . وطريق المعرفة والخلاص شاقٌ والحزم التوجه اليه ثم سلوكه ان شاء الله .

هذا ولا بد قبل خاتمة هذه المعذرة من كلمة عن ابن بطوطة إذ هذا السِّفْر لم يخل من أثره ولا سيما في الفصل الذي كتبه عن السودان الغربي . وقد قدمت للقارىء أني إنما أردت هذا الكتاب في بدئه ليكون مذكرات عن نيجريا . ولابن بطوطة طلاوة أسلوب وحلاوة وحيوية وانشراح نفس . ومذهب الحكاية والخبر هو عماد ما كتب . وقد يحسن أن ننبه ههنا إلى أنه رحمه الله ربما خلط أنباء الحقائق بزخرف الخيال ، من ذلك قوله في معرض حديثه عن غرب إفريقية أن ملك مليّ أعطى بعض زواره من أكلة لحوم البشر جاريةً جعلها في ضيافتهم فأكلوها وجاءوا من الغد شاكرين . فهذا لا أشك أن ابن بطوطة قد ظن رحمه الله أنه شاهده . ولعله كان يروز ما كان سيكتب على موائد الفضلاء يُطْرِفُهم بذلك . وما أرتاب انه كان محدثاً بارعاً . وعسى أن يكون بعض ما أخطأ من جودة الطعام أوّلَ مَقْدَمِه مما أحفظه شيئاً على

متَنْسا سليمان . وقد جاء من ذكر ابن بطوطة في المتن فَيُرْجَعُ إلى ذلك إن شاء الله .

وآمل بعد أن يقبل كلا القارىء والناشر حفظهما الله هذا الذي اعتذرت به والسلام .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما .

عبدالله الطيب

إهداء

ذكرَ المليحةَ فاشتهاها العاشقُ
وهَا فؤادك يابنَ بيرقَ وامِقُ

هل تعلمنَّ الكانميةُ أنني
قد زُرْتُ كانمَ والجمالُ حدائق(١)

ولقد حسوتُ سُلافةً مسكيّةً
ولقد سبحتُ وذاك لهوٌ رائق

ولقد رأيتُ من الزمان عجائباً
والكانميةُ وُدُّها ليَ صادق

ياليتَ شعري حينما اغتربتْ بنا
نُوَبُ الزمانِ تعود ثم تُعانق

هذا الربيعُ رأيتُهُ والشمسُ قد
أحببتُ منها الدفءَ وهو غُرانقُ

ولقد بلوتُ من الحسانِ مودةً
خيرَ البلاء وإنهنَّ شقائق

المؤلف : عبدالله الطيب

(١) كانم لقب بلاد البرنو وينسب اليها الشيخ الكانمي الشهير وكان على عهد السلطان محمد بلو اوائل القرن الماضي ا هـ.

المقدمة او الذيل

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين وسبحانه وتعالى خلق ورزق ، فنحن له شاكرون ، وَمَنْ شَكَرَ فإنّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإنَّ رَبّي غَنيٌّ كَرِيمٌ وصلى الله على سيدنا محمد ، أفضل خلقه وخاتم رسله وأعطاه الوسيلة والفضيلة وبعثه مقاماً محموداً الذي وعده ، وجعلنا بشفاعته من الناجين ، وسلم عليه وعلى آله وصحبه تسليما . وبعد فهذا كتاب النّيِر والنور ، نصنعه — (فقيل لنا يحتاج إلى تفسير) — في ظلمات الديجور . والتفسير تضيع معه الفوائد لأنه يدخل بين القارىء والمتابعة ويحيله على أنواع من التردد والمراجعة . وعدمه قد ينغلق معه الفسيح ويعجم المعنى الفصيح . فاخترنا طريقاً وسطاً — ان نقدم فصول الكتاب فصلاً فصلا . ونعرض لبعض ما عسى أن يكون مشكلا . فنشرح ونُحَشّي ، وقد نزخرف ونُوَشّي ، وهذا حين نبدأ باذن الله تعالى ومنه التوفيق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(١)

١ — محمد بلو ، هو السلطان محمد بلو بن الشيخ عثمان بن فودي ، وكان ساعد أبيه الأيمن في الجهاد الذي شنه هو ونصراؤه من الفلانيين وقبائل هَوْسا على أمراء غوبير وغيرها من إقليم شمال نيجريا بغرض الاصلاح الديني ونشر

الإسلام أواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر . وهو صاحب كتاب « إنفاق الميسور في أخبار بلاد التكرور » — وهو كتاب نفيس فضلا وعلماً وشعراً ونثراً دال على سعة تصرف في تدبير الملك والإلمام بأحوال شعوب غرب إفريقية وجودة الملكة وسلامة الذوق في العربية .

٢ — مدينة زَارْيَا بنيجريا الشمالية كانت من عواصم الأمارات القديمة تعرف بَزَزَّوْ . وكانت أولى إمارات الهوسا توسعاً . وكان ذلك فيما يذكرون على زمان ملكتها السلطانة آمنة . وفيها الآن جامعة أحمدو بلو . وقد كان للتبشير المسيحي بها بعض النشاط . ومن جرائه تنصر بعض الهوسا فكوّنوا بذلك أقلية صغيرة جداً ولكنها قوية النفوذ الآن على سبيل المثال الجنرال يَعْقُوبُو غَلَوانُ حاكم نيجريا الأول ، والدكتور إزَايَا أَوْدُو ، مدير جامعة أحمدو بلو .

٣ — بحيرة بَيْكَالَ — بحيرة في سيبريا بعيدة الغور ، عذبة الماء وهي وبحيرات النيل وبحيرات أمريكا الخمس يتنازَعْنَ منزلةَ أيّهن أكبر بحيرة في العالم . وبحر الخزر أكبر بحيرات العالم إلا أنه ماؤه ملح . والبحيرات الخمس إن عُدِدْنَ بحيرة واحدةً مثل رماح المهلب بن أبي صفرة ، فهن أكبر بحيرة عذبة في العالم وإن عددن خمساً فسواهن أكبر ، ولعل بحيرة النيل الكبرى أن تكون أكبر بحيرات العالم رقعة ماء — أعني بحيراته العذبة ، وبيكال أبعدهن غوراً كما تقدم ، وربك تعالى أعلم .

٤ — كَنَو — قال الشيخ جرازم من شعراء غرب إفريقية الكبار :

إني وددتُ لو انّي ساكنٌ بكَنَو ... لمّا وجدتُ كراماً في كَنَو سكنوا

وهي كبرى مدن نيجريا الشمالية . وكانت إمارة قوية غنية في الدهر القديم ومن حواضر إفريقية الغربية ولا زالت من كبريات مدن التجارة وأكثر تجارتها الفول السوداني . ومنها الذرة ومحصولات كثيرة أخر وسوق للجلود وصنائع

صغيرة شتى . ولها سور حول الجزء القديم منها ، الذي يقولون له « البرني » بكسر الباء وسكون الراء ثم نون بعدها ياء مثناة ، أي المدينة بلغة هوسا . وطول هذا السور نحو من تسعة عشر ميلا وهو يحيط بمبانيها وبأرض زراعية واسعة بمدهن كان يعتمد عليها أهل كنو في أزمنة الحصار . وخارج هذا السور إضافات حديثة العهد ، أهمها موضع يقال له « سابان غري » ، أي القرية الجديدة . وكان أكثر سكانها من قبيلة الأيبو ونصارى جنوب نيجريا . ومدينة كنو قديمة الحضارة وإحساس أهلها بذلك قوي وفي أمثال الهوسا : « غَرِي بَا كَنُو بَا ، دَاجِنْ الله » أي كل قرية غير كنو خلاءُ الله . ولكَنُو نهران أحدهما صغير دائم الجريان يبدأ من الغرب حيث تلال « كَالا » ويتجه إلى الشرق مجتازاً « بسَابَانْ غَرِي » ويقال له « جَكَرَا » وتزرع عند شاطئيه أصناف البقول ، وآخر كبير ينقطع جريه على ظاهر الأرض في موسم الجفاف يقال له « شَلَوا » بفتح الشين واللام ، ومنه شربها . ولسور المدينة أبواب لهن أسماء ويقال للباب بلغة الهوسا « كَوْفَرْ » بفتح الفاء وسكون الراء ، ومن أهم أبوابها « كَوْفَرْ فَاإِسَا » و « كَوْفَرْ نَصَرَاوَة » و « كَوْفَرْ بَامبُو » وخارج هذا بنيت كلية عبدالله بايرو وهي كلية الدراسات العربية الاسلامية من جامعة أحمدو بلو . وعسى أن تصير جامعة قائمة بنفسها في زمان قريب إن شاء الله تعالى .

٥ — وادي سَيْدْنا تنطق بإمالة فتحة السين وإخفاء سكون الياء فلاتشددها مكسورة يا هذا والدال ساكنة . وفي اللهجة السودانية تقول لشيخك يا سَيْدْنا وهكذا يقول تلاميذ القرآن — وهم الحيران — لشيخهم في الخلوة . وأنشدوا :

سَيْدْنَـا نِحْنَ قَرَيْنَـا
والحَصْحَاص قدّد كرعَيْنَا
فكة ريقْنا حفّت وجفّت
والمُصْران قَبَّ بِتْلَفّتْ

يا شيخنا لقد قرأنا وقد مشينا على الحصى حتى قدد أرجلنا والإفطار الذي نفلك به ريقنا قد حف وجف لانتظاره لنا وقد جف الإدام الذي عليه — وكأنهم إنما كانوا يأكلون كِسْرةً بماء ساخن وزيت وبصل مقلي وهذا يقال له كُشْنَةٌ أو بماء وملح أو نحو ذلك . والمصران من الامعاء . قَنَّب بتشديد النون إمّا أصلها من جَنَّب بجيم ونون مشددة (فعل ماض رباعي مضعف) أو من قنَّبت الشمس أي انحدرت للمغيب (ذكر ذلك قطرب في كتاب الأزمنة) — وفي اللهجة السودانية قنّب أي قعد . وهنا بمعنى صَارَ وتلَفُّتُ المصران أشد الجوع .

ووادي سيدنا موضع شمالي أم درمان عنده مطار وكانت به مدرسة ثانوية مشهورة باسمه .

٦ — « دواكن توفا » — قرية في جوار مدينة كنو في إقليم إمارتها تنعرج إليها من طريقك إلى « دَوْرَا » و « كتسنا » ويحكمها الحاج مُحَمَّدُو بلُّو من وجهاء سادات مدينة كنو ، يلقب « مقاماً كنو » . وكان وزير الاشغال في وزارة السردونة الأولى ، قبيل الاستقلال عهد الحكم الذاتي ، وهو من رجالات الفلانيين ، وكان صديقاً حميماً للحاج أبي بكر تَفَاوة بليوا رحمه الله .

٧ — الحاج محمدو ، كان وزير إقليم البرنو وهو الإقليم الذي كان يعرف في التاريخ الماضي بمملكة كَانِم . وكان الحاج محمّدو من العلماء الفضلاء وتولى منصب أول ضابط نيجري للحج بمدينة الخرطوم ثم سَفَر لبلاده لدى السودان ثم بمصر — رحمه الله رحمةً واسعة .

٨ — أكْرا . عاصمة غانة وهي على البحر المحيط .

٩ — فُوْرتْ لاَمِي : عاصمة جمهورية شادْ ، أسسها الفرنسيون ، وهي منسوبة إلى « لاَمي » القائد الفرنسي ، وقتل في حربه مع الأمير رابح الزبير .

وهذا كان قد أسس مملكة ببلاد كانم وكانت عاصمته مدينة « ديكوا » — وهي الآن في بلاد برنو .

١٠ — رابح الزبير ، من رجالات السودان ، غادر بحر الغزال قبيل مقتل سليمان بن الزبير وكان نصحه ألا ينخدع بجسي وغوردون ومكائدهما وفرّ إلى بلاد البرنو وكان له بها تاريخ . رحمه الله رحمة واسعة .

١١ — « ولاحت بروق » الأبيات — من شعر المؤلف ، نشر في الطبعة الثانية من « نافذة القطار » وهو في « بانات رامة » أيضاً وكل ما ليس من شعر المؤلف في هذا السِّفر فهو إما بين أقواس أو علامات تنصيص وإما ينسب إلى قائله إلا أن يكون قطعة من بيت أو يقع سهو أو مشهوراً لا يحتاج إلى تبيين نسبته .

والكمينة هي أتون الآجر أي الطوب الأحمر ، ولها فتحات هي عيونها يوضع فيها الحطب حين الايقاد على الطوب الاخضر لكيما يصير أحمر بالاحتراق . ومنظر الحطب حين يشتد احتراقه ويصير كَوْنٌ فيه شيئاً بين البنفسج والزرقة والحمرة وما شئت من ألوان جهنم ، أمر جد رهيب .

(٢)

١ — الخُمْرَة : بضم الخاء نوع من العطر يصنعه أهل السودان من اخلاط ضروب ، جيد رفيع للغاية . وانظر الدلْكَة فيما يأتي بعد .

٢ — السُكْسُكة بضم السين وسكون الكاف . هي الخرزة . وقد كان لأهل السودان بالخرز الجيد ولع . وبفتح السين ضرب من الرقص فيه مجانة عند أهل الوقار . والسكاسك جمع سُكْسُكَة بالضم وإن شئت جمعت التي بالفتح كذلك تعني أنواعاً من السَكْسَكَة التي هي الرقص . والسكاسك حي من اليمن يذكرونه في الأدب القديم . والسوميت بضمة مشبعة فيها شيء من الفتح

وميم مكسورة مشبعة وتاء ساكنة ضرب من حجر كريم تصنع منه أصناف نادرة من الخرز وله ألوان ذات ضياء وقد تشبه الجارية الحسنة بالسُكسكة وهلم جرا .

٣ ــ ذات الخمار اعوان . من المثل إنَّ الْعَوَان لا تُعَلَّمُ الْخِمْرَةَ بكسر الخاء أي الاختمار أي وضع القناع على الوجه .

٤ ــ الشّطْبة المعتدلة القامة .

٥ ــ ناولتك الليمون . الليمون عندنا غير البرتقال وهو زاكي الرائحة ويقال له البانزهير في بعض بلاد الشرق ، حسن الحموضة ، يصنع منه الشراب الصيفي البارد الجيد المنعش ويمصه لاعبو الكرة فيطفيء العطش وتُكسر به شوكة السموم .

٦ ــ يافاتني الخ ــ فيه نظر إلى نشيد الانشاد .

٧ ــ رسحاء وزلاء كل ذلك بمعنى وهي التي لا كفل لها أي لا عجيزة لها .

٨ ــ الحِر بكسر الحاء والحرير أي الزنا والحرير .

٩ ــ عَمْرة . مدحها ابن الخطيم الشاعر وهي بنت رواحة شقيقة سيدنا عبدالله بن رواحة رضي الله عنه ، وأمُّ النُّعْمَانِ بْنِ البشير وسليلتها عَمْرَةُ بنت النعمان كانت زوجة المختار الثقفي ولم تتبرأ منه وعلى ذلك قتلها الزبيريون فقال ابن أبي ربيعة :

كُتِبَ الْقَتْلُ والْقِتَالُ عَلَيْنا وعَلى الْغَانِيَاتِ جَرُّ الذيول

١٠ ــ الميساني نسبة إلى ميسان أي الحرير والبيت لأبي دؤاد الأيادي ، جاهلي

١١ ــ المستر سكوت ، جي ، سي ، كان ناظر كلّية غوردون ومن كبار رجالات الدولة القائمين بأمر التعليم أخريات الحكم الثُّنائي ، وكان العقل المفكر وراء كثير من تدبير المستر غريفث الذي كان عميد بخت الرضا . وله ألف

كتاب الاطفال وذكروا أنه قال فيه : « الْجَمَلُ جَمَلٌ أمِّ الْحَسَنْ ، لاَ قَيْدٌ ولا رَسَنْ » فنصحه أحد المشايخ الفضلاء بحذف ذلك . وقد جسر المستر سكوت فدرس نظرية داروين بالمدرسة الثانوية ليوقع في نفوس النَّشْء الشكَّ في دينهم أو ليعلمهم حرية الفكر فالله أعلم أي ذلك كان ، إنه عليم بذات الصدور .

١٢ — حسان بن النعمان ، من ولاة بني أمية ، هو الذي دوّخ إفريقية بعد ان كان أمرها مضطرباً بثورة البربر على الولاة .

١٣ — ازبكستان ، هذا هو الاسم المعاصر لبلاد ما وراء النهر وكانت من حسان بلاد الاسلام في الدهر السالف ، وهي الآن من ولايات الاتحاد السوفيتي .

١٤ — الوَدَع مفرده ودَعة من محار البحر . يستعمل في الزينة فتجعله الفتاة قلادة تنوطه بذؤابة صُدْغها ، ويقال له الرَّخيمِيْ وتضرب به العجائز لمعرفة المستقبل ، ومن ضوارب الودع بارعات للنساء فيهن اعتقاد عظيم . والودعات اللاتي يضرب بهن سبع ، ومن هيئة وقوعهن تستنبط الضاربة ما تقدر عليه . وهذا نوع من الرمل كما لا يخفى . وكان الوَدْعُ نَقْداً يُتَعاملُ به في بلاد نيجريا . فلذلك كان يقال للنقود عندهم « وَدْعِي » يجعلون العين كالهمزة . قال الآخر :

ولو سُئِلَ النّاسُ التُّرَابَ لأوْشَكوا   إذا قيلَ هَاتوا أن يَضَنُّوا ويَبْخلوا

١٥ — قال السيد الختم ، هو السيد محمد عثمان المرغني الكبير ، وله مولد نبوي تقرأه الختمية ليلتي الاثنين والجمعة . وقسم الدعاء في آخره فيه الاستعاذة من الأمراض المُنَفِّرة وكل فضيحة صَوْليَّة — وقد التزم السيد محمد عثمان رضي الله عنه في هذا المولد سجعتين إحداهما هاء بعد ياء والثانية نون بعد ألف . وعند دعاء الاستعاذة يُكفىء الداعون أيديهم .

١٦ ــ الوضاح ، هو وضاح اليمن وزعموا له قصة عشق مع أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان وانظر الأغاني .

١٧ ــ العنقريب ، سرير ذو أرجل أربع منسوج بالحبال يسهل تحريكه ويقال للدب الأكبر ، النجم الذي في السماء ، العنقريب والنجوم اللاتي وراءه بنات نعش .

١٨ ــ خلص إلى زوجة الرجل أسرع مما ينبغي ، إشارة إلى قصة ستاندال الأحمر والأسود » .

١٩ ــ الدكتور أحمد الطيب أحمد رحمه الله ، كان من الافذاذ ، توفي سنة ١٩٦٢ رحمه الله رحمة واسعة .

٢٠ ــ تقرأ في مكتبة المتحف ، هو المتحف البريطاني بلندن .

٢١ ــ ثانْشرْ كتاب في اللغة العربية للمبتدئين حسن ، ومن أمثلته ، عبنا بنات القاضي لامعتان .

٢٢ ــ بُنيتْ على قَطَنٍ أحمُّ الخ ، البيت لسيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه في قصيدته يذكر بدرا التي مطلعها « تبلتْ فؤادك في المنام خريدةٌ » القطن لحمُ الورك وأجمّ لا عظام له والمداك حجر الطيب وفضلاً في ملابس قليلة .

٢٣ ــ غيوم هو ألفريد غيوم ، أستاذ العربية بمعهد اللغات الشرقية سابقاً في سنة ١٩٦٥ ، وله ترجمة سيرة ابن هشام باللغة الانجليزية ، وكان من رجال الدين وتآليفه حسنة وكان رجلا فاضلا دمث الجانب .

٢٤ ــ بنو قُرَيْظةَ من يهود المدينة خانوا في العام الخامس من الهجرة وهلكوا بعد غزوة الأحزاب .

٢٥ ــ أومسرفا : مسرف هو مسلم بن عقبةَ المري صاحب وقعة الحرّة ، زعم ابن عساكر في تأريخ دمشق أن أربع ملاحم في الجنة فذكر صفين

والجَمَل والحرَّة فتأمل . فلقد أوشك أن يجعل قَتَلَةَ حسين في الجنة أيضاً ، معاذ الله .

٢٦ – محمد بن الحنفية ، هو الإمام التابعي الجليل محمد بن سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وكان من سادة أهل البيت رضوان الله عليهم وباسمه نهض المختار الثقفي يطلب بثأرات الحسين وزعم أنه المهدي . قال كثير عزة :

هُوَ الْمَهْدِيُّ خَبَّرَنَاهُ كَعْبٌ أَخُو الأَحْبَارِ فِي الحِقَبِ الخوالي

وحديث « الْمَهْدِيُّ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ يُصْلِحُهُ اللهُ فِي لَيْلَةٍ » مروي عنه ، وفي تعليقات الأستاذ أحمد محمد شاكر على مسند أحمد ، أشار إلى ما ذكره البخاري في التأريخ الكبير من أن في إسناده نظراً ، وسياق كلام البخاري يفيد نقد إسناد الحديث إلى إبرهيم بن محمد على الأرجح والله أعلم . وفي البخاري حديث نزول عيسى ومثله في مسلم وليس ببعيد من حديث المسند . وانتصر صاحب زاد المسلم للرأي القائل بأن الامام المشار اليه في حديث البخاري « كيف أنتم إذا نزل ابنُ مريم فيكُم وإمامُكم منكم – (فتح الباري بشرح البخاري لابن حجر مصر ١٣٧٨ هـ ١٩٥٩ م – ٧ : ٣٠٤) – هو الْمَهْدِي ، انظر الجزء الأول من زاد المسلم .

٢٧ – الشَّيْخُ الطَّيِّب السَّراج رحمه الله مات قتيلا ، اعْتُدِيَ عليه في داره .

عَلَوْا رَأْسَهُ أُمَّ الدِّماغِ وغادروا مَحَاسِنَ ذاك الْوَجْهِ منه فسادا
ولم يَرْحَمُوا الْكُتْبَ الكثيرة حوله ولم يرحموه والقليلَ أرادا

وكان مصرعه عام ١٩٦٣ وكان من حُفّاظ اللغة وشاعراً ، رحمه الله رحمة واسعة .

* * *

(٣)

١ – قالوا في المائة الرابعة عشرة الخ . أنكر الإمام ابن كثير في كتابه البداية والنهاية هذا القول وساق على ذلك الأدلّة ولأهل الكشف أراجيز ترتقب الساعة في القرن الخامس عشر الهجري أو نحو ذلك والله أعلم .

٢ – بَسْلٌ أي حرام . المُحبّر لابن حبيب، كتاب معروف طبع بالهند ثم أعيد طبعه بالتصوير – صوره الأستاذ قاسم رجب صاحب مكتبة المثنى ببغداد ، والمُنَمّق له أيضاً ، دون المحبر .

٣ – كتاب طَوْقِ الحمامة لابن حَزْم الأندلسي ، من جياد الكتب في الحب والجمال ، وابن حزم هذا هو الفقيه الظاهري صاحب كتاب الفِصَل في المِلَلِ والنِّحَل .

٤ – إيفي بجنوب نيجريا ، عاصمة بلاد « يَرُبا » الدينية في الزمان القديم وبها الآن جامعة إيفي ومَتْحَف فيه أشياء نادرة من صنع اليربا ، من أهمها تماثيل من النحاس عملت بإذابة الشّمع فلا يعلم هل تعلّم ذلك « اليَرُبا » في زمانٍ بعيد موغل في القدم أو تعلموه من البرتغاليين أوائل عهد الاستكشاف الأوربي . و « اليَرُبا » من كبريات قبائل نيجريا ويزعمون أن أصلهم من المشرق . والإسلام ينتشر بينهم انتشاراً وفيهم علماء وأهل صدق في الدعوة له منهم المعلم خيرشي الثاني رحمه الله .

٥ – إبَادَانْ ، كبرى مدن إفريقية جنوبي الصحراء . ولليُربا وَلَعٌ بسكنى القرى الكبيرة . وإبادان منتشرة الآفاق ، شديدة ازدحام السكان وتبعد نحواً من مائة ميل عن لاغُوس العاصمة من أحد طريقيها إليها ، ومائة وعشرين من الآخر . وبالقرب منها – بل في حَيّزها من جانب منها – جامعةُ إبادان أقدم جامعاتِ نيجريا المعاصرة . وهي من أجمل الجامعات الأفريقية تصميماً ومباني .

٦ — دَمْ . بفتح الدال وسكون الميم تقولها البنات بالسودان احتجاجاً واستنكاراً لمن يتغزل بهن أو يشاغلهن وسكون الميم للوقف . وكان الغالب في استعمالها أن تعرف بالألف وتشمّ البنت الأخرى فتقول لها « الدَّم » وتقول الكبيرة للصغيرة « يا بِت الدَّم » للزجر . وأسقطت المدنية أداةَ التعريف وخصصت « دَمْ » بزجر الغزل وحده والله أعلم .

٧ — سَعِيدُ بن المُسَيّبِ رضي الله عنه من كبار التابعين ومن سادة قريش وبناة الدين .

٨ — الطّبَرِي هو أبو جعفر محمد بن جَرِير رضي الله عنه من الأئمة توفي سنة ٣١٥ هـ .

٩ — يوسف بن تاشفين أمير المرابطين وكان صاحب موقعة الزلاقة في القرن الخامس الهجري ، انتصر فيها المسلمون على النصارى نصراً عظيماً . وقد تنكر للمعتمد بن عباد صاحب إشبيلية ونفاه إلى سجن أغمات بالمغرب . وصارت بنات المعتمد بعد العز بائسات يتكسبْن من الغزل بفتح الغين وسكون الزاي ولكل ذلك خبر محزن فليرجع إليه .

ودولة بني تاشفين أزالها الموحدون أتباع المهدي محمد بن تَوْمَرْت وعبد المؤمن من بعد .

١٠ — منارة إشبيلية من روائع الفن الاسلامي وهي ذات برج رفيع يشرف به المسجد على سهل إشبيلية الأفْيَح وبرج البندقية تقليد له . وقد أزال النصارى أعلى المنارة واستبدلوه بمحل الناقوس وهو غير ملتئم مع خشوع سائر المنارة فتأمل .

١١ — يوم عَيْنَيْن هو يوم أحُد وكان القتال الذي وصفه وَحْشِيٌّ في حديث البخاري بجبل عند أحد هذا اسمه .

١٢ – أَلاَ يَا حَمْزَ لِلشُّرُفِ النِّوَاءِ – هذا من غناء الْقَيْنة تقول من للشُّرُف بضمتين أي الإبل السّمان وهي النِّواء بكسر النون سِواكَ يا حَمْزَةُ وقد جَبَّ حمزة رضي الله عنه سنام ناقة عَلِيٍّ وكان ذلك قبل تحريم الخمر – قال في فتح الباري إن تحريمها كان بعد الفتح فانظر تفسير المائدة ثم .

١٣ – ابن الزِّبَعْرَى ، هو عَبْدُ الله بن الزِّبَعْرَى السَّهْمِيُّ الْقُرَشِيُّ من شعراء قُرَيْشٍ ودهاتها ، أهدر النبي صلى الله عليه وسلم دَمَه ثم تاب وأسلم ، وذكره ابن سلام في طبقاته وقد ذكر قتلى أُحد فقال :

لَيْتَ أشياخي بِبَدْرٍ شهـدوا جَزَعَ الْخَزْرَجِ من وَقْعِ الاسل

وهي كلمة جيدة ، كأن بعضها مرثية لسيدنا حَمْزَةَ بنِ عبد المطلب رضي الله عنه ، قال :

أَبْلِغـا حَسّانَ عنـي آيـةً فقريضُ الشِّعْرِ يشْفي ذا العلل
كم تَرَى بالْجَرِّ من جُمْجُمَةٍ وأكفٌّ قد أُتِرَّتْ ورجـلْ
وَسَرابيـلَ حِسانٍ سُرِيَتْ عن كماةٍ أُهْلِكُوا بالْمُنْتَزَلْ
كَمْ قَتَلْنا من كَرِيمٍ سيِّـدٍ ماجدِ الْجَدَّيْنِ مقدامٍ بَطَلْ
صادقِ النَّجْدَةِ قَرْمٍ بارعٍ غَيْرِ ملتاثٍ لدى وَقْعِ الأسل

وكل هذا نعت يصدق على حَمْزَةَ رضي الله عنه ثم نَصَّ بعد ذلك على أنه هو المراد :

فَسَلِ الْمِهْراسَ عَنْ ساكنه بين أصداءٍ وهامٍ كالْحَجَل

ثم اشتدت به المرارة فلام الانصار على جميع هذا الذي كان من مقتل هذا البطل وأمثاله من رجالات قريش :

لَيْتَ أَشْياخي بِبَدْرٍ شَهِدوا جَزَعَ الْخَزْرَجِ من وَقْعِ الأسل

وقد عرضنا بتفصيل لبسط هذا المعنى في موضع آخر والله المستعان .

١٤ — كما تراطن في أفدانها الروم — ميمية علقمة بن عبدة

١٥ — والبروفسير فلان من العلماء ... إلخ ، هذه هي الطريقة التي يرق بها الأساتذة في هذا العصر ، إذ قد صار العلم ضرباً من الروتين والعلماء أصنافاً من الأفندية والمسترين ، (جمع مستر يا هذا .)

١٦ — يا ليتني كنت صبياً مرضعاً من شواهد النحو ، باب التوكيد :

يَا لَيْتَنِي كُنْتُ صَبِيّاً مُرْضعا
تَحْمِلُنِي الذَّلْفاءُ حَوْلاً أكتعــا
إذا بَكَيْتُ قَبّلَتْنِي أربعــا
إذَنْ ظَلِلْتُ الدَّهْرَ أبْكِي أجمعا

والذلفاء من أسمائهن — قال الآخر :

إنَّمَــا الذَّلْفاءُ هَمِّي ... فليلُمْنِي من يلومُ
أحْسَنُ النّاسِ جميعا ... حِينَ تَمْشِي وتَقُومُ

١٧ — البرق العبادي بتشديد الباء نسبة إلى العبابدة من قبائل البجاة بين مصر والسودان ، وهو الذي يظهر من جهة شمالي القبلة ، شمالي الشرق ومعه المطر بلا ريب ، وعكسه البرق المكادي وهو الذي يظهر من جهة المكادة أي الحبشة .

١٨ — الحرث بن خالد المخزومي من الشعراء والعشّاق وسادة قريش ، وَلِيَ مكة لعبد الملك بن مروان ثم عزله عنها للذي ذكروا من أنه أخّر الصلاة حتى تطوف عائشةُ بنت طلحة ، وكانت من جميلات الدَّهْرِ وكان لها عاشقاً .

١٩ — العتّمُور ، صحراءُ بلادنا بين النيل وجبال البحر الأحمر ، وهي خلاء قواء مَرْتٌ بسابِس .

« فيُصْبِحُ مُلْقَى رَحْلِها حَيْثُ عَرَّسَتْ
مِنَ الأرْضِ قَدْ جَرَّتْ عليه الرَّوامس »

٢٠ ـ ابن الوردي من العُلَماء والشُعَراء مَشْهُور بلاميته :

« اعْتَزِلْ ذِكْرَ الأغانِي والغَزَلْ   وَقُلِ الفَصْلَ وجانِبْ من هَزَلْ »

وقد شرحها الشراح وارجع إلى حديثنا عن بحر الرمل في المرشد .

(٤)

١ ـ والتمعت عينا بَبْرَة . البَبْر هو سبع غابة الهند ، أكبر قبيلة السنانير حجماً وهو من النمورة . وإذا قال الإفرنج *Figer* فأحسبهم إنما يعنونه هو ، (ومن ذلك كلمة ولْيَم بَلاَيْكْ المشهورة ، وهي عندي وسط والله أعلم) وكلمة نمر العربية تنطبق عليه ـ وكذلك « ببر » وهي نص عليه وهي في كليلة ودمنة في قصة السائح والصائغ ... والببرة ههنا على التشبيه كما لا يخفى . والصغد بضم الصاد أو السين « السغد » من قبائل العجم وأرضهم الآن بلاد أزبكستان ، أو كانت أرضهم .

٢ ـ جوس ، هضبة نيجريا ، وهي في الأقليم الذي كان يسميه الانجليز وجغرافيوهم الحزام الأوسط . ومدينة جوس جيدة الهواء وبلغني أن التبشير المسيحي قد جعل يفشو بها الآن ، وذكر جوس وارد في أخريات نافذة القطار فليرجع اليه إن شاء الله .

٣ ـ العَنَج : بفتح العين والنون هم أهل السودان الأوسط قبل العرب وكانوا سادة على النوبة ، وقولهم للسوط الذي من جلد « العينسيت » سوط العنج يدُل على ذلك . إذ به كانوا يضربون الناس .

والخنفص : جيل نشأ من تناسل الطليان والأوربيين عامة مع الحبش .

والملوني : اسم بيرة تُصْنَع بارتريا ، قبل أيام الحرب الماضية كان يصنعها طنليان من الدوم وهذا كأنه باطل وقال الآخر :

« عنِّي من الوَيْكَابِ والشَرْمُوطِ   واشْرَبْ لَدَى خَبّازَ بيرًا ميلوطي

والويكاب والشرموط طعامان من أطْعمة أهْلِ السُّودان أولهما من رماد أصول قصب الذرة والثاني من قديد اللحم الناشف .

٤ ــ الانترسول والميزالين كلٌّ هذا يطلق على طابق يَنْشَأ بين طابقين لم يكن من أصل تصميم البناء واكثر ما يكون في الفنادق بين الطابق الأرضي والأول .

٥ ــ أكِنتُولا : من زعماء حِزْب العمل *Action Group* من « اليَرُبا » بجنوب نيجريا ، وصار حليفاً للسردونة الحاج أحمدو بلو رحمه الله . ويقال إنّه حذّره الانقلاب في نفس اليوم الذي اغتيل فيه . فقيل إنه لم ير أحمدو بلو سبيلا إلى تصرف مُفيد لضيق الوقت وقيل غير ذلك ، والله أعلم أي ذلك كان وإذا وقع القدر عمي البصر . وقد قُتل أكنتولا يوم ثار الإيبو وكان ذلك بهزيع ليل أو فجرا من ١٥ يناير ١٩٦٦ في شهر رمضان في العشر الأواخر منه .

٦ ــ الحاج أبو بكر تَفَاوةْ بيليوا ، كان نائب الحزب الحاكم في نيجريا الفدرالية أيام الحكم المدني ورئيس وزرائها ، وكان رجلا سَرِيَّ النفس ، مع حَزْمِه لَيِّن الجانب ، خطيباً يُجِيد الإنجليزية وله تأليف بلغة هوسا ، وكان رجُلاً صالحاً ذا زعامة روحيةٍ حقّة لأبناء قُطْره المتعلمين من شتى الشعوب والقبائل وكان فقْدان هذه الزعامة من أشد مادها الناس غداة مقتله من كارثة . ولقد كان جُرْم الأيبو بقتلهم إياه في نظر أهل نيجريا قاطبة أكبر وأشنع من قتلهم السردونة وإن كان ذلك أيضاً هو أيما شنيع . فرحمهما الله رحمة واسعة .

٧ ــ سكتُو ، أو كما يكتبها الأستاذ الحاج معلم، جنيدو « صكة » وهذا أجود اذ كأن التاء مضمومة علامة الرفع للابتداء وهي لتأنيثها لاتنون . وهي عاصمة من عواصم نيجريا الشمالية ، وكانت العاصمة الكبرى إذ بها كان ولا زال يقيم « سركين مُسْلِمي » ــ أي أمير المسلمين ــ وهو كبير أمراء

الفلانيين من سلالة الشيخ عثمان بن فودي . وقامت سكتو على أنقاض إمارة « غوبير » القديمة وجعلها السلطان الكبير دار إقامته .

ولأهل سكتو مكان عظيم في رياسات الدولة وسياستها . ومدينة سكتو متوسطة الحجم ولم يبق من السور الذي يحيط بها إلا أطلال ، وبالقرب منها نهر سكتو وهو من روافد نهر نيجر .

ولسكتو من المعزى صنف أحمر كعُنُوزِ الظباء ناعم الجلد هو الذي يقول له الأوربيون المراكشي . قالوا وإذا ذبحوا العنز سلخوا الجلد ولا يبالون باللحم، يقولون إنه يسبب الجذام .

٨ – لوممبا – هو باتْرِيس لوممبا زعيم الكنغو الذي قُتِلَ في ظروف غامضة بتدبير خبيث وصار فيما بعد من رموز النضال المتنازعة بين اليمينيين واليساريين في إفريقية ، كما كان أبو بِلاَلٍ موضع نزاع بين الخوارج والمعتزلة وجماعة آخرين ، قال عِمْرانُ بن حِطّانَ الخارجي :

لقد زادَ الحياةَ إليَّ بُغْضــاً وحُبّاً للخُرُوجِ أبو بِــلال

ولم يخرج . وهكذا أكْثَرُ المفكرين يُؤْثرون العافية والله أعلم .

٩ – سِرْدَوْنَة : لقب بلغة هَوْسَا قديم لصاحب الخيل في إمارة غوبير الهوسوية القديمة . وانتقل منها إلى إمارة سكتو الفلانية وصار من ألقاب أمرائها وكأنه مأخوذ من « سر الدولة » . وكان حديثاً يطلق على الحاج أحمدو بلُّو زعيم شمال نيجريا ورئيس وزرائها ومن بَيْتِ الامارة في سكتو من أسرة الشيخ عثمان بن فودى . وكان رجلا ذا شخصية قوية طامحة . وقد عمل على إزالة نفوذ الأمراء وتدعيم السيطرة المركزية ، ولعل هذا قد كان من أخطائه . ولكنه عمد إلى تقوية صلات بلاده بالعالم الإسلامي فأحسب أن هذا قد كان أجود ما ساهم به في سياسة بلاده . وقد فجع بمصرعه العالم الاسلامي كله ،

وكان وقعه على أهل شمال نيجريا بخاصة فاجعاً مذهلاً إذ كان لهم أبا وسيداً وحِرْزاً ، رحمه الله رحمة واسعة .

١٠ – سَابَانْ غَرِي : مرّت في (٤) من (١) أي المدينة الجديدة .

١١ – الإيبو : قبيلة إيبو يسكنون في الإقليم الجنوبي الشرقي من نيجريا . ومنهم الدكتور أزِكْوِي الذي كان رئيساً للجمهورية والدكتور دِي كِـي ، الذي كان أول مدير لجامعة إبادان ، والجنرال إيرونزي والكولونيل (أو شيء مقارب لهذا) شُكُوما وكانا قائدي الانقلاب الأول الذي اغتيل فيه السردونة والحاج أبو بكر تفاوة بليوا . تنبه أحد فضلاء الفلانيين في يوم الأحد ثاني يوم بعد مقتل السردونة إلى تواطأ إيرونزي مع شكوما وأن عسى أن يكون تفاوة بليوا قد قتل من المنهج الذي اتبعته الاذاعة . إذ كانت لاغوس تذيع أن زمام الأمر بيد الحكومة وان كادُونَةَ متمردة . وما كانت هذه الاذاعة لتتصل من لاغوس إلى كنو من غير إجازة كَدُونَةَ لها – ففي الأمر مكيدة ! ! هكذا قال فضلاء كنو .

وقبيلة إيبو في جملتهم بين وثنين ومسيحيين ، وأحدثت تجارة الرقيق الأولى صلةً قوية بينهم وبين غَرْب أوروبا وبخاصّة إنجلترا وأمريكا . وأكثر العالم الأبيض من روسيا إلى الباسفيك يَتَعْطف على قضيتهم لقوة اتصالهم به من طريق الدعاية والفكر ، إذ منهم مؤلفون باللغة الانجليزية لهم صيتٌ في العالم الأوروبي بأسره مثل إشَيْبِـي . وقلّت أُمة تخلو من خير .

١٢ – تَورِيتْ ، بالضفة الشرقية من نيل نهر الجبل ، بها بَدَأَ تمرد الحامية الجنوبية من قوة دفاع السودان في أغسطس فقتلوا الضُّباط المسلمين والتجار وصنعوا فظائع ومنكرات . وعسى أن تنطفىء جمرة التمرد الذي بدأ حينئذ .

الرَّجاف : جَبَلٌ بناحية جوبا فيه نوع من زلزلة أحياناً .

١٣ – زنزبار : جزيرة القرنفل في البحر المحيط ، بها كانت مذبحة العرب

بتيار عنصري جارف منذ عهد قريب لم يخل من صليبيّةٍ ويسارية فتأمل .

١٤ – مَرْجَان وسَوميتْ من أسماء عهدٍ مضى وباد إنشاءالله . والـمَرْجان أخُو اللُّؤْلُؤ وقيل كِبارُه وجِيادُه وقِيل ضَرْبٌ قائِمٌ بذاته ومنه ضَرْبٌ مُحْمَرُّ اللَّوْنِ يُسْتَجَادُ في الخرز . والسوميت مرّ بك . وقالت الحسناء أنا سومتية . وقالت البادنة أنا كَرَنْبيتة مما جلبه الاستعمار وأذنابه إلى السودان. وفي كتب تعليم الفرنسية مسيو كرنب ومسيوكَرَنْبيتْ . والكرنبيتْ المطبوخُ بالْجُبْن طعام جيد .

١٥ – النيم ضرب من الشجر جلبه الانجليز من الهند إلى إفريقية فهو بها في كل مكان . وهو ينمو نماء حسناً برمال غرب السودان حيث يجد سبيلاً إلى ماء كما بأم روابة بفتح الراء لا كما يضُمُّها بعض المتحذلقةِ الآن وتشديدِ الواو وهو ظليل . ويُسقط أوراقَه فتتّسخ به أرجاء ما حَوْلَه . وقيل في ورقه فوائد طبية وترعى نوره أو ثمره البهائم – وبعض ورقه إن جعل مع ملابس الصوف يمنع العثّة . وقيل شجر هندي لا تكون له منفعة من سحر أو دواء أو عطر . أغصان النيم في السواك جيدة . وفي أصداء النيل :

وأنكرتَ اخضرارَ النيـمِ بل تُقْتَ إلى الـدَّوْمِ

وما أحسب امرأة حسناء تشبه بنيمة ولكن قد تشبه بالدومة – قال امرؤ لقيس :

فَشبّهتُهم في الآلِ لما تَحَمّلوا حدائقَ دَوْمٍ أو سَفِيناً مُقَيّرا »

وتشبيهها بالنخلة معروف

« هَلْ تُبْلِغَنّي دِيارَ قَوْمي مَهْرِيّةٌ سيرها ذَفيفُ
يا أمَّ نَعْمَانَ نَوّلينا قد يَنْفَعُ النائلُ الطفيفُ»

١٦ – لاغوس: عاصمة نيجريا كما لا يخفى وهي عند البحر المحيط وأصل معناها برتقالي سميت به من أجل خليج البحر المحيط بها .

١٧ ــ كتسنا : ويكتبونها كاف وحرف عجمي كالشين نطقه تاء وسين كالتاء المهموسة التي عند المغاربة فإذا وجدت في كتبهم مثلا «فلان الكشناوي» فاقرأها «الكتسناوي» وهي من عواصم الأمارات في شمال نيجريا ، شمالي كنو . و «دَوْرا» غير بعيد من كتسنا ، شرقيها وبها زعموا كان أصل هوسا . لأن الملك باجيدا كان بها وقتل الثعبان في بئرها . ثم من هناك انتشر ملك أبنائه . وكانت أولى إمارات هوسا توسعاً إمارة زاريا على عهد السلطانة آمنة في الدهر القديم فيما ذكروا وقد مر بك .

وغسو بغين عجمية تنطق كالقاف المقاربة الكاف أو الجيم المصرية ، ثم بعدها سين مفتوحة وواو ساكنة ، وهي في طريق بين زاريا وسكتو وبين سكتو وكتسنا . وجبيا واد قريب من كتسنا فيه دَوْمٌ وحراز حسان ، وتقوم بناحية منه سوق عامرة كما هي العادة ببلاد هوسا . وأكثر ما تقام الأسواق في الجمعات وَبعْضُها يُقَمْنَ في غير ذلك من الأيام .

١٨ ــ مثل حبوبتها ــ لا تنطق هاء التأنيث ولكن تجعلها من ضمن فتحة التاء كقول السائلة «وبالكَرَامة ذَاتُ كرَّمكم الله بَهْ» ــحبّوبَتَهْ بفتح الحاء وتشديد الباء . أي جدتها وأصل اشتقاقها من المحبة وكلتا الجدة والخطيبة محبوبة ، يا جدَّتِي ، يَا حَبّوبتي ، يَا غَاليَتِي ، يَا قُصَصِي التي عليها ندى الطلِّ ــ هذا في نشيد الانشاد . والله أعلم .

وفي الشام يقولون هو حبّوب وحبّاب أي لطيف تألفه النفس محبوب ، فإن قلت في بلد من الشام بلهجة أهل السودان حبُّوبة فقد يفهم منها الخطيبة . وقد بلغني أن أحد أوائل السودانيين الذين أوفدوا إلى بيروت كان يتحدث مع رفاق له شاميين فذكر أن عمر حبّوبته تسعون أو ثمانون أو سبعون . فكان ذلك لهم عجباً .. يظنون أنها محبوبته وخطيبته لا جدته .

١٩ ــ رايدر هغرد ، إشارة إلى قصته *She* ويترجمونها عائشة من أجل الشين .

٢٠ ــ الكانمي ، صاحب بلاد برنو ، ودارت بينه وبين محمد بلو السلطان جلات جياد أوردها السلطان في كتابه إنفاق الميسور .

٢١ ــ القات من نبات اليمن والحبشة فيه نوع من تخدير . والذي بالحبشة سر غضير . والقورو ويقال له بالانجليزية أو قل بالأميريكية *Cola Nut* فيه نوع تخدير . أو يقوي الباه فيما زعموا . وكذلك يفعل لحم القرش بكسر القاف ، مليل التمساح ، وفي تذكرة داود أن لا شيء أنجع من قصص الغرام مع اب يا هذا أو شيء من هذا الباب .

٢٢ ــ معلم جُنيد ، تظهر ضمة الدال ــ جُنَيْدُو ــ من كبار العلماء هابذتهم بنيجريا الشمالية ، وهو وزير السلطان بمدينة سكتو ومن سادات ـنيين والهوسا وله تآليف حسان نظماً ونثراً .

٢٣ ــ هام وبيكون نوعان من لحم الخنزير .

(٥)

١ ــ غوبير ، بالغين العجمية ، من إمارات الهوسا السبع الأصيلة كانت الشمال وانظر سكتو فيما سلف . وقد أخربها الشيخ عثمان والسلطان محمد وعمه الشيخ عبد الله وقامت سكتو على أنقاضها .

٢ تمبكتو ، من مدن نهر نيجر في بلاد مالي الآن ، وهي مدينة أسسها لمون وازدهرت أيام آسكيا ملك صُغَيْ ومن بعده وأخربها المغاربة في صور الحديثة بتأثير من الأوربيين .

٣ لوغارد ــ لورد لوغارد أول حاكم عام لنيجريا تحت السلطان البريطاني

(٦)

١ رؤبة بن العجاج وأبوه اشتهروا بالرجز وانظر كتاب المرشد (بحو

الرجز) ورسالة الغفران (حديث ابن القارح مع رؤبة) .

٢ ــ استشهد ابن الأكوع في غزوة خيبر ، والشعر لعبدالله بن رواحة رضي الله عنه .

خبر معاوية ومالك بن يخامر رواه البخاري .

(٧)

١ ــ أبو الكُرُك ، أي الكَرْكِي .

(٨)

١ ــ الأستاذ عبد الرحيم الأمين ، صديق كريم قضى نحبه في أول الكهولة كان رجلاً نابهاً قويّ النفس ، مُرَّ الشكيمة ، حاد الذكاء ، واسع الاطلاع ، ذا قدم في العربية ، من رجالات السياسة والفكر والتعليم ، توفي رحمه الله رحمة واسعة في يونيه ١٩٦٨ م .

٢ ــ الحاج عُمَرُو سليمان ، أمير بيدي من شمال نيجريا من أرض برنو ، رئيس مجلس جامعة أحمدو بلو ومن رجالات نيجريا الشمالية وأهل الرأي .

٣ ــ باوتشي ، وتكتب بَاوتْشْ بالخط الهوسي من مدن شمال نيجريا تنحدر إليها من الهضبة الوسطى في طريقك إلى كنو وبها إمارة . وهي بلدة الحاج أبي بكر تفاوة بليوا رحمه الله .

٤ ــ النضر بن الحرث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ، وقيل بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار من ملأ المشركين قتل صبراً بعد بدر . وطبيب العرب هو الحرث بن كلدة من ثقيف وابنه النضر بن الحرث بن كلدة . ومن ههنا يظهر خطأ لِكْليرك إذ خلط بين قرشي عبدري ، من أهل مكة ، وآخر ثقفي من أهل الطائف .

٥ ــ يروى عن عبد الملك أنه نهى الحجاج أن يمس من دماء بني هاشم خشية أن يخرج الملك من قومه كما قد خرج من بني حرب بعيد مقتل يزيد سبط نا الحسين صلوات الله عليه .

٦ . . سلامبو . قصة لفلوبير فيها علم كثير . يصف فيها من أحوال قرطاجنة على عهد آل برقه رهط هنيبعل وأبيه . وهنيبعل هذا الذي كاد يقهر روما في حربه لها أواخر القرن الثالث قبل الميلاد (٢١٨ — ٢١٢)وهزم في معركة يقال لها زاما في شاطيء إفريقية . غلبته الأعداد وكثرة الأجناد . والملك لله يؤتيه من يشاء وهو على كل شيء قدير .

٧ — الأختان بنتا غوريو — هما ابنتا الأب غوريو : قصة بلزاك المشهورة .

٨ — جعد بن درهم . علم مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ونسب إليه نبزا له — قالوا كان يدعو إلى القدر . وفي التاريخ الكبير للبخاري ما فحواه أن خالد بن عبد الله القسري دعا الناس للضحايا ليتقربوا بها إلى الله وذكر أنه مضح بجعد بن درهم لسوء مقالته . إذ كان ينكر أن يكون الله قد كلم موسى تكليماً أو اتخذ ابراهيم خليلا . تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً . ونزل من المنبر فذبحه — ند عني الموضع في التاريخ الكبير فليرجع اليه إن شاء الله .

٩ — كان أبوها يضارب في الغلال : إشارة لقصة الأب غوريو .

١٠ — مسترس أنثى ماستر أي سيدة — وتستعمل بمعنى التي يتخذها المرء خِدْنــا .

١١ — عالم الموج القديم الخ — إشارة إلى ما يذكر من أن الدنيا قائمة على قرن ثور واقف على صخرة على ظهر حوت في موج مكفوف... قال تعالى (يا بُنَيَّ إنها إنْ تكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ من خَرْدَلٍ فَتَكُنْ في صَخْرَةٍ أو في السّمواتِ أَوْ فِي الأَرْضِ الخ) « سورة لقمان » وانظر الطبري .

١٢ — المعزاء . الأرض الْخَشِنَة . وكذلك الأمعز .

١٣ — بعد أن صبر على مجامر الكرام — إشارة إلى يسار الذي كان يقال له يسار الكواعب وخبره في الامثال فانظره .

١٤ ــ الحلف عند أسد الفراديس ، إشارة إلى أبيات أبي الطيب « أجَابُكَ يَا أُسْدَ الْفَرَادِيسِ مُكْرَمُ » وفيها يقول :

فَهل لَكَ فِي حِلْفِي على ما أُريده ... فإنِّي بأسبابِ الْمَعِيشَةِ أعلم

ونظر ههنا إلى أبيات القتّال الكلابي حيث حالف النمر فقال :

وَأغْلِبُه في صَنْعَةِ الزَّادِ إنَّني ... أميطُ الأذَى عَنْه وما إن يُهَلِّلُ

وأراد أبو الطيب أن يصنع من أسْدِ الفراديس كِلاباً يَصْطاد بها ــ وهو القائل من بعد :

ومن يجعَلِ الضِّرْغَامَ بازاً لصيده ... تَصَيَّده الضِّرْغام فيما تصيد

والشعراء يقولون .

(٩)

١ ــ مرجّبة : أي معنيّ بها ، تُسْنَد من جوانبها وقال الحُبَاب بن المنذر في خطبة السقيفة : أنا عُذَيْقُها الْمُرَجَّب والْعُذَيْق عني به النخلة .

٢ ــ الغافقيّ : عبد الرحمن الغافقي أمير الأندلس قتل بسهم غرب في أرض فرنسة في موقعة بواتييه سنة ٧٣٢ م وكانت أيام هشام بن عبد الملك وكانت أول انهزام كبير مني به المسلمون في الغرب فلم يتقدموا بعده . وإلى الله تصير الأمور .

٣ ــ قشتاله وأرغون والبيره وجيان كل هذه من بلاد الأندلس . واسم الأندلس يطلق حقاً على ما بين جيان إلى بحر الروم ــ وبحر الزقاق وما حوله قشتاله الهضبة التي بعدها ــ وأطلق العرب على ذلك كله اسم الأندلس تغليباً إذ هي أجود أقاليم اسبانيا .

٤ ــ والثوب الشّفافُ فوق البنطلون الطويل فيه قولان ... من أجل حذف

مسلم الذي يذكر رؤيته صلى الله عليه وسلم نساء كاسيات عاريات شعورهن كأسنمة الإبل يدخلن النار ولا يجدن ريح الجنة . ولا يكاد يصنع الكوافيرون المعاصرون أمراً غير هذه الأسنمة فتأمل .

٥ – سوناتات شكسبير ، واحدتها سوناتة *Sonnet* وهي قطع كل واحدة منها من ١٤ بيتاً منوّعة القوافي وكأن أصلها كله من التوشيح أو التسميط العربي صار إلى أوروبا من طريق صقلية والطليان لما يذكرون من سبق بترارك الطلياني في هذا الباب والله أعلم .

٦ – تلك كانت هزيلة من أبي القاسم : إشارة إلى حديث سيدنا عمر إذ ذكر اليهوديّ بمقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم له أنه سيرحل إلى الشام فزعم اليهودي لعنه الله أن ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مزحا – فهذا مراده من « هزيلة » فلم يقبل منه سيدنا عمر وجد في إجلاء اليهود من خيبر وفدك جزاه الله عن المسلمين خيراً .

٧ – وباع له : أي لليهودي الذي أجلاه عمر ، والمراد من هورمز لهم

٨ – مسّ يدها في الحديقة – قصة الأسود والأحمر .

وانحدر بها الطالب في الخنطور – قصة مدام بوفاري . والخنطور مركبة تجرها الخيل كانت مكان التاكسي في العصور غير البعيدة جداً .

وقد ثار قوم على فلوبير واتهموه بمحاولة إفساد الأخلاق وكانت له محاكمة ونص ما روفع به ملحق ببعض نسخ القصة فليرجع إليه .

٩ – ترولوب : أنطوني ترولوب ، قصصي إنجليزي ، كان موظفاً كبيراً في الدولة وعهد إليه برتبة مدير البريد – وذكر فيما ذكر أنه كان في استقبال أحد الأمراء الألمان . فأعطاه هذا قطعة « هاف كراون» بخشيشا . فرأى أن الحكمة تقتضي تقبلها كيلا يحرج أميراً من الأسرة المالكة فينشأ من ذلك نوع من خطأ دبلوماسي غير كريم – واشترى به تبغاً لغليونه .

١٠ – هكذا روى أبو حيان في معجم البلدان : ذكر ياقوت أبا حيان التوحيدي في الجزء الخامس عشر من إرشاد الأريب (معجم الأدباء) ونسب إليه خبراً مع شيخ الشونيزية والتوته فكها في بابه منه قوله « وغـداً يكون شيئاً آخر » – ولياقوت معجم البلدان كما لا يخفى . وكلاهما مركب ذلول لطلبة الاطاريح في التعليم الجامعي المعاصر ، فاذا فرغ بعضهم من أطروحة ماجستير أو دكتوراه سار من بعد مع الأعور الدجال وقال أنا من العلماء وهو من الجهال – اللهم غفرا . إن البقر تشابه علينا .

١١ – صفراء ، بقرة بني إسرائيل ، فاقع لونها تسر الناظرين والأبيات الصادية « غيبت عني عبد الخ » لعدي بن زيد وانظر رسالة الغفران وهوامش ابنة الشاطىء وأول المرشد .

١٢ – سباسيبا من اللغة الروسية فيما ذكروا أي شكرا وجوابها باجَلَستَا أي عفوا .

١٣ – الريغا ، من ثياب الرجال ببلاد هوسا ، بردة فضفاضة .

١٤ – كارتن ، هو سيدني كارتون السكير العاشق في قصة المدينتين لشارلس ديكنز – وقتله الحب على المقصلة فيما ذكر .

والحبّ مسئوليّـــة كبرى ولا ‌ ‌ ‌ ‌ تَقْوَى على أسرارها الضعفاءُ .
وعبادَةٌ فيها حياةُ نُفُوسِنـا ‌ ‌ ‌ ‌ بالشَّوْقِ إذ بينَ النفوس دُعاءُ
إن الالــه تقدست أسمــاؤه ‌ ‌ ‌ ‌ أهلُ المحبة عنــده قُرَنَاءُ

قال تعالى : « الأخلاَّءُ بَعْضُهم يَوْمَئِذٍ لبعضٍ عَدُوٌّ إلا المتقين» والمحبة الخالصة تدخل في باب التقوى إن شاء اللهّ ، وانظر خبر عبد الرحمن القس وسلاّمة في الأغاني .

١٥ – لا حواجب له وعيناه تدمعان : من عمق النفاق وقلة الأخلاق ، ما له في الآخرة من خلاق – إن شاء الله تعالى .

١٦ — بعد أن قتلوا الماريشال كأن دمه مسك — أي كان دمه دم غزال لمقال أبي الطيب :

« فإنَّ المِسْكَ بَعْضُ دَمِ الغزال»

أي كان دمه هدراً ... قال صاحب تفسير الأحلام ، من سلخ غزالا — يرى ذلك في النوم — فقد زنى ، ومن ذبح غزالاً ، يا بُنَيَّ هذا أجلٌ من الحَرْشِ . ما أكثر الأوزاغ وأبناء الأوزاغ !.

١٧ — لم تَقِ الدوق العنيد : هُو أمير واريكشير .

١٨ — صوصيم حلال . يكتبونها بالحروف العبرانية على مطاعم اليهود بالدار البيضاء . والكلمتان ليستا من العبرية إلا « ايم » التي في « صوصيم » وهي علامة الجمع في العبرية وكذلك (أوت) . « ايم » بمنزلة ياء الجمع ونونه عندنا ، و « أوت » بمنزلة ألف الجمع وتائه والمعنى « سجق حلال » ليس بلحم خنزير ، إذا كان المراد بالإعلان أهل الإسلام،وليس بلحم خنزير ولا جمل . إن كان المراد أهل التوراة .

١٩ — الأمير بوني برنس شارلي هو شارلس إدورد بن جيمز الثاني بن شارلس الثاني بن شارلس الأول بن جيمس الأول ملك انجلترا وسكتلندا معها ، أمه ماريا استوازت الجميلة ، قتلتها أليصابات — قالوا كفرت يدها وكادت لها . وثار الأمير بوني برنس شارلي عام ١٧٤٥ يروم انتزاع عرش آبائه من أسرة هانوفر ، وكانت معركة كلودن سنة ١٧٤٦ م في شمالي اسكتلندة آخر أمره . أبلى فيها صحبه على قلة ونقص أزواد بلاءً ، وجعل آل هنوفر لمن يظفر به جائزة عظيمة فلم يسلمه خلصانه ، وعاش طريداً بين جزائر البحار حتى وفاته سنة ١٧٨٨ م وكان مولده سنة ١٧٢٠ م

٢٠ — من لي بكأس من جنوبية ، ترجمة قطعة من قصيدة العندليب لجون كيتس .

O For a Beaker Full of the Warm South.

٢١ — دبل Double وري دبل Redouble من اصطلاحات اللعبة المعروفة « بردج » Bridge .

٢٢ — هُدبة بن خشرم ، قتل في زمان معاوية قَوداً لقتله زيادة بن زيد وكانا تساجلا فأفحشا وتغزل هدبة بأخت زيادة فقال :

متى تَقُول القُلُصَ الرواسما يَحْمِلْن أم قاسم وقاسما

والخبر معروف . وهو من شواهد إعمال القول إعمال الظن .

٢٣ — « ملاح الروب » هو الإدام الذي يصنع من اللبن الحامض بعد انتزاع الزبد منه والروب هو اللبن الرائب بعد انتزاع الزبد منه عندنا أما قبل ذلك فهو رائب .

٢٤ — قالت له اقتل هذا الغلام ، هذه أم تأبط شرا تقول ذلك لأبي كبير الهذلي لما أراد أن يتزوجها وانظر الخبر في شرح الحماسة للتبريزي أوائل الجزء الأول .

٢٥ — عبد بني الحسحاس (خبره في الأغاني) وانظر المرشد الجزء الأول في البحر الطويل . والإشارة إلى الأبيات :

فقالت صه يا وَيْحَ غيرِك إنني سَمِعْتُ حديثاً بينهم يقْطُرُ الدمَا
فنفّضتُ ثَوْبَيْها ونظّرْتُ حولنا ولم أخْشَ هذا الليْلَ أن يتصرما
أُعفّي بأطْرافِ الثيابِ مَبيتنا وأَلْقَفُ رَضّاً من وُقوفٍ تَحَطّما

أي أجمع من الرمل رُضاض أسورةٍ قد تحطمت من أُنْسِ البارحة .

ويائية عبد بني الحسحاس التي مطلعها :

عُمَيْرةَ ودِّع إن تجهّزت غاديا كَفَى الشَّيْبُ والإسلامُ للمرءِ ناهيا

٢٦ — وتَر اوذ يسيوس — اشارة إلى خبر الاوذيسا في آخرها حيث يقتل

أوذيسيوس وابنه تلماخوس جماعةَ الخُطّاب الذين سَدِكوا بامرأته يريدون أن يَرِثُوه وهو حيّ فكادتّهم بالمطاولة حتّى عاد هو فأبادهم .

٢٧ ـ جئتكم بالذبح ، ما هذا معناه ، مرويّ في السيرة مما خاطب بـه صلوات الله عليه وسلامه قريشاً .

٢٨ ـ خلاوي القرآن : مدارس القرآن ، والكتاتيب كما يقال بمصر ، واحدتها خلوة . وأصله من خلوة العابد ينقطع فيها إلى الدرس والذكر .

٢٩ ـ « دا شنو » : ما هذا ؟ شِنُو بدارجتنا أي ما هو وقد تكسر الشين وتخطف ضمة النون . ودا بمد الألف شيئاً ما نعم بلغة الروس .

٣٠ ـ كتاب قرة العيون لابن يامون ، أو شرح قرة العيون ، لأن قرة العيون أرجوزة : كتيب حسن في آداب العلاقات الزوجية ، طبع مصر .

٣١ ـ « وشخر ونخر الخ » ، ألف ليلة وليلة ، أحسبها قصة عجيب وغريب وسهيم الليل .

٣٢ ـ يعقوب بن السكيت ، اللغوي ، صاحب إصلاح المنطق ، سأله المتوكل تفضيل ابنيه على الحسن والحسين فأظهر استنكاراً لذلك فقرع بالمقارع حتّى فاظ وأرسلت جنازته وديته إلى أهله ـ وكأن قد قتل المتوكل نملة أو دويبة . كان مقتله سنة ٢٤٤ هـ .

٣٣ ـ كأن عينيّ في غَرْبَيْ ... أي كأن عينيّ في دلوين من بئر تسحبهما ناقة مرهقة بالعمل تسقي نخيلاً طوالا . جنة : أي حديقة نخيل . سُحُقاً : أي طوالا والشعر لزهير بن أبي سلمى في القافية « إن الخليط أجدّ البَيْنَ فانفرقا »

(١٠)

١ ـ الإفرنجيات العاريات ... إشارة إلى الراقصات ، وهن شبه عاريات ، كاسيات عاريات كما في الحديث ومرّ بك ـ جد عاريات .

٢ ــ العَرَق : يصنع من الذرة والتمر وأصناف ــ شراب شديد . ومنعه الانجليز أيام حكمهم فوقع الناس في أصناف أخر أشد فتكاً منه .

٣ ــ ابن اسمعيل ، هو محمد بن اسمعيل البخاري صاحب الصحيح رضي الله عنه ، وسترنا بجاهه .

٤ ــ راكب الناقة طليحان ، من شواهد النحو مفسر من بعد في آخر فصل من هذا الكتاب .

٥ ــ حديث أم زرع مشهور . والشاهد النحوي حذف الرابط لإمكان استشعاره أي مسه مس أرنب وريحه ريح زرنب .

٦ ــ ضغوط جمع ضغط وقد ينطقها العامة دغت ويجمعونها دغوت ..

٧ ــ تربرابو .. في قصيدة عمرو بن يربوع والسعلاة (أصداء النيل وسمير التلميذ) .

٨ ــ ما أصدق خبر الهدهد ، حديث نافع بن الأزرق مع ابن عباس ، ذكره صاحب الكامل للمبرد ، وذلك أن نافعاً لما سمع حديث سيدنا عبدالله ابن عباس عن مقدرة الهدهد أن يعرف الماء من بعد بعيد قال « قف يا وقّاف » ثم ذكر أن الهدهد ينصب له الصبي الشرك فيصطاده ، فقال ابن عباس ما قال أو كما ذكروا ــ رضي الله عنهما (أي سيدنا عبد الله وسيدنا العباس) .

٩ ــ كاوان : هذه معناها بقر وهي في خبر عدي بن زيد ، وزيد بن عدي ، والنعمان بن المنذر ، وذلك أنّ زيداً كاد للنعمان عند كسرى فألقاه تحت أرجل الفيلة ، فمما كاده به أن يطلب من النعمان من نسائه ، فأحفظ ذلك النُّعمان وقال كما يقول العرب ، أما وجد كسرى في بَقَر السواد ما يغنيه عن نسائنا ، فلما ترجمت بقر السواد لكسرى بكاوان ، بدا ذلك كأنه شتم وتهجين لآل كسرى ، وراجع القصة في خبر ذي قار وتراجم عدي بن زيد العبادي .

١٠ – كالذي فعلت ناقة ثمود ، لأنها كانت تشرب كل الماء يوم شربها فلا يشرب معها أحد . فقيل هذا من الأسباب التي دعت إلى عقرها .

١١ – يأيها الّذين آمنوا أوْفُوا بالعقود : أول سورة المائدة ، وفيها مسائل ، كاشتقاق المائدة نفسه . قال البخاري ما معناه لأنه ميد بها القوم فهي عنده فاعلة بمعنى مفعولة تقول مدتُّه أميده إذا أطعمته وقيل أي هي مُطعِمة وقيل من الحركة لأنه جيء بها من السماء والذي ذهب إليه البخاري الوَجْهُ إن شاء الله تعالى .

ومن مسائلها « عَبَدَ الطاغَوت » فعل ماض ، أي وجعل منهم من عبد الطاغوت كقول الآخر : «بَنِي شَاب قَرْناها تَصُرُّ وتَحْلُب » فحكاه . ومن مسائلها « شَهَادَةُ بَيْنِكم» وهذا كقول سيبويه في الزانية والزاني والسارق والسارقة كأنه عنوان وفاتحة ، أي مما يتلى عليكم شهادة ما يقع بينكم إذا حضر أحدكم الموت ، أن يشهد اثنان والله أعلم . والأوليان نائب فاعل كما ذكر الطّبري والله أعلم .

١٢ – الساعور هو الْجَدْيُ يُطَبّب بالحصاء فيسمن وهو من اللحم المفضل عند أهل لبنان وقيل لعبد الملك في لحم الجداء فآثر لحم العماريس أي الحملان يا عمروسة ، أم أفضل أن نقول يا عروسة ، والتاء لتقوية الكلام كما روى محمد بن جرير (تفسير صاد) :

العاطِفُونَةَ حينَ ما من عاطفٍ   والمطعمونةَ حين أينَ المُطْعِم

١٣ – ما أفظع قَذْفَ ذلك الولد الخ – قصة سلامبو .

١٤ – قال ذو الرمة :

وَرَمْلٍ كأوراكِ العذارىَ قَطَعْتهُ   وقد لبسته المُدجنات الحنادس

مسكين ذو الرمة ، قالوا كان أسود طفيلياً ، وربعت منه ميّة لما رأته شبئاً وكأن ذراعيْها حَقْلُ قمح .

١٥ ــ نهر الدانوب هو نهر فيّنا ويقال له نهر الطونة وهي قريبة من الدانوب. وفيه الباب الحديدي وهو مهوى ماء بروع فيما ذكروا .

١٦ ــ المسعدي : صاحب رواية السد ، وهو وزير المعارف بتونس .

١٧ ــ مالك يا فارس الخ : هذا من قطعة لكيتس *John keats* ستأتي ترجمتها كاملة من بعد إن شاء الله . وبركة الأوزين هي القطعة الموسيقية المعروفة .

١٨ ــ وياسمك ياسمك هل أنت على العهد ، ألف ليلة وليلة في أولها والله أعلم .

١٩ ــ ألا أيتها الريح ، إلخ ، فيه نظر ترجمة إلى الريح الغربية ، لشيلي .

٢٠ ــ ألا ترنو إليها ، عن شعر الشاعر الانجليزي وليم وردثورث . وكيف الغَوَاية : بمعنى غواية الحب ههنا ، من شعر شكسبير :

Tell me where is fancy bred

وإلى السلاح من كلمات نابليون لما صيح به يا خارجاً ن القانون .

٢١ ــ وأماالزبير بن العوام فكره صلاتهن في الجوامع ، إشارة إلى ما ذكروا من خبر اختبائه لزوجته في طريقها إلى المسجد : وكان هَمّ بمنعها إياه فلم تقبل منه ، فاحتال على منعها بهذه الحيلة ، إذ لم تعرفه ، وحسبت أنه أجنبي وكرهت ما كان منه وظنت أن الناس قد فسدوا فلم تذهب إلى المسجد من بعد . وروي عن عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت ما معناه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قد رأى ما أحدثت النساء بعده لمنعهن من المسجد كما منعت نساء بني اسرائيل .

وفي البخاري « إذا استأذنت امرأةُ أحدِكم إلى المسجد فلا يَمْنعها » قال الشارح ويشترط في الجميع أمن الفتنة . وقال صاحب زاد المسلم ما معناه كان هذا على زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصه أما الآن فلا ... قال رحمه الله ولا سيما نساء مصر .

٢٢ ـ لقيط بن زراة سيد بني دارم قتل يوم شعب جبلة وابنته دَخْتَنُوس وحاجب بن زرارة صاحب القوس، أخوه .

٢٣ ـ هند بنت عتبة ، من نساء العرب . قالوا طاف معاوية البيت في خلافته فزحم جمعه شيخاً كبيراً فسقط فنقم ذلك من معاوية وذكر له أنه كان هم أن يتزوج أمه . قالوا قال معاوية له وإذن لأنجبت ـذلك أن ابن الشيخ وهو السائب ، قالوا كان من الخيار ، ذكروا أن عمر قال لا يجد أحداً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا من العيوب غيره . قلت عسى أن يكون معاوية أراد أن يُطَيِّبَ خاطر الشيخ لا أن يُعَرِّض له أن هنداً قد أنجبت ـ أو كأن الشيخ مدح هنداً فيه ، أي ذلك كان . وكانت إذ أسلمت حسنة الاسلام قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم أحب أهل بيت إليها أن يعزوا بعد أن كانت لا ترضى إلا أن يذلوا أو كما قالت وهذا عسى أن يكون معناه والله أعلم .

٢٤ ـ زينب بنت الحرث : هي التي سمّت الشاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر . أوْق الجبال : ثقل الجبال .

٢٥ ـ الرّهْق الأسود من الشياطين التي حبسها سيدنا سليمان عليه السلام فيما ذكروا .

٢٦ ـ كيف الغواية في الحب يا متيم تَرْبو ـ مرّ الحديث عنه . سبعين ألف دراع من قطعة من شكسبير بتنويع وتحوير الخ *Full Fathom* ويابنت عشرين *Sweet- and - Twenty* الأغنية له مع تغيير ما .

٢٧ ـ مَارَا : من رجال الثورة الفرنسية كان في حمامه الساخن إذ أغمدت به شارلوت الخنجر . وماري انطوانيت زوجة لويس السادس عشر التعس ، وكل ذلك في أخبار الثورة الفرنسية .

٢٨ في معركة حياته الفاصلة ، واترلو ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً .

٢٩ — إلا أن الأشهر أن ياجوج وماجوج ... أمر الساعة كله كما قال تعالى : وما أمْرُ الساعة إلا كَلَمْحِ البصر .

٣٠ — واجتهد أحمد أمين — هذا في فجر الاسلام وضحاه وفيهما مزاعم شعوبية فارهات ... والوزير معنى عربي قديم . وعندناللعروسينوزير ووزيرة. وقال أحد الشعراء السياسيين المعاصرين يعرض ببعض تكوينات ما قبل الاستقلال وما كان فيها من وزراء : وزرا العريس جاطوها ، أي أفسدوها ولا تعجبني قافيته ، وقوله وزرا العريس أي الوزراء زعما لا حقيقة كما ينقل عن أهل الصين أنهم يقولون « نمور الورق » .

٣١ — جبور هو جبرئيل جبور له كتاب في عمر بن أبي ربيعة .

٣٢ — وُوبْ عَلَيْ ، عبارة عامية معناها ويلٌ لي — من ويبَ لك ولَه ُ . وكانت أكثر نساء القرى يقلن وَيْ عَلَيْ فكادت تختفي هذه .

٣٣ — هَلُمَّ إلي ، كلمة أسد الله حمزة لِسباع بن عبد العزى وجعله كأمْسِ الدابر .

٣٤ — بئر بَرْهوت باليمن ، قيل هي البئر الْمُعَطلة — قال تعالى : « بئرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ » .

(١١)

١ — وهذا جائز عند العرب ، — أي الفصل بين المضاف والمضاف اليه بالمعمول وشاهده زَجَّ القلوص كما في المتن — وبكَفِّ يَوْماً يَهُودِيٍّ قد يقال فيه إنه يتوسع في الظرف ما لا يتوسع في غيره .

٢ — خرشي الثاني ، سبق الحديث عنه رحمه الله . ولقب خرشيا أو سمي بذلك تيمناً بخرشي شارح خليل .

٣ ــ خضراء الجبين . خضراء فاعل شدت .

٤ ــ هل القمح مر ؟ هكذا قالت السيدة الفاضلة صاحبة « النّابالم جعل قمحَ الأردُنِّ مُرّاً » .

٥ ــ معلم جنيد مَرّ ، وههنا إشارة إلى ما رواه من خبر المعتمد بن عباد وجواريه ، أخذا من كتاب نفح الطيب .

٦ ــ « إن تلك التي تَرَيْن » إلخ ، ليزيد بن معاوية لما واقع جارية له كانت سوداء والأبيات في البلاذري . « إذا جَلَسْتُ على الأنماط » من شعر يزيد وأم كلثوم من نسائه .

وما أشك أنه شدد على ابن زياد في قتل الحسين وتواتر الخبر أنه كان صاحب قرود وفهود واندقت عنقه وهو يستعرض الخيل يحاكي سيدنا سليمان ونزع الله الملك من آله ، وأمه كانت أعرابية عاسية في ذلك وهي المنسوب إليهـــا :

لَبَيْتٌ تخفق الأرواحُ فيــه أحبُّ إليَّ من قصرٍ منيف
ولُبْس عبــاءةٍ وتَقَرَّ عيني أحب إليَّ من لبس الشفوف
وخرق من بني عمي خفيف أحب إليَّ من علج عنيــف

وهلك ابنه معه ، ونسبوا إليه صلاحاً وندماً وكأن الناس كرهوا آل يزيد ينبئك عن ذلك اعتذار حسان بن بحدل الضعيف عن بيعتهم لمروان بن الحكم واحتجوا بأنه شيخ وخالد بن يزيد غلام حدث . وفي أخبار عبد الملك بن مروان ما يسيء عن بعض هذا الذي نذهب إليه والله أعلم .

٧ ــ ليلة السكاكين الطوال ، كان ذلك عام ١٩٣٤ ذكروا أنه كان هتلر في برختسجادن . فأنبأه هاتف من جماعة فون بابن أن القوم ببرلين يأتمرون به . فهجس في نفسه أن الهاتف نفسه منهم . ومضى بطائرته إلى برلين فما

أصبح حتى جعل شليخر وأسرته ورويم وجماعة من صحب فون بابن كأمس الدابر وأدْرِكَ الهاتف في طريق النمسا فقتل :

وأقْبَلَ رهط النابتين عصابــةً على الحكم لا يبغون غير غُرورِ
وسُرُّوا بأن فازوا كأنْ كان فوزهم زمان خِصَالُ السبق عطفُ مديرِ
زمـان يَؤُمُّون النـدَّى مـلالـةً على حَسَكٍ باقٍ وغـلِّ صدورْ
وما شعروا إذ يخدعون نفـوسهم بطاعـةِ مأمور وزهْو أمـيرِ
بـأن دِعامات السياسَةِ قُـوَّةٌ وأن ثيابَ المُلْكِ ذاتُ قتـيرِ
وجاء ابنُ تُرْنَـا والعصابة حَوْلَهُ فطاحت بهم رعناء ذاتُ صَفيرِ

٨ ــ نحن وفد التهنئة ، من كلمات عبد المطلب بن هاشم لسيف بن ذي يزن

٩ ــ الملك لير ، من قصص شكسبير ، وزعم أن الذباب قد جسر فزنى أمامه ــ كأبي خالد صاحب الجاحظ وارجع إلى حديثه في الحيوان عن الذباب وعن الفيل .

وقصة الملك لير جارحة للقلب بعيدة أغوار المأساة ومثلها في أحوال الناس مما يتكرر ــ مزاج الذلة والجحود ودنس الانفاس .

١٠ ــ مايجسرن من رَجُلٍ أجْسُرُ : What Man Dare I Dare

من قصة ما كبث لشكسبير .

١١ ــ ثم أخذ في الطعن على تُرك المسلمين وذلك حينما تحدث أنه كان إذا لقي تركيا خبيثاً ذا لحية أخَذَ بحُلْقُومه وخَبَطه هكذا ... وانتحر المسكين بعد أن خنق النَّعْجَة المسكينة دزدمونة صريعة المنديل كما يفعلون الآن بشرابات النيلون في القرن العشرين وخُلِقَ الإنْسانُ ضَعيفاً .

١٢ – وليس كلّ النوى ، من شواهد النحو . ويطعمونه المِعْزى في نافذة
ـطار وفي شعر الحماسة أيضاً .

١٣ – صوصيم حلال ، مَرَّ بك آنفاً .

١٤ – وإيم علامة الجمع – الوجه كما في الذي مر : الياء والميم .

١٥ – هو المُنْحَمنّا وهو البرقليطس – ذكر ذلك ابن اسحق في السيرة ،
هذا في خبر البشارة برسولنا عليه أفضل الصلاة والسلام .

١٦ – « ألاّ ترى ولا تُكَلِّمْ أَحَدا » – التفت من الأخبار إلى النهي وهو
ـ شواهد محمد بن جرير رضي الله عنه .

١٧ – يا ودود ، دعوة المكي بن الفقيه حمد ، رضي الله عنه لما أحاط به
ـك وانظر مقدمة أصداء النيل .

١٨ – وبتَفل بالتحريك ، وبلا طيب .

١٩ – عُومي يالْ وزِّيْن – عومي يا أيتها الوزِّينة . خَلِّسي حقوقُهْ أي
طيه حقه كاملاً ... من أغاني العرس .

٢٠ – لو كان في العمر مَدّى أو مَجَال – لأندرو مارفيل ، مترجمة من
ـمة له مشهورة « لكنني يا مشتهاة العبير الخ » ، ليس له وكذلك أبيات عدد
ـ بعد ليس ينظر اليه منها إلا « مركبة الأيام تدنو » « ويأيها الفارس » من بعد
ـ إلى كلمة كيتس وقد مر بك منها شيء . « وقد كسفت شمس الضحا »
التغني كسائر ما قبله .

٢١ – أزرق أفندي أحمد رحمه الله رحمة واسعة كان من المدرسين القدامى
ـار من كبار موظفي وزارة التربية من بعد ، وهو من ذرية الفقيه أحمد

أبي جدري بن الفقيه حمد بن المجذوب وسميه أزرق أفندي عمر رحمه الله كان باشكاتب المعارف ، من ذرية الأزرق بن الفقيه حمد بن المجذوب والمشار إليه ههنا هو الأول لممارسته التدريس .

٢٢ – كلدون من ملوك مدين حين أنذرها سيدنا شعيب عليه السلام فهلكت – روى الطبري

كَلَمونُ هـــو ركني   يوم أودى تحتَ ظُلّه

قالته أخته ترثيه لما هلك تحت الظُّلّة . ولم ينج من أهل الظلة أحد . فإن كانت مؤمنة فلا يعقل أن تأسى على قوم كافرين . ولعلما كانت في بلد آخر فبلغها منعاه والقرابة تعطف .

٢٣ – « فيليب حتّي » من مدرسي التاريخ المعاصر . كان لبنانياً ثم هاجر إلى أمريكا واستشرق بكتاب في الحضارة والتاريخ الاسلامي .

٢٤ – وإنّا لصادقُون – لو كانت مفردة كانت من الأسماء الحسنى أما الجمع فأفادها معنى الوصفية حيث وقعت ههنا موقع خبر عن المبتدأ .

٢٥ – قصة عبدالله بن الثامر في السيرة . وقالوا أخذ النصرانية من فيميون لما جاء هذا نجران وكان يعرف اسم الله الأعظم فلم يخبر به عبدالله بن الثامر. فعمد عبدالله بن الثامر إلى قداح فكتب عليها كل اسم يعلمه لله ثم ألقاها في النار فاحترقت إلا واحداً كان عليها اسم الله الأعظم فعرفه بذلك . قالوا وكان آصف (بفتح الصاد) بن برخيا وزير سيدنا سليمان عليه السلام يعرف اسم الله الأعظم . وكل اسم لله من أسمائه الحسنى فهو اسم الله الأعظم متى صدقت النية وأخلص القلب وكان من الله التوفيق . قال تعالى : « ولله الأسماءُ الحُسْنَى فادْعُوهُ بها » . اللهم وفقنا واهدنا وانصرنا وتوفّناحين تتوفّانا

مسلمين . اللهم أظلّنا بظلك في الدنيا والآخرة . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

٢٦ – جعد بن درهم – مرّ آنفاً خبر ذبح خالد بن عبد الله القسري إياه حين كان أمير العراق . وكان خالد في شبابه الأول من أصحاب عمر بن أبي ربيعة . قال رحمه الله يذكر إحدى صويحباته :

لبالأمْسِ أرْسَلْنا بذلك خــالــداً إليكَ وبيّنا له الأمْرَ أجمعا

وكان يقال له خالد الخِرِّيت بكسر الخاء وتشديد الراء مكسورة أي الخبير وأصل الخريت العالم بدروب الصحراء ودلالات السير فيها . وكانت أمه نصرانية وزعموا أن أحد الشعراء قال في المؤذنين « إنّهم يُبْصِرُون من في السطوح :

فيشيرون أوْ تُشِيرُ إليهـــم بالْهَوى كُلُّ ذاتِ دَلٍّ مليحِ »

فأمر خالد بهدم بعض المنارات وكان بنى كنيسة لأهل الذمة أو أذن لهم بذلك لمكان أمه منهم فقال الفرزدق :

ألا قَطَع الرحمنُ ظهرَ مطيــةٍ أتتنا تَهادى من دِمَشْقَ بخالدِ
بنى بِيعَةً فيها الصليبُ لأمــــه ويهدِمُ من كفر منارَ المساجد

وإنما هجاه الفرزدق تعصباً لمضر إذ كان خالد القسري من اليمن ذا عصبية لهم . ولم يكن الفرزدق من رجالات الدين وأوشك الحسن البصري ألا يسمع هجاءه في إبليس كما تعلم . وذكروا أن عمر بن عبد العزيز هم بإزالة مــا بالجامع الأموي من نقش فقال له خالد القسري ليس ذلك فغضب عمر فزعموا أنه قال له ما معناه فلمن ألأمك النصرانية ؟ فاعتذر خالد عنها بما جعل عمر يرضى وكان رجاعاً إلى الحق قالوا ولما رأى عمر إكبار وفد الروم لصناعة ما صنع المسلمون في الأموي أقلع عما كان هَمَّ به .

هذا وجعد بن درهم من رُوّاد سبيل الكفر وعسى أن يكون قد تاب قبيل أن يذبحه خالد ــ الآن وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ . والله تعالى أعلم .

٢٧ ــ قال تعالى ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أو تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ــ فهذا مقالنا لاهث . وعلى فرض أن الذي انسلخ من آيات الله كان أنثى فيصح أن يقال فيه لاهث ، على حد طامث وحائض . وما نعلم نبيّة أنثى الا ما ذكروه من أمر مريم ــ وعيسى .

٢٨ ــ قال تعالى (الأعراف) (واتلُ عليهم نَبأ الّذي آتيناهُ آياتنا فانْسَلَخَ منها) ، قالوا رجل من بني إسرائيل يقال له بلعم بن آبر أو بلعام بن أبر ، وقالوا كان من غير بني اسرائيل ، وكان قد أوتي النبوة وكان مجاب الدعوة فسأله قومه لما أقبل موسى في بني اسرائيل أن يدعو عليهم ، قالوا فقال لهم أنتظر حتى أؤامر ربي ، فنهاه ربه عن الدعاء على بني اسرائيل ، ثم غلبت عليه الوطنية أو القومية أو القبلية فلعنه الله وسُحِبَ من النبوة ، ولا يخفى أن هذه وجهة نظر اسرائيلية بحسب مفهومات هذا العصر . وهل لو لم يؤامر ربه كان ينهاه ؟ وقال الطبري في حديث يرويه عن ابن عباس كان في بني إسرائيل بلعام بن أبر أوتي كتاباً وقال آخرون بل كان أوتي النبوة . قال في موضع آخر وقالت ثقيف هو أمية بن أبي الصلت أي (الذي آتيناه آياتنا فانْسَلَخَ منها) وقال آخرون كان بلعم هذا من أهل اليمن . قال أبو جعفر في ترجيحه على دأبه ونهجه وجائز أن يكون الذي كان الله آتاه ذلك بلعم وجائز أن يكون أمية ــ الخ ــ قلت ونحو هذا كأنه ترجيح لأمر أمية إذ لم يستبعده كما ترى والله أعلم .

٢٩ ــ ذؤاب ، وزير سيدنا داود عليه السلام . والابن المقتول كان فيما تزعم توراة العهد القديم قد ثار على سيدنا داود عليه السلام وهو أخو الفتاة « تَمَر » شقيقها والذي فجر بها ابن أبيه ــ قيل احتال عليها حتى صارت إليه

لتمسحه وهو كأنه عليل ، فأتاها فلما قضى وطره ملىء قلبه لها بغضاً — وإنما أبغض البائس نفسه وهكذا أبي أكثر الناس إلا كفوراً .

٣٠ — صاحبا الطيب والكير في الحديث الشريف .

٣١ — قرىء تماماً على الذي أحسنُ بالرفع واستشهدوا بقول الآخر :

من يعرف الحق لم ينْطِقْ بما سَفَــهْ

أي بما هو سفه . وإنما يصلح حذف العائد إذا طالت جملة الصلة مثل قوله تعالى (وهو الذي في السما إله) — أي هو في السما إله ، فطول الجملة سوّغ حذفه . والقراءة الجيدة الفتح — فعلٌ ماضٍ : تماماً على الذي أحسَنَ كما لا يخفى .

٣٢ — قف يا وقّاف ، مرت بك في خبر نافعْ بن الأزرق مع سيدنا عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما .

٣٣ — زكاة جَمالٍ — قالوا نزل الشريف يوسف الهندي بالدامر ضيفاً عند الشيخ عبد الله النقر رحمهما الله وزارا ضريح الشيخ محمد المجذوب رضي الله عنه . وبعد الزيارة جيء لهما بلقمة لها إدام جيد — كُرّارَة أو تَقَلِيّة — فاستحسن ذلك الشريف وقال إنه من إكرام صاحب الضريح لهما ، فأنشد الشيخ عبدالله :

زكاة جَمال لا جمال

بيت المعري :

زكاةَ جَمال لا جِمال فان تكن زكاةَ جمال فاذكري ابن سبيل

وهو في قصيدته التي مطلعها :

سألت أيّ الدمع فوقَ أسيــــلِ ومَالَتْ لِظلٍّ بالعراق ظليل

من ديوانه سقط الزند

قالوا فكان لذلك وقع حسن عند الشريف رحمه الله . وكان حلو الفكاهة حاضر البديهة فقال : سبحان الله نحن نفكر في الطعام والشيخ عبدالله ينظر إلى سنيات المعاني — كأنه رحمه الله يروي هذا الخبر بعد زمان من وفاة الشيخ عبدالله ، والله أعلم — رحمهم الله جميعاً .

حاشية : اللقمة من الذرة ، يدق وينخل ويعجن حتى تصير العجينة بيضاء ناصعة يقال لها الجيرية ، ويخمر ثم يغلي ويساط عصيدة حتى تنضج كثيفة ، ثم يُكَوَّر ذلك في ماعون ثم يكفأ على قدح الدَّبْكَرْ ، وهو جَفْنَة من خشب يقال له الدبكر ذات نقوش ، أو على صحن الصيني السكسوني ذى الزخارف الزرق ، ويُصب حول الكرة البيضاء إدامها ويقال للأدام عندنا المُلاح بضم الميم ولام ألف ثم حاء مهمله .

ومُلاح الكرّارة يُصنع من الرَّوْب يُغلى مع نَشَاً فيه من دقيق ونحوه ولزاجة يُفادها من مسحوق البامية ، ويضاف إليه من بصل وبهار في غير ما إسراف ، ثم يصب حول اللقمة ويوضع عليه من السمن الزاكي ، وملاح التقلية يصنع من البصل المقلي حتى يحمر — يغلى في السمن — ثم يسحق مدقوقا ويُخلط ذلك بدقيق ناعم من الويكة (البامية) الناشفة والشرموط وهو قديد ، لحم البقر الناشف يدق وينعم ، ثم تغلى هذه المخلوطة مع ما يَستحسن الصانع من بهار فتكون إداماً أحمر ذا طعم جيد .

وقد يُخلط صنف يكون بين الكُرَّارة والتقلية فهذا اسمه نِعيمِيّة .

ولم يكن الجعليون يسمون اللقمة إلا العصيدة ، وكان ملاحهم لها الكرارة وملاح الشرموط وهو دقيق اللحم الناشف مع دقيق الويكة الناشفة وشيء من بصل وبهار قليل . ولم تكن عصيدتهم جيرية وهذان الطعامان أصح وأخف . وأصل التقلية من دار فور في ما بلغنا — أما النعيمية فمستحدثة — والله أعلم .

١ — حافر مُقَعَّب وحافِرٌ وأبُ — جاءت هذه الألفاظ في إعتذار ابن الرومي عن بعض ما وُصِفَ به أبو تمام الفرس وانظر العمدة لابن رشيق في أولياته عند حديثه عن الطبع والصناعة وما هو من هذا الباب .

٢ — عروسنا المَنْقَة الخ من أغاني العرس وعصير المنقة من المتعات . ونطق المنقة مختلف في بلاد العربية وكتبها ابن بطوطة « العَنْبَا » وهذا أقرب إلى الأصل الهندي والله أعلم .

٣ — تَمُدُّ عيرٌ تَدُقُّ مفسر فيما بعد ، وهو من الاختصارات التي تذكر علامات الساعة ، الترك (وهم مذكورون في الأحاديث الصحاح) المهدية ، الدجال ، عيسى ، ياجوج وماجوج ، رفع القرآن نار تخرج من عدن ومن الحجاز ومن المشرق ، الدابة ، قيام الساعة — وكررنا الشرح هنا ليكون مجموعاً في مكان واحد إن شاء الله .

٤ — يحملن أترجة : من كلمة علقمة — في المفضليات —

هَلْ مَا عَلِمْتَ وماستُه دعتَ مكتومُ أم حَبْلُها إذ نأتْكَ اليَوْمَ مَصْرومُ

وهي من الروائع . حديث الشاعر فيها عن تحول الزمان . كيف انحسر عنه الشباب والغنى والفتوة ونَعْماء العيش — ثم فيها أسىً بَرْحُ على فراق حبيب ، إما جعله رمزاً عن نعمة العيش التي زلّت كما قال الشنفري :

فيا كَبِدا على أُمَيْمَةَ بعدما طَمِعْتُ فَهَبْها نِعْمَةَ العَيْشِ زَلَّتِ

وإما جعل نِعْمة العيش رَمْزاً له — أو كلاهما رمزان متداخلان . والقصيدة غالب عليها أريج العطر وخصب الرياض — حتى منظر الصحراء حيث يباري

الظليم نعامته جعله علقمه « يَوم رذاذ عليه الطَل مَغيُوم » — وأسكنه في في رياض وشبهه في إنقاضه ونقنقته بالضفدع عند مسايل المياه . وفي القصيدة بعد تجاوب أنغام وأصوات — كما تَرَاطَنُ في أفدانها الرُّومُ . يوحي إليها بإنقاض .

قد أشهَدُ الشَرْبَ فيهم مِزْهَرٌ رذِمٌ   والقومُ تصرعهم صهباءُ خرطومُ

ولقد أحسن في جعل هذا كله كتابة عن الشباب الزائل .

ومما يدلك على فحولة علقمة في الشعر أن بائيته التي تُقرن بهذه الميمية (المفضليات) تغلب عليها صُور الهَوْل والرهبة والجدب والموت الكالح . . فتأمل . وجُهَلاءُ النُقاد ينسبون كل شيء في شعر العرب إلى بيئة الشعراء ويَنْسَوْنَ الشعراء أنفسهم وما كان يعتلج في صدورهم من أصناف البيان — فالشاعر الذي لون ميمية علقمة من هوادجها الحمر إلى خطبانها الأخضر ، وأترجها الفواح وعنبها العزيز ، وإبلها الثقال المشي المرزمات بالحنين ، وهو نفسه الذي يقول : :

هَدانِي إليكَ الفرقدانِ ولا حبٌ   لَه بَيْنَ أصواء المِتانِ عُلوبُ
بها جِيَفُ الحَسْرَى فأمَّا عظامُها   فبيضٌ وأمَّا جِلْدُها فصليبُ

والذي يقول :

كأن رِجَالَ الأوْسِ تَحْتَ لَبانِـــه   ومَا جَمَّعَتْ جَلٌ معا وعتيب
رغا فَوْقهم سَقْبُ السماء فداحِضٌ   بِشكّتِه لم يُسْتَلَبْ وسَلِيب
كأنهمَ صَابَتْ عَليهم سَحَابَةٌ   صَواعِقُها لطيرِهِنَّ دَبِيبُ

وإن من البيان لسحرا — صدق الصادق المصدوق ، عليه صلوات الله وسلامه .

٥ — كَذِراعَيَّ ثَلْجِ قِصص السَويد : التشبيه بذراعي ثلج السويد فيه

إشارة لقصة الأميرة التي أحست بحزن ورأت نقطة دم على الثلج وتمنت أن تلد فتاة بيضاء كالثلج على خديها نقطتان حمراوان من التوريد كالدم الخ . . قالت الاشتراكية الحسناء : نحن لا نحتاج إلى التمرينات الرياضية الامبريالية المفتعلة . نحن نأكل جيداً ونعمل بجد . فتمتلىء الساقان . ويتورد الخدان . . . هل قال ماركس يَسْتَغْنِي عن الجنس ؟ . . قولان .

٦ — انسولا . انسولاي . انكولا . انكولاي — من ألفاظ اللغة اللاتينية أي جزيرة ومواطن فيما ذكروا .

تراش كلمة روسية معناها كراسة . كرنداش قلم — وجلي أن جميع هذا في كتب التعليم للمبتدئين . شمهورش من أسماء الروحانيين في كتب الطلاسم

٧ — لنا سباق الخ — قال الحادي بعلي كرم الله وجهه :

قد علم المِصْران والعراقُ
أنّ عَلِياً فحلها العِتاقُ
لنا سباقٌ ولكم سباقُ
قد علمت بذلك الرفاقُ

٨ — كالشمس الخ من قصيدة المتجردة وأنكر بعضهم نسبتها إلى النابغة ولا أفعل ، إذ لم ينكرها متقدم ونهجها نهج النابغة لا ريب فيه ، وتناولها أبو العلاء في رسالة الغفران بحديث حسن .

٩ — هل تذكرين فندقاً مراندة — من قول الآخر :

Do yon remember an inn Miranda

والبيتان بعد للمؤلف . وهلتون وسميراميس وشبرد وكلّ أولئك من فنادق الدرجة الأولى بالقاهرة . وفيها منهن عدد ، نحو ثمان تنقص أو تزيد .

١٠ — ابريه (هل هي محريف من [illegible]

شراب يصنع من الذرة . ولعله هو السّويق . وهو صنفان أبيض وأحمر . أما الأحمر فحمرته من الذرة تُزرّع وتسحق وتضاف الى عجينة أخرى لم تُزْرّع . ويضاف إليها بهار ثم تخمر وتُعاس على الصاج وتُكَشْط حتى تصير كسرتها رهيفة وتُدّخر وتنقع في الماء . وصناعة الأبيض قريب من ذلك إلا أنه لا تضاف إليها الذرة المزرعة (تسمى الزّريعة بكسر الزاي وراء مشددة مكسورة) وعمادها الحلبة بعد أن تغلى وتسحق . قليل منها . وشيء من كمون وبهارات وتكشط من فوق الصاج حتى تصير رِهافاً . وتنقع في الماء وتنقع غلة العطش الشديد . وكانت الآبريه أعلى شراب أهل السودان وحل محلها الأشربة الحديثة كالكوكا كولا والبيبسي كولا وهي أجود منهن وأقصد . ولكن أمزجة الناس تتغير بين حين وحين والله المستعان .

١١ — شبة بن عقال : كان رجلا طوالا سماه جرير بن الخطفي سَلْحَ النعامة لطوله : قالوا وكان قائما في الجيش فأحدث فقال جرير :

فَضَح الكتيبةَ حين يضرط قائمـــاً سَلْحُ النعامة شَبّةُ بن عِقـــال

١٢ — برج عثمان موضع بشمال إسبانيا .

١٣ — لعل الله يهدينا في ليلة ، إشارة إلى حديث فِطر بالفاء المكسورة في مسند أحمد وقواه ابن كثير في النهاية : باب الفتن : وقد مرّبك شك البخاري في سنده .

١٤ — المديد نمط صعب . المديد بحر من بحور الشعر وزنه

فاعلاتن فاعلن فاعلاتن

ومنه قصيدة تأبط شرا :

إن بالشِّعْبِ الذي دُون سلع لقتيلاً دَمُـــه مـــا يُطَلّ

وانظر الحديث عنه في كتابنا المرشد تحت عنوان « النمط الصعب » وهي مأخوذة من أبي عبيد البكري في سمط اللآلى . وللأستاذ محمود محمد شاكر

مقالات حسان تناول فيها هذا الموضوع في مجلة المجلة وهي التي أشرنا إليها أنها عمل متقن . والأبيات « إن بالشعب الخ » كما رجح لابن أخت تأبط شرا والله أعلم .

وليس جد بعيد أن بعضها منتحل على النحو الذي قدمنا في المرشديزيد أو ينقص وأن بعضها صحيح ولا دُخَانَ بلا نارٍ كما تقول العامة . ونسبة الانتحال ما لعله أن يكون قد انتحله منتحل منها إلى خلف الأحمر ، باطلة إن شاء الله ، وخبر دعبل عسى أن يكون موضع نظر – وارجع إلى تحقيق الأستاذ شاكر . والأبيات « ليت شعري الخ » من كلمة طويلة طولا ما للمؤلف مطلعهـــا :

قد تذكرت الفتاةَ الحَلُوبــا أصْبَح القلب إليها طروبــا
مـــا تسلّيت بأسفارِ جَـــوٍّ ثُمَّ بَحْرٍ وسمـــت الدروبا

١٥ – « أنا النبيُّ لاكذب » قاله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وهو من منهوك الرجز ، وليس الرجز من الشعر وإنما هو ضرب إيقاعي بين السجع والنظم المحكم وهـــذا مذهب الخليل فيما ذكروا ، وكان حاذقاً حجة بلا ريب . وليس عندي والله أعلم أن هذا مما وقع موزونا على لسانه لمجيء « ويُخْزِهم وينصُرْكمْ عليهم » « وجفـــان كالجوابي » في القرآن ، فالوزن في نظم اللفظ العربي مما يتفق والشعر على النية . ومقال النبي صلى الله عليه وسلم ما قال في الحرب رجز لا مدفع ، لذلك لا يوصف بأنه مما اتفق اتفاقاً إلا على إفراط من التماس وجوه التأويل . والموقف موقف رجز . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي كان يعجبه الرجز إذا أنشده – هذا معناه وانظر خبر أبي هريرة رضي الله عنه مع العجاج حيث أنشد :

سَاقاً بَخَنْداةً وكَعْباً أدْرَما

والرأي كما قدمنا ما ذهب إليه الخليل بن أحمد رحمه الله وجزاه خيراً من أن الرَّجز ليس من الشعر والله تعالى أعلم .

١٦ ــ يَحْمِلْن عبّاس بن عبد المطاب من رجز أوله :
صَبّحْن من كاظِمَة الرّبع الخرب
والمراد ههنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

١٧ ــ الأجاص والتفاح في مقدمة ابن قتيبة

١٨ ــ يا مَسد الْخُوص ــ أي يا أيها الْحَبْل الناعم المصنوع من الخوص تعَوذْ مني لاني سأجذبك جَذْباً قوياً ويصل إليك البلى وعنف المعاملة من طريقي والله تعالى أعلم .

١٩ ــ قال تعالى (سورة الأنعام) « فَمَن يُرِد اللهُ أن يَهْدِيَه يَشْرَحْ صَدْرَه للإسْلام ومَنْ يرد أن يُضلّه يَجْعلْ صَدْرَهُ ضيقاً حَرَجاً كأنّما يَصّعّد في السّماء ، كذلك يَجْعلُ اللهُ الرِّجْسَ على الّذينَ لا يُؤمنون » أنظر تفسير القرطبي الجزء السابع ، طبعة دار الكتب ، ١٩٣٨ م ، ص ٨١

٢٠ ــ والذي لقي الغيث الخ ــ مرّ بك بعض الحديث وهو في تفسير آية هود « إن الْحَسَنات يُذْهِبْن السّيئاتِ ذَلِك ذِكْرَى للذّاكرين »وانظرالطبري.

٢١ ــ إشارة إلى حديث سيدنا عكاشة بن محصن ، فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قتل أول حرب الردة ، قتله طُليحة الأسدي هو وثابت بن أقرم شهيدين رضي الله عنهما وأسلم طُليحة من بعد وشهد القادسية ونهاوند .

٢٢ ــ الزار ، من رقصات العامة له صلة بالهسّتريا والجنون والتنفيس . أصله من مصر أو الحبشة ويوجد منه بالمغرب ونيجريا ومناطق من غرب افريقية وكان كالمعدوم بين طبقات أبناء البلد بالسودان وإنما وفد عليهم طارئاً. قالوا وكان ممنوعاً أيام المهدية ، فلما كانت كررى وانتهى أمرالخليفة احتفل أهل الزار مجاهرين بذلك فيما بين كسلا والأبيض والله المستعان .

٢٣ — وذات الجبين المعجبها ألقت عنه الخمار . . . كان إلقاء الخمار لا يكون من الحرائر بحال ، وإنما تكشف عن رأسها الأمة احتراماً لسيدها ومن بمنزلته . وعند بعض الاطباء أن الخمار إذا التثم به ربما وقى الوجه من بعض سَرّطان الجلد . قالوا وكثير من الطهارة والاختتان ربما وقى من سرطان مواضع الأذى من ذلك لقلة هذا الضرب منه بين المسلمين واليهود . . .وهذا باب لا زال مجال بحث وفوق كل ذي علم عليم .

٢٤ — هذا الفندق قد احترق الخ — هو شبرد القديم أواخر أيام فاروق رحمه الله .

٢٥ — النهاية لابن الأثير ، معجم في غريب الحديث ، طبع بولاق والبداية والنهاية لابن كثير في التأريخ ، جيد . قال أحدهم حاطب ليل ، قلت يا سبحان الله ونهارٍ . ومحمد بن اسماعيل البخاري رضي الله عنه ، صاحب الصحيح ، حتى ما يعرض له من نَحْوٍ وصَرْفٍ فيه بركة . . : قبره من سمرقند قريب :

والمناراتُ في سَمَرْقَند أحزنَتْك والدهر بالحوادث مُـــرُّ
وعفت أربع البروج من المسجدِ والرّسْمُ منـــه كاد يخـــرُّ
وقديماً كانت تُنَصُّ له العيسُ وكانت بناؤهـــا مُشْمَخِرُّ
وعلى الرمل من بَخَاتيٍّ أهْلِ النَّهْرِ رَكْبٌ إلى الحجازِ اسْبَطَرُّوا

٢٦ — وهم الترك الذين في تمد عيرندق ، سبقت الأشارة إلى أن فتح بلاد الترك من علامات الساعة . وأهل السودان يسمون كل الحمر الألوان التُرُك بضمتين وكانوا يقولون للانجليز الترك لأن الترك جاءوا بأمثال غوردون وبي عمومته الأوربيين الآخرين كأمين باشا وجقلر وجسي وهلم جرا .

٢٧ — وكيع بن أبي سود أمير الجماعة وتولى قتل قتيبة بن مسلم ، وكان جافيا ذا عنجهية وخطب خطبة منكرة بعد قتل قتيبة . وعقيل بن عُلّفة المري كان شاعراً وكان شديد النفس مر الشكيمة .

٢٨ — يا قطعة حضرية من كلمات ألف ليلة وليلة حين اختطف البدوي الدمشقية وهددها فسكتت ثم سكتت شهرزاد المليحة عن الحديث المباح .

٢٩ — مساكين كل زوجين إلخ إشارة إلى خبر سيدنا نوح عليه السلام وانظر تفسير قصته في سورة هود .

٣٠ — قال تعالى « خالِدين فيها ما دامتِ السّمواتُ والأرْضُ إلا ما شاءَ ربُّكَ » في سورة هود في أواخرها ، جاء في الجلالين في الأولى (إلا) غير (ما شاء ربك) من الزيادة على مدتها مما لا منتهى له والمعنى خالدين فيها أبدا (إن ربك فعال لما يريد) .

وقالا في الثانية رحمهما الله وبهما نفع إن شاء الله (إلا) غير (ما شاء ربك) كما تقدم ودل عليه فيهم قوله (عطاء غير مجذوذ) مقطوع . وما تقدم من التأويل هو الذي ظهر وهو خال من التكلف والله أعلم بمراده . ا . ه .

٣١ — ليسك — الكاف حرف خطاب .

٣٢ — بُسْنِي حلوا الخ . . . البيت الأول لمطلع أغنية مشهورة من أغاني الرقص

Kiss me Sweet
Kiss me Simple
Kiss me on my Little Dimple

ثم من بعد إضافات .

ماذا يا فارس ، من أبيات كيتس التي مرت بك محاولة للترجمة والتغني بالحبيب — قد أدنتني ليس لكيتس كما ترى .

٣٣ ــ قال الاستاذ محمود محمد شاكر من مطلع كلمة ينعت اللغة العربية لما تنشر بعد :

« شَيْخُنَا لم يَزَلْ يُدِيرُ علينا الرَّاح ماذِيَّةً بِغَيْرِ كُؤُس
خَنْدَرِيس تُضِيءُ غَاشِيَةَ اللَّيل بِمَسْرُودَةٍ دِلاصٍ لَبُوس
صَقَلَتْهَا القُيُون من عَهْدِ عاد بَيْنَ أطْلال مَهْدَدٍ ولِبِيس
وجَلَتْهَا ثَمُودُ إذ وَرِثَتْ طَسْماً وحازت ما كان كَنْزَ جَدِيس
واحتواها عِرْقُ الثرى فأطار الكَرَّ منهـــا بعَبْقَرِيٍّ أنيس

عنى بالكر الذي كانوا ينظفون به الدُّروع من رَماد البعر ليجلوهـــا

فأضاءتْ مابَيْنَ نجْرَانَ والشَّحْرِ وما بَيْنَ آلسٍ وأَلُوس
وتَرامى شُعاعُها لِؤْلآن الرَّفِّ من غَانَةٍ إلى تَفْلِيس
نَفَذَت في ضمائر الجِنِّ والحِنِّ بني الشَّيْصَبَانِ والدَّرْدَبِيس »

ومع هذا ينادي قوم بالعامية والافرنجية أصنافاً ، وسُما زعافاً ــ والله على كل شيء قدير .

٣٤ ــ أوفيليا في هاملت لشكسبير .

٣٥ ــ غيث النفع للسفاقسي نفيس في القراءات السبع لا يستغني عنه قارىء هو أيْسَر مأتىً من التيسير للداني على يُسْره وكلاهما متقن نفع الله به ، وجزاه خيراً كثيراً .

٣٦ ــ يونس في تونس ــ قصة أبي زيد الهلالي ــ وميّة في قصة أبي زيد جاز اختصار الجازية أخته .

٣٧ ــ عبد القاهر هو الجرجاني ورأيته يطيل الحديث عن البلاغة ويستشهد بحث من الشعر وكلام ابن قتيبة عن أبيات كثير :

ولما قضينا من منىً كُلَّ حاجــة　　　ومَسّح بالأركان مَنْ هُوَ ماسح

أجوْد وأدخل في حاق النقد من كلامه . إذ جودة كلام كثير هذا من حلاوته والحلاوة مصدرها الأنس بالخبر المألوف وما يلابسه من صدق النفس ولا تحسبن أن اجادة كثير مصدرها التصوير فالذي صوره لم يعدُ معالاة الإبل الإنضاء والأخذ بأطراف الحديث وليس في ذلك في ذات نفسه كبير غناء كما نبه ابن قتيبة ولكن الذي أغنى هو صدق اللهجة وحلاوتها وذلك هو الشعر . وقد ذكر ابن قتيبة أن أكثر الشعر أو كثيراً منه من هذا المجرى واستشهد بأبيات جرير :

إن الّذِينَ غَدَوْا بِلُبِّكَ غادروا　　　وَشَلاً بعَيْنك لا يزال مَعينا

والذي ذهب إليه رأي حسن إن شاء الله .

٣٨ ــ أمس قتلنا أبا نعامة هو قطري بن الفجاءة رئيس الخوارج .

٣٩ ــ السكاسك والسكون مَرَّ بنا آنفاً ، مرَرْنَ بنا آنفاً . إن اردت جمع سُكْسكة وليس مع ذلك سكون . قال ابو الطيب .

أمُنْسِيَّ السّكون وحَضْرَموتا　　　وَوَالدتي وكِنْدَةَ والسبيعــا

٤٠ ــ الفنجرية أي الظريفة والغجرية ههنا بمعنى البوهيمية لا بمعنى الهمجية.

عَهْدِي بها عَهْدَ الصِّبا غَجَرِيّة　　　حَوْلاءَ للمَعْيُون يُحْرَقُ شبُّها

وجُمانَـــةٌ في نَحْرِها ولُبَانَـةٌ　　　في ثَغْرِها وحَوى فُؤادي عبُّها

ويقولون هو « الفنجري أب جيبين » . مبالغة لاظهار ظرفه ، وهذا تعبير قد دثر الآن . وأصله من الجلابية أول استحداث الناس لها ــ فكان لها أول أمرها جيب واحد ثم صار لها جيبان ثم جُعِلَ الجيبان فتحتين لا غير ليَحكّ الإنسان جلده من غير حاجة إلى رفعها أو ليضع حقة التنباك في جيب القميص

تحتها . والجلابية زي مستحدث . وكان الناس يلبسون العراقي (القميص) والسروال ويحلقون الرأس كله وقد يلبسون الطاقية وقد يلبسون الثوب يلتحفون به مع العمامة إذا ظنوا أن ربما احتاجوا إلى المبيت بعيداً عن دورهم ، وذلك يكون في السفر ونحوه ، فلا يكلفون من ينزلون به مزيداً على القرى والعناقريب بما تيسر من فراش . وكان الفقراء (أي العلماء) يلبسون الثوب أبداً وحاكاهم العمد والنظار من بعد . وكان أهل البادية لا يتركون الثوب والعمامة ويلبسون الثوب وحده فيستترون به استتاراً كاملاً . وأما الفرجية والعباءة فلا ريب في أنها ليست سودانية بحال . وكذلك الطربوش المكاوية . وأما الملابس الافرنجية فأمرها معروف وأصل أكثرها تركي وبندقي إلا البرنيطة فقد نص صاحب زاد المسلم أنها من ثياب الكفار والتزيي بها ردة . وقد كان الناس يرون في « الكسكتة » بوجه خاص كفراً مارداً فتأمل .

٤١ — حيث مات الزاكي ... قالوا هو الزاكي طمل أمير الشرق استدعاه الخليفة رحمة الله عليه لوشاية وكيد وقع به . قالوا فاستقبله ثم أحاله إلى أخيه الأمير يعقوب . وكان للزاكي شاربان فحلان مرتفعان . فلما دخل عند يعقوب تلقاه الحرس فلببوه أو قبضوه وسقط شارباه منهدلين إلى تحت لما أحس الأسر . وصير به إلى السجن فيقال أعطشه إدريس الساير فيه حتى مات وكان يسمع له صوت ضعيف « مويه مويه » فسبحان الله الواحد القهار .

٤٢ — عبد المنعم حسب الله : الأستاذ النائب عبد المنعم حسب الله كان رحمه الله أديباً لبيباً ثم اشتغل بالسياسة في الحزب الوطني الاتحادي وتوفي سنة ١٩٦٨ بعد فوزه في الانتخابات بيسير ، رحمه الله رحمة واسعة .

٤٣ — الحسل ، ولد الضب وذكره رؤبة بطول العمر في رجزه وهو في ... هذا الكتاب إن شاء الله .

٤٤ — نمط صعب : الحديث عن البحر المديد .

٤٥ – تَقْضَمُ الْهِنْدِيَّ والْغَارا – أبيات عدي بن زيد « يا لُبَيْنَى أَوْقِدي النّارا »

٤٦ – والأوتاد : الوتد في العروض نحو عَلَى (مُتحرّكان فساكن ويسمى وَتِداً مجموعاً وقال متحرك فساكن فمتحرك ويسمى وَتِداً مفروقاً وراجع مقالات الأستاذ شاكر في المجلة وعنده أن الأوتاد أصول في نغم العروض إذ لا تتغير . وعسى أن أميل إلى أن الحركات عماد النغم والسكتات استراحات والأوتاد تستفيد ثبات طبيعتها من الحركات وفي المرشد أنها مركبة من أنصاف الأسباب مع الأسباب فليراجع إن شاء الله .

٤٧ – توفيق صالح جبريل توفي سنة ١٩٦٦ من شعراء السودان . كان نائب مأمور نحواً من ربع قرن أو يزيد.فكان تجاوزه في الترقية مما حز في نفسه شيئاً . وكان فكهاً بسام النفس تتأتى له السلاسة مع نوع جزالة أحياناً وديوانه الآن يعد للطبع وفيه كلمات صالحات رقيقات حسان إن شاء الله .

٤٨ – أخيل وهكتور من أبطال الياذة هوميروس

٤٩ – كالحَرَجةِ الّتي نعت الْمُدْلِجي – أنظر تفسير الطبري : سورة الأنعام ، فمن يُرِدِ اللهُ أن يَهْدِيَه يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإسْلامِ ومن يُرِد أن يُضلِّه يَجْعَلْ صَدْره ضَيِّقاً حَرَجاً ..

٥٠ – صوصيم حلال ، مرت ، يا صوصة : وهو ضرب من السجائر غري به الناس أيام الحرب بعد أن أعوزهم « جولدفلاك » ... كانوا يتموّزون « الجولد » وكان ذلك أول الخالقة .

٥١ – كلام شيخ الشونيزية ... مر آنفاً بمعرض الحديث عن معجم الناس .

٥٢ .. نفرتيتي من الجميلات على وجه الدهر ولا سيما عنقها . وتصغيف
مر ها على النحو الذي جاء به نهي الحديث والله أعلم — مر بك آنفاً .

٥٣ ـ قال أبو تمام :

أحْلَى الرِّجالِ من النِّساء مَواقعاً من كان أَشْبَهَهُمْ بِهِنَّ خدودا

٥٤ ـ استَعْدِ رَبّكَ في السماء وسائر الأخبار بعد في كتاب الأنساب
بلاذري وخبر مالك بن يخامر في البخاري .

٥٥ ـ وأبكاراً ... في سورة التحريم .

٥٦ ـ عبدالله الماحي من رواد الغناء في السودان ، ملأ اسطوانات جياد
زمانه . «ونَظْرَةٌ نَظْرَةَ يا السَّمْحَةْ امْ عَجَنْ» منهاونغمهامما افتن فيه.

٥٧ ـ الملفوظ نحو قنطار ذهباً والملحوظ طاب عليٌّ نسباً .

٥٨ ـ يخرُّ لهم ثور الجنة ... هذا فيما أعد من الطيبات لأهل الجنة وانظر
لنهاية لابن كثير .

٥٩ العضاه الأشجار ذات الشوك كالطَّلْح والسَّيال والسنط والمسكيت
جيء به من أمريكا الجنوبية وهو بين سيال وكَتر ، لا يعجبني . منقلا عاصمة
... ية منقلا قديماً وهي قريبة من جوبا . والربيت هو ما قلي من شحم حتى
صار ناشفاً مثل مقليات شرائح البطاطس وكان يباع في السودان ويحبه الناس .

... أحدهم فوجد بالسوق ربيتاً فأكل شَرِهاً حتى امتلأ وَغشيَتْ نفسه
... منه فملأ جراباً له صغيراً . فلما جاء داره قال لزوجته هاك هذا ولا
... اسمه . فتناولته وقالت : دَا شْنُو ؟ ولما رأته قالت : بِس ،
... وقال زوجها المسكين عوع ... فلم يملك أن تَقَيّأ . وما فات حَدَّه

صار إلى ضده . فيقولون الآن لمن يتأجّمُ الشيء لكثرته ، حاله حال سيد الربيت أي صاحب الربيت . فهذه قصته كما ترى .

٦٠ — وَحْشِيٌّ قاتل أسد الله سيد الشهداء حمزة رضي الله عنه .

٦١ — ما هو السر الدفين ، من مقالات توفيق دياب رحمه الله في الجهاد في دهر مضى .

٦٢ — بلح الشام : حلوى جيدة كالموز المقشور .

٦٣ — قال قطري بن الفجاءة :

غَداةَ طَفَتْ عَلْمَاءِ بَكْرُ بْنُ وائلٍ
وعُجْنا صُدُورَ الْخَيْلِ نَحْوَ تميم

٦٤ — ورجحوا أن القرن الخامس عشر لا يتم ... قال ولد دوليب في منظومته :

واختلفوا في رَابِع القرون أكامِلٌ أم ناقص التكوين

ومر بك أمر انتظار الناس قيام الساعة في آخر الرابع عشر الهجري الخ .

٦٥ — « الشّوا » صنف من عرب البقارة يقطنون بلاد برنو من نيجريا وهم امتداد لبقارة السودان .

٦٦ — كوفر وَمْبَيْ بمدينة كنو من أبوابها ويباع عنده تمر المغرب الجيد .

٦٧ — اسقاط اسمه ٦٣٥ — يعنون هتلر ، وكان الناس يريدون أن ينتصر غيظاً من الاستعمار البريطاني — الهاء : ٥ والتاء : ٤٠٠ واللام : ٣٠ والراء : ٢٠٠ .

٦٨ — بعد أن أكلوا الزغلول ... تمر أحمر كميت إلى سواد بنفسجي جيد .

يصنع منه العجوة أحياناً . وهو فيما بلغنا أجود رطب مصر ويجاء به مع قطع الثلج في الفنادق الكبيرة فترتفع قيمته أضعافاً .

٦٩ - بين آلس وألوس ، مرت بك أبيات قصيدة الاستاذ محمود محمد شاكر السينية .

٧٠ - الطابوق : الآجر بلهجة أهل العراق .

٧١ — عزّ في هواك — أغنية سودانية لخليل فرح رحمه الله .
ويا عزّ الفُراقْ بيْ طَالْ من أغاني ابراهيم عبد الجليل رحمه الله تغنى بها وهي أقعد في الأنغام السودانية .

٧٢ — العتمور صحراء ما بين النيل وجبال البحر الأحمر .

(١٣)

١ - الدمياطي ، نسبة إلى دمياط ، ضرب من الفول المصري الذي يقال له المدمس .

٢ — دارتانيان وأرتوس وبورتوس وأراميس ، الفرسان الثلاثة والأشارة ههنا إلى القصة الثانية من سلسلة الفرسان « بعد عشرين عاماً »

٣ — ماي ليدي ، في الفرسان الثلاثة ، ذات شر وعليها وشم مجرمة ... ذلك من قبل عهد العطف على جان فالجان وصورتها غير واضحة كما صورها دوماس . وفي قصة *East of Eden* لستانبيك . محاولة امرأة مثلها أو شر منها ستانبك قصصي أمريكي معاصر قالت عنه موسوعة الآداب الامريكية انه ليس لا يشك في جودته من قصصيينا . ولد سنة ١٩٠٢ م .

٥ — الصخرة التي فوق ظهر الحوت ... قد مر الحديث عنها ووصية لقمان—

قالوا وكان نبياً من السودان . قال المعري :

ومـــا قَامَ في عُلْيا زُغَــاوَة مُنْذِرٌ فكيف بِسُحْم يَنْتَجِين إلى بُقْع

فأنكر أن يكون في السودان نبي . قال تعالى : « ولقد أرْسلنا من قَبْلِك رسُلاً مِنهم مَنْ قَصَصْنا عَلَيْكَ ومِنْهم من لم نَقْصُصْ عليك » — قالوا هؤلاء أنبياء السودان . قالوا كان ملتقى البحرين الذي في خبر سيدنا الخضر بأفريقية . فإن لم يكن ذلك بطنجة فما أشبه أن يكون بناحية ملتقى النيلين ... معقول ؟

٦ — فيأيتها الشرفة ... مطلع قطعة من بدلير ... (أزهار الشر)

٧ — لا تُحْدِثا ياشفتيها شكلا. قَالُوا لا تُعْجِبنا« شَكْلاً »هذه... كأنها شَكْلة أي شجار . قالوا عسى أن يجد الشاعر قافية أَجْوَد النقاد . قال شكسبير *Shapp* ... هل قال *Shapp* ياشوب ... يا سكوب ... يا عمر ... هذا الكلام غير موزون .

لا تُحْدِثا يا شَفَتَيْها شكلا

لا بأس . هذا من فينوس وأدونيس ثم يتخلل ذلك من غيرها — كالبيت الثالث والخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع ثم في قافية النون وهو ضياء الأزل المكين الخ ليس في الاصل وفي الثانية تصرف وزيادة لا سيما الشطران الأخيران أنت كاشراق الخ من سوناتة شكسبير التي يشبه فيها الحبيبة بالشمس وليس له من قولنا وأنت زدت الخ حتى نبلغ حديث رؤبة .

٨ — هذا الذيل أو هذه المقدمة كتبت بعد الذي قال الأستاذ محمود شاكر حفظه الله وبعض الأخوان الأعزاء وكانت النفس أميل إلى تجريد الكتاب . ثم سكتت إلى هذا الاقتراح بعد نفار . قالت ربة النقد : هذا جيد . أنا العذراء الربة . (كتاب المسعدي وهو أيضاً يحتاج إلى مفتاح) .

٩ ـ نعمات أحمد فؤاد ، الدكتورة نعمات أحمد فؤاد صاحبة كتاب النيل وسفر عن البحتري وتأليف حسان ، ابنة أخي العالم الجهبذ المحقق أحمد فؤاد عبد الباقي صاحب اللؤلؤ والمرجان والمعجم المفهرس للقرآن رحمه‌الله وجزاه خيراً .

١٠ ـ الأظهر : أي الأزهر .

١١ ـ يأيها الفارس ... رجعة إلى قصيدة كيتس . قال النقادون ينبغي تمييز ما للمؤلف مما ترجمه عن كيتس ـ أيتها الذلفاء ما أبرعا ليست لكيتس ولا « قد تيمتني أمس كُنّا معاً » « جارية في كفّها فرهر » من كولردج في « كُبْلاخَان » وما بعد ذلك إلى آخر الشعر للمؤلف ـ تمد عير ندق .

١٢ ـ الطاهر بابكر ـ هو الفقيه الطاهر بن بابكر من ذرية الفقيه حمد بن عبد الله النقر بن الفقيه حمد بن الفقيه محمد المجذوب الكبير ، كان أديباً ، ورعاً ، صالحاً ، توفي في شهر سبتمبر هذا العام بعد صلاة المغرب ، رحمه الله وبلغ المؤلف منعاه مرجعه من ندوة كانت بمصر فإنّا لله وإنا إليه راجعون وانظر أصداء النيل ، المقدمة .

١٣ ـ حملتها ـ رجعة إلى قصيدة كيتس « بقبلات أربع كالسرار » إضافة وتصرف ـ ثم انتبهت وفُؤادي يراع كذلك ـ ثم من أكل العام الجديد الجراد إلى شفتيّ لمياء من تصرف المؤلف ـ سبحان الله .

١٤ ـ قالوا مقال ابن يامون في قبلة العين مشهور مثله في عقائد الناس عندنا . ولا سيما نساء مصر يا سيدنا .

١٥ ـ الدهر مكد ـ من كلام يوليسيس في قصة ترويلس وكريسيدا لشاكسبير ثم يتصرف المؤلف مع نظره إلى الأصل .

١٦ أيتها الحسناء : قصيدة من عهد أصداء النيل . دخلته بتحوير : فهذا مما لم يكن فيه منها . وليته كان ، والله أعلم .

١٧ — ظلمات ظلمات — من أحزان شمشون كما في المتن .

١٨ — ألا فالحب ... ذو علمنا . أي الذي علمناه . ذو بمعنى الذي على لغة طيىء .

١٩ — ألا تلمس ، من قصيدة أو قصة فينوس وأدونيس لشكسبير .

٢٠ — وتراءت بمقلتين وجيد ، فما بعد من نظم المؤلف .

٢١ — لقد أبصرتها من نعت اينوباريس لكيلوبتره كما أخذه شكسبير عن بلوتارك أخذا واينوباريس في قصة شكسبير هو الذيألقى على لسانه وصف بلوتارك لحراقة كليوبترة والسرقة في الشعراء — أعني سرقة الأخيلة والصور — أمر فاش وهو من أفعل شيء له وذلك من باب هيمانهم في كل واد . إن ربك لبالمرصاد . صدق الله العظيم .

٢٢ — هيكوبة ، في هامليت معروفة .

٢٣ — لبث قليلا يلحق الهيجا حمل ، ارتجز به سيدنا سعد بن أبي وقاص ، وأصيب بسهم في الذراع — كان ذلك عام الخندق .

٢٤ — خلوا بني الكفار — من شعر سيدنا عبدالله بن رواحة الأنصاري قاله يوم عمرة القضاء وهو آخذ بخطام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووهم ابن هشام فحسبه من شعر عمار . وما أرجح أن يكون عمار قد تمثل به . وكأني بالسهيلي في الروض الأنف قد ذهب هذا المذهب والله تعالى أعلم .

(١٤)

١ — تبلدية : التبلدي من شجر السودان ضخم قوي القشرة ، هش اللب ، يجوفه الناس في الجنوب الغربي من كردفال ليخزنوا فيه ماء المطر يشربون منه زمان الصيف ، والدليب شجر استوائي من فصيلة بين النخل والجوز الهندي شبيه بالدوم منظراً إلا أنه أشد استقامة وأضخم جذعاً وأطول طولا وأقل جريداً ، جريده معاً في أعلاه كجريد النخل ، ونبئت أن خشبه دون خشب الدوم صلابة والله أعلم .

٢ — « برنين كدو » أي بلدة كدو ، من أعمال مدينة كنر ، بها مستشفى ومدرسة وحاكمها ممن ينتخبون أمير كنو ، وبالقرب منها عند تلالها آثار رسم قديم من نقوش المعاشر الأولين .

٣ — أثمان القرآن — الثمن هو مقدار من كتاب الله إذا بلغ الناشيء أن يحفظه في يومه فقد اتلأب به طريق الحفظ ان شاء الله — وفي المصحف ثلاثون جزءاً وفي كل جزء حزبان وفي كل حزب ثمانية أثمان .

٤ — المستر غريفث ، في ، ال ، جي . أسس بخت الرضا سنة ١٩٣٤ في موضعها الذي هي الآن فيه شمالي مدينة الدويم عند الضفة اليسرى من النيل الأبيض . قيل « بخت الرضا » اسم جارية كانت تبيع « المريسة » هناك فسمي الموضع بها ولم يكن به أحد حتى أسس عندد المستر غريفث ما أسس ، فالله أعلم أي ذلك كان ولم يؤسس المستر غريفث قسم التدريس الذي ببخت الرضا فقد كان ذلك موجوداً قبل زمانه . وكان ما كان منه مختصاً بتعليم المدارس الأولية يعرف بقسم العرفاء وكان بالخرطوم دون كلية غوردن في المستوى وكان مدرسو المدارس الوسطى يتخرجون من كلية غوردون ، يتخصصون

من السنة الثالثة ثم صير بهم إلى التخصص بعد السنة الرابعة وكان يشرف على قسمهم هذا الذي كان عاماً واحداً بعد السنة الرابعة رجل يقال له المستر « لاين » وكان آخر العهد به فيما أظن سنة ١٩٤١ ثم حيز ما كان بيديه إلى المستر غريفث ولمستر غريفث كتاب اسمه تجربة في التعليم يصف به ما كان من مساهمته في هذا الصدد . والراجح أنه لم يكن له كبير شيء أصيل . ولعل حظه من الاضرار بالتعليم في هذه البلاد قد كان أكبر مما نفع به وليس ههنا موضع التفصيل . ولعل المستر هوجكن الذي خلفه هو الذي حقاً صنع النصيب الأوفى من المساهمة التعليمية التي أسدتها مؤسسة بخت الرضا من بعد في مجال البرامج وإعداد مدرسي المدارس الوسطى والأولية ، لما هيأه فيها من جو فيه بعض الحرية الفكرية أتاح للعاملين فرصة أن يتوفروا على العمل بعد الذي كان يحيط بهم من التضييق والحرج مما لم يكن يخلو أحياناً كثيرة من روم بعض التجسس على خويصة أحوال الأفراد . وبدهي أن الانتاج الجيد مع نحو هذا قد يستحيل والله أعلم .

٥ – كيف يتخشنون ... كان كثيراً ما يحدث المستر غريفث عما سماه : « *Toughening up* » . ولو أبه فان كل نظام التعليم الذي جاء به النظام الاستعماري والنظم التي قلدته أو أخذت عنه هو إذهاب التخشين والسلوك بالناشئة مسالك تؤدي بهم ضربة لازب إلى اللين والتحلل من القيم الماضية — ولا زلنا حتى يومنا هذا نجتاز هذه المرحلة الخطرة . ولعل التعليم الاستعماري نفسه أن يكون لا سبباً ولكن ظاهرة من ظواهر الثورة الاجتماعية التي جعلت تقذف بمجتمعنا نحو التحلل . والله أعلم .

٦ – « السُّكُونْ مِصْرا » – الألف بعد الراء مجرد محاولة لاظهار ما كان يعمد إليه صاحب هذه المقالة من تبيين فتحة الراء . ولا يخفى أن راء مصر مفتوحة في المواضع الخمسة التي وردت في كتاب الله : وهن في البقرة « إهبطوا مِصراً » منصوبة منونة ويونس « لقومِكُما بِمصرَ بُيُوتاً » مجرورة بالفتحة

من أجل كونها ممنوعة من الصرف ، وموضعان بيوسف « إشْتَراهُ مِنْ مِصْرَ » وهو كسابقه إعراباً « أدْخُلوا مِصْر » وهي هنا منصوبة بالفتحة بلا تنوين وخامس المواضع الزخرف.« أَلَيْسَ لي مُلْكُ مِصْرَ » وهو كيونس والآية الأولى من يوسف إعراباً ـــ أعني في الجر بالفتحة نيابة عن الكسرة . قالوا وكان هذا الشيخ دهراً بمصر . وكان حافظاً . وتزوج وحسنت حاله . ثم إن حماتَه بالسودان أغرت بني أختها منه الذين استووا وبلغوا الأشد أن يذهبوا إلى مصر فيحملوه على الرجوع . فرجع للواجب الذي بينه وبين أسرته ، من ريف مصر الخصيب إلى شظف قرى نيل السودان .

قالوا فكان إذا اجتمع « الحيران » ـــ أي تلاميذ القرآن ـــ صباحاً شهدهم وسألهم الفاتحة ولعن فلانة بنت فلان ، وسمى امرأة ، التي تسببت في إخراجه من ريف مصرَ ... بفتح الراء نيابة عن الكسرة يا سيدنا ... ثم قد يذهل بين جماعة القارئين والعابدين ويقول متذكراً : « السّكُونْ مِصْرا » بتبيين الفتحة كما هو حافظها في كتاب الله ، يوشك من تبيينه لها أن يمدها . قال تعالى : تالله تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ الآية ، صدق الله العظيم .

٧ ـــ الغالي نسبة إلى بلاد غال وهي فرنسة واسم الرجل فرسنجتوركس كان زعيم المقاومة الغالية لقيصر . ولما أسلم نفسه لقيصر فدى لقومه ، تغافل قيصر عن أمره حتى صير به إلى أن خنق في رومة ، كعادة الرومان الفاتحين بمن يقهرونهم فتأمل . ولقد كان فرسنجتوركس أكرم وأنبل وأشرف من بومباي وكراساس وجماعة من أشراف روما ، أو قل كان أشهم . وبحق عجب مؤرخو قيصر كيف ضاق عنه ما كان يذكر من عفوه وحلمه . فلعل الله بالذي قضى عليه من بعد من خناجر كاسيوس وبروتس والمتآمرين قد أراد أن يَطيحَ هُوَ بما أَجْرَمَ في حَقّ ذلك المحارب الغاليّ ، والله على كل شيء قدير .

٨ ـــ ابن زياد ، هو عبيد الله بن زياد بن أبيه ، قتل هانيء بن عورة ومسلم

ابن عقيل بن أبي طالب ، وتولى كبر مقتل الحسين بن فاطمة صلوات الله عليهما . قال عبيد الله بن الحر يشير إلى ذلك :

يَقُول أَميرٌ غادِرٌ حَقّ غَــادِرٍ ألا كُنْتَ قاتلت الشهيد ابن فاطمه

وعبيد الله بن الحر ممن قتلته حسرات الندامة على التفريط :

وقالوا تاب الحرُّ بن يزيد فقاتل مع الحسين صلوات الله عليه واستشهد . أقول وكذلك فعل ، وليته تاب قبل مجيء ابنِ سعد وجيش أهل الفجور فلا زال في النفس من توبته وندمه شيء كثير . وهو إن شاء الله أجود أمرا من عبيد الله بن الحر بلا ريب . تمد عير تدق . لقد قامت الساعة وتمرد الجنوب حينئذ والله المستعان . وكانت أم ابن زياد مرجانة ، قالوا كانت امرأة صالحة . وكانت أم زياد سمية بَغيّاً لم يَشُكُّوا في ذلك ، وزادوا منتنة الإبْطَيْنِ ــ ولم تكن سوداء إذ قد وصف زياد نفسه « أحمر ضرّابا بالسيف » ــ قالوا عني بقوله « أحمر » أعجميّا ــ هذا قبل أن يصير في قريش من آل أبي سفيان . والذي صنع معاوية من استلحاقه فيه نظر . . . « فيه نظر » كمايقول البخاري رضي الله عنه في معرض أسانيد الحديث .

٩ ــ الثُرَيّا ، باخرة كانت تعمل بين حلفا والشلال تابعة لحكومة السودان. واحتفلوا بعودتها إلى الخرطوم غباء فلم تستطع أن ترجع بعد لتعمل بين حلفا والشلال .

وزعم ابن رشيق أن الثريا بنت علي من أجمل النساء على وجه الدهر . وقالوا كانت تحب ابن أبي ربيعة ويحبها . والحب من خير ما يهب الله . وقال السياسيون الرقعاء أو الأغبياء ينبغي أن يكون معه موجوداً شيء اسمه « سلف كنترول » ــ أي ضبط النفس بزعمهم أخذاً عن الانجليزية ــ وهذا ، أي « السلف كنترول » يمكن الحصول عليه بعد ملء أرانيك مخصوصة والدمغة

حسرةٌ ممزوجة بنفاق ، وبعض الانتهازية الخلقية وذلك شيء فيما زعموا محمود . . . واقرأ يا هذا سورة هود . عَادْ بسكون الدال أو القبيلة المشهورة القديمة .

١٠ — اقرأ تفسير قوله تعالى « وهل أتاكَ نبَأُ الْخَصْمِ إذ تسوّروا الْمِحْراب » في سورة صاد — إرجع إلى محمد بن جرير صاحب التفسير جُزِيَ عنا الخير الكثير .

١١ — تأويل القلزم بالكالسيوم مجرد تأويل ياهناة لشبه اللفظ كما لا يخفى . والشُّعَب المرجانية التي عند شطآن البحر الأحمر كالسيوم . وكانت سواكن من جياد المرافيء ثم كيد لها ببورسودان والله بالغ أمره .

١٢ — مثل أنف الريم — في قصيدة المرار وهي السادسة عشرة من المفضليات

١٣ — عناق مسيو سغان : *La Petite Chevre de M. Sagan*
قصة لطيفة للاطفال كبارا وصغارا ذوي الموسوعة الكبيرة من ذخيرة اللغة الفرنسية ولها أداء حسن من فرناندل .

١٤ — « ليس في الخبز الخ » إشارة إلى خبر جان دارك في قصة برنارد شو ، قالت هذا في المحكمة .

١٥ — « لا يا غيلان الخ » ومن بعد مقتطفات من مسرحية الاستاذ الوزير محمود المسعودي وهي تأليف جيد ، وسيادته وزير المعارف بتونس . وقد كتب الدكتور طه حسين عن كتاب السد تقريظاً جيداً نشره في « من أدبنا المعاصر ». وقد قرأت كتاب السد فأخذني أخذاً وهو من أنفَس ما صنع المعاصرون ، وفيه نظر إلى مذاهب أوروبا الحديثة وتلفت ملح إلى القديم . وكأنَّ فيه نوعاً من الهرب من القديم . . . هرباً ما :

وهل يأبَق الإنسانُ من مُلْكِ ربِّه فيَخرُجَ من أرضٍ له وسماءِ

سَنَتْبَع آثارَ الّذين تقـدَّمُوا على سَاقةٍ من أعبُدٍ وإماء»
هكذا قال المعري في اللزوميات أو يا ملتزم .

١٦ — « بلغ اللهم روحه الشريفة» هذه من مولد الشيخ محمد المجذوب ابن قمر الدين الولي الصالح رحمه الله ورضي عنه ونفعنا بجاهه عند الله وعند رسوله صلى الله عليه وسلم . وطريقه كان شاذليا . والإمام الشاذلي من تونس بلد المسعدي . فتأمل .

١٧ — وأنت الكافي . . . الكافي من أسماء التعويذ عدد حروفها ١١١ والشلوخ التي على خدود أكثر الجعليين تمثل هذا الرقم . أفادنيه رجل صالح لقيته في طريق بين الأبيض وكوستي ولا بد أن يكون علما معروفاً . وفي كتاب التشوف جماعة مجاهيل ، منهم فيما ذكروا رجل شاب كانت عليه صفرة كأنها سقم أو فقر : كان يقصد مسجدا فرقّ له أهل المسجد وجمعوا مالا فأعطوه مؤذن المسجد ليؤديه إليه فتبعه هذا حتى إذا صار إلى حديقةٍ أراد أن يدفع له المال ، فاعتذر الشاب بأن لا حاجة به إليه . قالوا ثم اختفى بين الشجر فكان ذلك عهد المؤذن به . ثم لما أراد المؤذن أن يعود ألفى أنه قد كان اتبع ذلك الشاب نحواً من خمسين ميلا من المكان الذي به المسجد . فقد كان الشاب — نفعنا الله به — من أهل الخطوة . وانظر كتاب التشوف . وأنشدوا :

« أوْصافُ أهْلِ الصَّلاح واضِحَةٌ فاحْرِص عليها عَسَاكَ تُدْرِكُها
قَوْمٌ لَهُمْ في الضُّلوع أفْئِدَةٌ أوَارُ نارِ الضُّلُوع يَسْبِكُها »
الله ! هذا هو الحبّ يا فتى . وأنشدوا (نفسه ١٥٤)

« كَمْ في البريّةِ من سامٍ بهمّتِهِ إلى مَعَالم أهْلِ الفَضْلِ والدِّين
وفي البواطنِ أنْوارٌ تَلوحُ لهم على الأسِرَّة في كلّ الأحايين
همو الّذين إذا عاينْتَ ظَاهِرَهم عَاينْتَ ظَاهِرَ أقوامٍ مساكين

ويُبْعَثُون إذا قَامَ العبادُ مَعــاً   مع الْمَسيح بتَنْوِيهٍ وتَعْيِينِ »
في هذا البيت نوع من الجهد والله أعلم .

١٨ ــ يا هيد مالك . . . يا عيد مالك . . . من ألفاظ العرب انظر شرح الأنباري لقول تأبط شرا : « يا عِيدُ مَالَكَ من شَوْقٍ وإيراقٍ » أول المفضليات بشرحه طبعة بيروت تحقيق ليال وأعادها صاحب مكتبة المثنى تصويراً . . . والمختصر الذي منه طبعة دار المعارف الأولى جيد ، وفي الثانية أخطاء .

١٩ ــ أتْراكْتيف *Attractive* ، يلفت النظر ويشتهى .

٢٠ ــ التنورة كانت تلبسها صغار البنات وهذا اسمها ثم بطلت وأحسبها كانت محاولة مستجلبة لابطال الرحط وهو كساء من سيور كانت تلبسه الجواري .

٢١ ــ قال الهذلي :

ولو أنَّ ما عِنْد ابْنِ بُجْرَةَ عِنْدَهَا   من الْخَمْرِ لم تَبْلُلْ لَهَاتي بناطلِ
والناطل مكيال كانوا يكيلون به الخمر ، صغير جداً كما يبدو من سياق اللفظ

٢٢ ــ « إذ أنّني أبْتَلِـعُ الْهَوَاءَ » . .. من أزهار الشر مع تحوير وإضافة .

٢٣ ــ « وقد أرَتْنا حسنها » رَجَزُ رؤبة « وقد لمسنا » إضافة .

٢٤ ــ ميتَيْنْ أي متى يا فتى . وسُونْ بضم السين وإشباعها بعدها أي حالا
قُولي أُحِبُّكَ أسْمِعِيني لَفْظَهَا   يا حَبّذا لَفْظُ الْحَبِيبِ مَقُولا
قال الشاعر الأديب لما سمع هذا البيت « وَقَفَ الْفُنْجَانُ في الْهَوَاءِ » من كرامات الشيخ نفعنا الله به ، مذكورة في المناقب (مناقب الشيخ محمد المجذوب رضي الله عنه) :

قُولي أُحِبُّكَ أسْمِعِيني   لَفْظَهَــا   يا حبّذا لَفْظُ الْغَرامِ مَقُولا

أهواكِ بالرُّوحِ الّتي تَسْمُو على الجَسَدِ الّذي يَفْنَى ولَسْتُ جَهُولا
أهواكِ بالجَسَدِ الّذي يفنَى وَقَدْ يُلْفَى هَواكِ عَلَى السُّموِّ دَليلا
ولَرُبّما كانَ الوِصَالُ إذَا به جادَتْ لَمِيسُ من السُّمُوِّ بَديلا
وَوَقَفْتُ عِنْدَ سَمِيرَميسَ أرَى لَكُم طَيْفاً وقَدْ نَسَجَ النَّسِيمُ النِّيلا
وبِيَمِّ بُورسُودانَ خَالَطَ ذِكْرُهُمْ أَلَقَ السّفائنِ بالرَّصِيفِ مُثُولا
ولَدَى سَواكِنَ في الطّريقِ ذكَرْتُكم واللّيلُ قَدْجَعَلَ الجِبَالَ طُلُولا
ورأيْتُ حِينَ الشَّمْسُ بَثّتْ خَلْفَها قَبْلَ المَغِيبِ من الشّعاعِ رَسولا

وقد كان الشيخ محمد المجذوب رضي الله عنه أقام بسواكن زمنا وإلى أسلوبه في النظم أشرنا في نافذة القطار . وهذه الابيات اللامية من قصيدة طويلة مطلعها :

مَهْلاً فِداكِ النّفْسُ يا عُطْبُولا لا تَحْرِمينا تَغْرُكِ المَعْسولا

وفي أصداء النيل طبعة الدار السودانية :

رَيْحانَةٌ أُنُفُ الرِّئْمانِ تَقْطِفُها العَيْنانِ فَاتِنَةٌ غَرّاء عطبولُ

وعطبول هذه كلمة قديمة . قال الفيروزبادى ، والعُطْبول والعُطْبُولة بضمهن والعَيْطَبُول كحَيْزبون المرأة الفتية الجميلة الممتلئة الطّويلة العنق . وقُلْت وعطل العنق وطُوله هو أصل المعنى والكلمة جميلة يدلك على جمالها سماع رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها في كلمة كعب بن زهير الّتي مدحه بها عليه الصلاة والسلام فأجازه بردته . فعسى أن تقبل من معاصر على وجه التبرك إن لا على وجه الفصاحة . أم قد بطل التبرك والبيان جميعاً في هذا الزمان أم لا ؟

« أم هل كبير بكى لم يقض عبرته إثْرَ الأحِبّةِ يَوْمَ البَيْنِ مَشْكُوم

٢٥ ــ « رانا » الشمس بلغة هوسا

٢٦ ــ الأظهر ، هو الأزهر الشريف . مرّ آنفا . وكان السودانيون يقولون

الجامع الأظهر بالظاء يحسبون اشتقاقه من الظهور يابدائع الزهور وذلك أنهم سمعوه من المصريين ينطق هكذا إذ المصريون يصيرون بالزاي إلى نوع من الظاء والله أعلم .

٢٧ ــ تفل بالتحريك ، لا عطر ، يتركه تاركه عمدا وفي الحديث أن حضور الجواري الدرس تفلات ، هذا معناه . يكره لهن إفشاء النشر كما ترى

٢٨ ــ الأعمى الماكر هو أحمد بن عبد الله بن سليمان أبو العلاء المعري عفا الله عنه ــ وذكر قومه له ولاية . وتردد الشعراني في أمر الحلاج شيئاً . ومال إلى تبرئته ورفع شأنه . قالوا أنشد وهو يرسف في القيود :

نديمي غيرُ منسوبٍ ... إلى شيء من الحَيْفِ
سقاني مثلَما يَشْرَ ... بُ فعلَ الضَّيْفِ بالضَّيْفِ
فلمّا دارتِ الكأسُ ... دعا بالنِّطْعِ والسَّيْفِ
كذا مَنْ يشرب الكأسَ ... مع التِّنين في الصَّيْفِ »

قلت هذه شطحة تدع اللب من أمره في حيرة عفا الله عنه وبه نفع وهو تعالى أعلم .

٢٩ ــ ولقد شربت . . . هذا شعر الأعشى .

٣٠ ــ البلهارسيا ، مرض خبيث يصاحب طرق الري الحديث . ولا ريب أن ري قدماء الفراعنة بالأحواض أصلح من ري محمد علي باشا وشركات القطن والاستعمار التي جاءت من بعد . ذلك بأن ري الأحواض فيه محاكاة أسلوب فيضان نهر النيل نفسه . ومتى جفت الأرض ماتت ديدان البلهارسيا . وفي الحديث الشريف النهي عن البول في الماء الدائم أي الذي لا تيار له . والمستعمر لا يبالي أن يهلك عبيده كلهم بالبلهارسيا إذا هو منها بمأمن يُجْبَى إليه ثمراتُ ما يزرعونه . ويقال إن سلفات النحاس تقتل قواقعها . قدر ضئيل منها يفعل ذلك . وإنما العبرة بالتطبيق . ويصح التطبيق متى كان القائمون

به فرعا من المدنية القائلة به . . أعني أنه إذا كان نظام ري القطن في أوروبا مثلا فان القوم هناك لا بد ناثرون سلفات النحاس على حافة الجدول لتقتل القواقع لما دربوا عليه من النظام الأوربي . ولا هكذا الحال في إفريقية . هذا على تقدير التسليم بأن سلفات النحاس ذاهبة بخطر قواقع البلهارسيا قولا واحدا. فما بال بني إفريقية وغيرها من البلاد التي يقال لها نامية ينجرفون في أساليب زراعة القطن وما إليه . إذ كل ما يروى بطريقة القطن ، فهو من حيث خطر البلهارسيا وعبودية المزارع للأرض والقائمين بتنظيم ريها ، قطن :

« شاقتك ظعن الحي يوم تحملوا فتكنّسُوا قُطُناً يَصِرُّ خيامها »

— معلقة لبيد — قُطُناً بضمتين جمع قطين أو هو القطن يا هذا . وقالوا أول من زرع القطن هم العرب ، وزرعه منهم أهل سبأ الاقدمين قبل أن يبدلوا من جنتيهم عن يمين وشمال ،جنتين ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وأثل وشيء من سدر قليل، رحمة من الله بهم شيئاً ما — (إذْ رحمته في الدنيا تسع المؤمن والكافر وفي الآخرة للذين آمنوا خالصة) — إذ السدر مما يؤكل ويوجد لذيذاً أحيانا . ومنه ما طعمه كالتفاح وما طعمه كالعرديب . هذا ، ولما أخرب الملك أكسوم بلاد مروى القديمة وجد بها مزارع القطن ، فقد يكونون سبقوا سبأ إلى زراعته كما سبقوا أمماً إلى الحديد وحظ السودان محسوس مبخوس . قال العنصريون ورجال الكنيسة البروتستنتية — (بعضهم) — لأن حاما ضحك من تكشف أبيه نوح ، وفي هذا إشارة إلى أنواع الذعر الجنسي التي عند البيضان إزاء السودان . والقطن الحديث من أمريكا ، كالتبغ والذرة الشامية والبنضورة والبطاطس وأفلام الكاوبويز وهذا شراب حدثه القمر يا بشر ، كما يقال في المثل ، أو نحو من هذا يقوله المثل والله أعلم .

٣١ — الداخلة اسم بلدة أتبرا قبل الاستعمار لأنها داخلة إلى مقرن الاتبراوي بالنيل . وكتابة اسم أتبرا المدينة ونطقها بألف وتاء وباء وراء وألف وهكذا

هي مكتوبة على محطتها بخط واضح ولك مكان الألف الأخيرة هاء تأنيث إن شئت لقرب النطق . وأتبرا منسوبة إلى النهر الأتبراوي وإلى بلاد أتبرا المقاربة للحبشة حيث منبعه ويقول الناس « أتبرا فوق » أي نواحي قوز رجب وسيدون وهلم جرا . وكتابتها ونطقها بعين وطاء خطأ فاحش فاحذره .

٣٢ ــ سمبرية يَامْ قَدُّوم ، يشددون الدال من قدوم والقاف مفتوحة أي يا سمبرية يا ذات المنقار . والسمبرية طائر من طير الخريف (موسم المطر) المهاجر ، معروف . وفي رسالة الغفران والعياذ بالله :

هاتِ اسْقِني الْخَمْرَةَ يا سِنْـبِرُ　　　فليس عندي أنني أُنشَر

وهذا علم لأحد الزنادقة كما ترى

٣٣ ــ مِيْدُيوكَرْ ، متوسط إلى الغباء .

٣٤ ــ الدِّلكة بكسر الدال وسكون اللام وفتح الكاف وهاء تأنيث ، كاسم الهيئة من الدلك ، طيب جيد بالسودان معروف ، يصنع من العجين وأخلاط من العطر ثم يدلك به الجسم دلكاً وهو من أجود ما تتطيب به النساء والرجال أيضاً . قال تعالى : « وعاشِرُوهُنَّ بالْمَعْرُوفِ » ذكروا عن محمد ابن الحنفية أنه صبَّ عليه من طيبهن صبّاً علامة حسن المعاشرة، أحسب ذلك كان من الغالية أو الصُّفرة وقال : وإنّهُنَّ يشتهين منّا ما نَشْتَهيه منهُنَّ ، وذكر ذلك القرطبي في التفسير . قال أحد الفقراء الفضلاء في الدِّلْكَةَ هي خير ما يمكن أن تتوصل به المرأة إلى أن يتغلغل العطر والدهن الناعم في مسام بشرتها . ابتسمت البَهْنَانَةُ ــ لعنة الله على اليهود ــ والسكوت رضا . قالوا وهذا خَبَرٌ جَمَعَتْهُ تَجارِبُ ووجوه مصادر ثم حيز كله ههنا على طريقة ابْنِ اسحاق ــ وعمل الدلكة أن يجاء بعجين جيد من الذرة نقي جداً ثم يلطخ على قدح من الخشب في باطنه حتّى يلتصق به . وخشب الدَّبْكَرْ أجود ذلك أقداحه لسعتهن وتكوير بواطنهن . ثم يكفأ ذلك القدح فوق حفرة الدخان .

حاشية : حفرة الدخان من أهم أداة زينة النساء بالسودان تكون في كل بيت وتوضع فيها أخشاب الطلح وتقعد المرأة فوق نَطُعْ — (هكذا اسمه في عاميتنا ، بنون مفتوحة وطاء مضمومة) — بعد أن تكون قد ادهنت ثم تغطي نفسها بشملة ثقيلة من الشعر لا يبدو إلا رأسها وقد حازت خُصَلَه إلى أعلى . وهو حمام ساخن شريف . والرجال يَدَّخِنُون وأكثر ما يفعلون ذلك للتداوي وفي ديوان نار المجاذيب نعت للدخان (غمائم الطلح ص ٢٠٠) قال :

« وحُفرَة بدخان الطلح فاغمة ... تُنْدي الروادفَ تلويناً وتعطيرا
لَمَحْتُ فيه وما أمْعَنْتُ عارية ... تخفي وتَظْهرُ مثْلَ النجم مذعورا
مدّت بناناً به الحنّاء يانعة ... تَرُدُّ ثوْباً إلى النَهْدَيْن محسورا
قد لَفهَا العِطْرُ لفَّ الغيم منتشراً ... بَدْرَ الدجى وروى عن نُورها نورا
يزيد صُفْرتها لَمْعاً وجدتها ... صَقْلاً وناهدَها المَشْدُودَ تدويرا »

رجع الحديث :

ويكون فيها الطلح الجيد . وينبغي ألا يدعه الصانع يشتعل بل ينضج العجين بدخانه وحده إذ الأرب أن يتغلغل دخانه وزيته في العجين ويذهبا مرة واحدة بكل رائحة أو شذى عجيني فيه ، حتى يتحول من عجين يؤكل إلى عطر أو مادة عطر ياهناه . ويتحاشى الصانع أن يشتعل الطلح فيه بابعاده منه كلما أحس من الطلح لهيباً واطفاء ذلك اللهيب ليصير دخاناً . ويعاد لطخ العجين في قدح الدبكر حتى تكون هيئته مستديرة صالحة . ويكفأ مرة أخرى . والدلكة الجيدة يستغرق إنضاجها ثلاث ليال وأربعة أيام حسوماً .

استدراك : تعد عجينة الدلكة بإنضاجها عصيدة باديء الرأي وبلغني أنهم الآن يضعون على عجينها الماء الساخن ثم يكفئونها على الدخان والطريقة الأولى إذْ كنَّ يَسُطْنَها كالعصيدة أولا أجْوَدُ وأحكم . وفي نساء العصر اختصار لجهد سالفاتهن لما طرأ على حياتهن من جو الأفندية وشيء من تذكير . وقد

حدثت ضروب من هذا الاختصار في إعداد « الحلومر » فصار يُعَمَّاس كالآبريه وكانوا يسمونه «آبريه حلومر » اعترافاً بأنه شيء جديد بين بين . « والحلومر » يصنع ثخيناً ثم يقطع وينشف فأصارته هذه الطريقة ضرباً من « الآبريه»الأحمرونسي بعض الناس « الآبريه »الأحمربالكلية.هذا وذكر لي أن انضاج الدلكة يكون بدخان الطلح والكليْت معا . والكليت أصلب من الطلح وأقوى حرّ دخان وأطيب رائحة وهو أحمر الخشب سنطي السنخ كما الشاف (أو الصباغ) طلحي السنخ ودون الكليت طيب رائحة . والكليت بضم الكاف وفتح اللام مع إمالة شديدة .

قالوا والكليت والشاف كأنهما مندل إفريقية وصندلها — قال الآخر ، أحسبه كثير عزة :

« وما رَوْضَةٌ بالحَزْنباكرها الحيا، يَمُجُّ النّدى جَثْجَاثُهاوعرارها
بأطْيَبَ من أردان عَزَّةَ مَوْهناً إذاأوقدتْبالمَنْدَلِ الرَّطْبِنارُها

ضبطها أحمد أمين بفتح الراء ونبّه على هذا الخطأ الدكتور زكي مبارك رحمه الله في مقالات نشرها في الرسالة بعنوان « الحديث ذو شجون » .

رجع الحديث :

قالوا ومتى نضجت الدلكة بالدخان عجنت وخلط بها المحلب معجونا ثم بخرت بالصندل والظفر والمسك . ثم بعد ذلك يخلط بها أخلاط طيب تطيب به ثم تقطع قطعا قطعا كيما تدخر وتستعمل من بعد .

وطريقة استعمالها أن تبل في عطر سائل وذلك بأن يجاء بقطعها الناشفة وتدق وتوضع في الخمرة أو نحوها من العطر ويدلك بها الجسم . فأثرها فيه عجيب . قال الفقير آنفا إذ تكسبه نعومة وراحة . والدلكة من عطور الأعراس ويكون وقت عملها مع « دق الريحة » أي دق العطر الناشف كالصندل والظفر وعجن المحلب وتهيئة الذريرة أي دقيق الصندل . قالت الحماسية (ديوان الحماسة) :

« سُبُّي أبي سبَّك لن يضيره   إنَّ معي قوافيا كثيرةْ
يفُوح منها المسْكُ والذريرة »

وإعداد الكركار وهو من الودك يعالج حتى يكون طيباً كالفزلين وبريل كريم أزكى رائحة وأجود ، والخمرة هُوَ وضُروبُ أخلاطٍ هُنَّ من الطيب « كُوكْتيل » .

والموسرون مما يدّخرون — أو قل كانوا مما يدخرون — الدّلكة وكانت الإماء يدلكن سيداتهن وساداتهن في الزمن الماضي . وقد يكتفي غير الموسرين بالعجين والزيت ، زيت السمسم ، مُعَطّراً وغَيْرَ مُعَطّر للنساء وصرْفاً بلا عَجِينٍ للرجال . وقد كان العجين والزيت شيئاً عاماً في السودان اذ كان اليسر فيه نادراً أو معدوما انما كان يتأتى مع العرس . وذكروا أن بعضهم كان في عرسه نِعالُ الذهب وفَرْوةُ الْجلاد وهذا كأنه من باب الخرافة . والدلكة والعجين والزيت وما من هذا المجرى كلُّه أو بعضُه لازم لصيانة الجلد في السودان وهو بلاد جافة جدا ... والله أعلم .

٣٥ — قال فيكتور هيجو ، في كتابه عن أهل البؤس .

٣٦ — مطارق جمعْ مُطْرَقْ وهي العصا الصغيرة . الْعِصِي بكسر العين والصاد وبعدها الياء ، كذا تنطق في السودان وتخفف شدة الياء وهو الاغلب كما تصنع عند الوقف (ونحو هذا النطق عربي جيد عليه رواية حفص عن عاصم في ألفاظ من هذا الوزن في سورة مريم ... عتيا ، صليا ، جثيا) وهي جمع عصا كما لا يخفى ثم تطلق على الأنجم الثلاثة من كوكب الجوزاء يظهرن معا فشبهوهن بعصي ثلاث وضعن معا . ومبدأ موسم الخريف في السودان وهو زمان المطر من حوالي منتصف يولية إلى حوالي اكتوبر ، وتظهر العصي قبل ذلك ، فنزول المطر بعدها بعيد الاحتمال — هذا مراد المثل .

٣٧ — فعاش الغسيل ، انظر خبر وفادة سيبويه في تأريخ بغداد .

٣٨ — « لا بوهيم» قطعة موسيقية مشهورة . ومعنى «لابوهم» البوهيمية أو المرأة الغجرية إذ كانوا يظنون أن الغجر يقدمون من بوهيميا . ثم صارت البوهيمية تطلق على صنوف من التحدي تكون عند أهل الفن يرومون بها تخطي القيود الاجتماعية إلى ما يتوهمونه انطلاقا . و « لا » أداة التعريف للمؤنث في لغة فرنسة .

٣٩ — الدميرة : الفيضان .

٤٠ — قال ابن خلدون ومنهم عبيد ، في تأريخه في حديثه عن السودان .

٤١ — « عَجْب الذنب » هو العظم الذي في آخر فقار الظهر عند عجز الانسان . قالوا هو بقية من ذنبه في الأطوار الأولى أو رمز الى أنه كان سيكون ذا ذنب . وعجب العين مفتوحة والجيم ساكنة .

٤٢ — البومة لص إلخ في الرؤيا هكذا في كتاب تأويل الأحلام المنسوب لابن سيرين طبع مصر .

٤٣ — النورُ غاية أو غايا ، من مدحات الرسول ﷺ . غايا أي بلغ الغاية . السمايا : السموات وهذا جيد في قياس العربية جاء قريب منه لأمية بن أبي الصلت أحسبه قال :

« لَهُ ما ترى عين البصير وفَوْقَه   سماءُ الأله تَحْتَ سَبْعِ سَمائيا

أنبيايا : أنبيائيا .

٤٤ — «ليس في العرب أصقر من الحجاج ».. قالوا رأى أحدهم صقرا أخذ حمامة بيضاء ، فقصوا الرؤيا فأول ذلك سعيد بن المسيب زواج الحجاج من ابنة عبدالله بن جعفر ، إذ لم يكن في العرب أصقر منه ولا أنقى منها .

٤٥ — نس با ؟ *N'est Pas*

٤٦ — الشيخ عبدالله الأزرق من مقدمي الطريقة القادرية تلاميذ الشيخ الجعلي

رضي الله عنه . كان ببربر معروفاً بالصلاح والزهد ، يعتقد ، رحمه الله رحمةً واسعة .

٤٧ — السكرتير الاداري كان كبير رجال الإدارة أيام الحكم الثنائي بالسودان وانتهى سنة ١٩٥٤ في أولها ثم جاءت سنتا الحكم الذاتي ثم الاستقلال عام ١٩٥٦ ولعل وضع رئيس الوزراء الآن أقرب شيء لوضع السكرتير الإداري آنئذ ، أعني من حيث السلطان وسعة النفوذ فيما كان إزاءه .

٤٨ — « ردوني إلى أهلي غَيْرَى نَغِرَة » قالته امرأة اتهمت زوجها بجاريتها فقال لها سيدنا علي كرم الله وجهه مقالا إنها ان صدقت رُجم الزوج وإن كذبت وجب عليها حد القذف ، فقالت ردوني إلى أهلي غَيْرَى نغِرة أي أغلى كما يَغْلِي المرجل . مسكينة . وادرأوا الحدود بالشُّبُهات .

٤٩ — عباسُ ليتك الخ الشعر للعباس بن الأحنف، وكان مولعا بالغزل وفي غزله ضعف وتظرف وكلفة .

٥٠ — تَنْفِي الطوارِفَ عنه الخ ... شعر ذي الرمة .

٥١ — الباروكة الشعر المستعار وبالزاي اللبانة في ما بلغنا. واللبانة هي التي تلاك وهي عادة فشت بين الشباب ومن مزاياها أن يزكو الفم ولكن في منظرها سماجة أحيانا ونوع سوقية . وما شذ فكان جميلا حلوا فلا يقاس عليه والله أعلم .

٥٢ — الدفديل *Daffodils* ، نوع من الزهر ،ولشكسبير فيه شعر حسن ونظر إليه وردثورث .

٥٣ — بنُّور أي بلور بفتح فضم مشدد مشبع ويجوز بكسر ففتحة مشددة فسكون ولا تعجبني . برتكان : برتقال أو ليمون كما يقولون بلبنان .. مش ؟

٥٤ ـ مسكين ابن كثير .. انظر خبره من قبل وهو صاحب التفسير والبداية والنهاية وقد مر بك . كأنه ، رحمه الله ، كره حديث أكثر أهل النار النساء، وكأنه رحمه الله كان يريد الجنة أن تكون ملأى ببنات آدم كامتلائها بالحور العين . ومن أدراه لعل الحور العين صنف من بنات آدم خبيء بعلم الله الى الفردوس ضنا بهن عن مكاره الدنيا وقد مر بك ما جاء في البخاري من أن نصيف إحداهن على رأسها خير من الدنيا وما فيها . ولا سيما الآن بعد أن سقط النصيف وذهبت نفس النابغة حسرات .

٥٥ ـ « وكم زار باريسا الخ » للشيخ يوسف النبهاني يذكر الشيخ محمد عبده رحمهما الله . والعروة الوثقى من مجلات النهضة الإسلامية الرائدات .

٥٦ ـ الأظهري ، نسبة الى الأظهر أي الأزهر . مر آنفا .

٥٧ ـ الدكتور زكي مبارك ، من جهابذة العصر ، أدركته حرفة الأدب كما كان يقول القدماء فلم يجد من مجال الدنيا ما كان يؤهله لبعض مثله ذكاؤه وألمعيته . كان سلس الشعر فيه حرارة ما من عاطفة ، ولو قد عكف على تجويد بعضه شيئا لكان ذروة . وكان جيد النثر كأن موسيقا نثره وتر أو ناي أحيانا كثيرة . ومن شواهد ذلك مثلا أولى المقالات التي انتقد بها أحمد أمين رحمه الله بعنوان « الحديث ذو شجون » ـ سبق التنبيه إلى ذلك ـ قال فيها « الموج الفاتن إلى الموج المفتون والحديث يا مولاي ذو شجون » أو كما قال وكان رحمه الله موهوبا . كتابه النثر الفني جيد والله أعلم . وليلى المريضة بالعراق من تآليفه الحسنة ، وإيش لون ، كيف بلهجة أهل العراق ، وكتابه عن ابن أبي ربيعة حلو ... وما خلا في بعض حديثه عن أبي حيان التوحيدي من نظر ثاقب . قالوا وأصابه الترام . فإنا لله وإنا إليه راجعون . رحمه الله رحمة واسعة .

٥٨ – نوع من برود ... توجد أصناف من البشر لا يفارقها سمت البرود فتأمل .

حاشية

هذا – إن شاء الله – حين نبدأ ، ولك أن تقرأ ما تقدم بعد قراءة الكتاب ، فيكون ما تقدم كأنه حواش وهوامش وذيول ومن أجل ذلك تَسْمِيَتُنَاهُ بما سميناه . ونسأل الله أن يتقبله بقبول حسن وأن يقع عندك موقعا حسنا . ولله الحمد أولا وأخيرا وبه التوفيق وصلوات الله وسلامه طيبا زكيا على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطاهرين .

وكان الفراغ منه صباح السبت الثاني عشر من شهر رمضان سنة ١٣٨٨ هـ وذلك ٢٢ من نوفمبر سنة ١٩٦٩ م .

وبالله التوفيق .

المؤلف
عبدالله الطيب

- ١ -

نيجريا بلد عظيم يجري فيه نهر عظيم سماه محمد بلُّ النيل . وكذلك فعل محمد بن بطوطة من قبل . وما أحسبه وهم أنه نيل مصر وقد كان يعلم أنه نهر مستقل بذاته . ولكن كان يظن كظن أكثر جغرافيي ذلك العصر أنه متصل ماؤه بنيل مصر إذ كانوا يعتقدون أن الماء عذبه وملحه محيط بالأرض . وهو كذلك . وكان قوم يحسبون إلى عهد قريب أن بحيرة بيكال لا قرار لغورها . وقد بلغني أنه قد وُصِلَ إليه الآن . وابن آدم جبار . ضعيف جبّار . عنيد جبار قال تعالى واسْتَفْتَحُوا وخَابَ كُلُّ جَبّارٍ عَنِيدٍ .

مدينة زاريا ـ هذا اسمُها الحديث ـ جَميلة الجبل الذي يستقبلك من وراء الجامعة وأنت قادم من كَنُو . وهي خضراء بقصب السكر . وكثيرة الزروع . وفيها يزرع الزنجبيل . وما بين كنو و « دَوَاكِنْ تَوْفَا » رائع الخضرة في الخريف . وما حول سور كنو كأن العشب من دونه خمل ناعم .

وأول سطوع الفجر على الندى من بدائع الطبيعة فيما بين نهر « شَلَوَا » وموضع كلية « عبدالله بَايِيرو » خارج باب السُّور المسمى « بامبيو » من مدينة كَنُو .

كان أول دخوله نيجريا من طريق الجو . خرجوا بهزيع من الليل ليدركوا طائرة لبنان التي تذهب إلى كنو من مطار وادي سيدنا .

أول عهده بوادي سيدنا أيام كان المستر « س » مديراً لكلية غوردن التذكارية وكان فيها مكان تدريب المهندسين من قوة دفاع السودان . واجتمعوا في

منزل أستاذ أطعمهم وليمة فطور فيها الكنافة واللبن الرائب وحملوا الخرفان على اللوري ليأكلوها . وعاموا في البحر عند جرف وادي سيدنا وكان التيار شديدا . كان ذلك أول إرهاص بتعمير وادي سيدنا للتعليم . وافترقت بالتلاميذ السبل فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر .

« ولو أنّما أسْعَى لأدْنَى مَعِيشَةٍ كفاني ولم أطْلُبْ قَلِيلٌ منَ المال»

وكان إقلاع الطائرة فجرا . بعد جهد طويل ثقيل . وكان الحاج مُحَمّدو – رحمه الله – آنذاك ضابط الحج وصار من بعد أول سفير . ومات في صدمة سيارة بطريق مايدوقرى . وكان عالما . لم يكن الجهد الطويل الثقيل بالطائرة أو طائريها ولكن في روتين المطار . وكانت طبيبة قد قدمت بلا تأشيرة أو لعله طبيب وبدأ الروتين السوداني يتعقد للشعور الجديد بخوف الجاسوسية . وأشرقت علينا الشمس ونحن فوق صحارى السودان التي كأنها طربيزة من خشب المهوقني لحمرتها أو صفرتها أو غبرتها المزركشة التي لا نبات عليها . وبين حين طويل وحين آخر تبدو أشباح نقط خضر : شجيرات . لعل هذا وادي . والساعات البطيئات في متن الهواء يتتابعن . وكانت طائرةً من الجيدات حقّا في ذلك الزمان – عام عَبُّود – قبل ثورة نوفمبر ، من طراز « دوجلاس ستة» تقطع ما بين كنو والخرطوم في سبع ساعات أو ست . كان ذلك قبل زمان الأليوشن التي تقطعه في أربع ساعات . و« طُو » الروسية قد تقطعه في ثلاث ساعات إذ لها محركان في كل مكنة من مكنتاتها الأربع أحدهما مع سير الساعة والآخر عكسها هذا وراء أخيه وجناحاها كبيران جدا يرجفان في الهواء مثل جناحي الرخ ... وفيها غرفات بعضها فوق بعض وكراسي وأرائك متقابلات وأخذت الأرض زخرفها وازّينت وظَنّ أهلها أنّهم قادرون عليها .

والنفاثة تقطع ما بين الخرطوم وكنو في ثلاث . واستبدل نكروما الأليوشن بفي سي تن البريطانية ذات الذُنابي .. قالوا غفل عبد الرحمن بن فرناس عن

زمكيّ الطائر فسقط فاندقّ صلبه . وكانت الفي سي تن نهاية عهد نكروما . وكانت دولته في أكرا أقرب شيء روحا إلى تخيلات أرويل في ذيل مزرعة البهائم الذي أسماه ١٩٨٤ . رَقْصَة الهاي لايف على النشوة من بيرة ستار أشبه شيء بالتلسكرين والشاي والأشربة المركبة تركيبا كيماويا . والشعب لهم المصنوع محليا وللأجانب مصنوعات الملكة اليصابات . من مفارقات المجتمع النامي بقايا الاحترام المالي للاجانب . شيء من عقلية الاستعمار تزين للعقول فتقنعها أن المواطن الأفريقي يكفيه كذا والأجنبي يحتاج إلى أضعاف هذا . وحاجة الوطن المتخلف إلى الخبرة الأجنبية . موضوع العرض والطلب والصواب أن يعطى كلاهما أجراً واحداً من دون امتيازات . في بعض البلاد الافريقية أدت مسألة الأجر الواحد إلى تمتع الأفريقي الذي سيخلف الحكم الاجنبي بامتيازات رجال ذلك الحكم . وتلك الايام نداولها بين الناس .

ونزلنا في مطار أغبر فيه أزهار . هو مطار فورتلامي . وغادرناه . قال ذلك لنفسه وهو ينظر من النافذة إلى السماء . منظر السماء من الطائرة أبداً يفعم فؤاده . لم ينتبه ليصرف الطرف عن السماء إلى رقعة الماء الواسعة الكدرة . نظر إليها فانطبعت منها انطباعة لا يقدر أن يستحضرها الآن . لكن نظر اليها فيما بعد متأملا . كأنها – أي بحيرة تشاد – برك كثيرة مجتمعات . كدرة لون الماء تراها من جو السماء . كأنها ما يجتمع من المطر الغزير في البطانة أو الجزيرة غرب المشروع .

وبحيرة تشاد مستودع مائي ضخم تصب فيه أنهار وخيرات جمة من نيجريا . ومن غرب السودان وأوساط افريقية . وقيل ليس لها شاطىء يرى وإنما أطرافها مستنقعات وطين . و « ديكْوَا » ليست منها ببعيد والماء يندفع من عيون بها كأنما ينبثق من نافورة . و « بديكوا » اتخذ رابح حصونه وغبر ثم دهرا يحكم بلاد « بَرْنُو » حتى أتيح له الفرنسيون .

ومن بعد بحيرة تشاد بدت خضرة نيجريا . يذكر منظر خضرتها اذ دلفت

الطائرة منحدرة إلى مطار كنو . ويذكر خضرتها مرة أخرى من الأليوأشن إذ غادر الخرطوم في الضحى في التاسعة ليرى خشب المهوقني حتى أوائل رقعة الماء الواسعة التي هي بحيرة تشاد . لفت نظره مظهر الاستقرار والفلاحة غرب تشاد بالقياس إلى البداوة والخلاء شرق دارفور .

ويذكر منظر خضرة نيجريا إذ دلفت به الطائرة إلى مطار لاغوس من غانا. وإذ دلفت به طائرة الخطوط الأثيوبية النفاثة من طراز بوينغ . غادرت الخرطوم نصف النهار واجتازت الصحراء الغبراء ثم بدت بحيرة تشاد برقعتها المائية الواسعة . ثم أشجار أرض تكرور مفترقات بينهن المزارع المتجاورات . ثم تزداد الاشجار وتختفي مسافة غبرة الأرض بينهن شيئا فشيئا . وتكثف الشجيرات حتى تكتسي بهن الأرض قد تجاوزنا منطقة كدونة إلى الحزام الأوسط .ثم تطول الاشجار وتكثف . نحن الآن في إقليم الغابات الحارة والنخيل الباسقات جداً مرتفعات من كل مكان . وبين الغاب أنهار جاريات كدرات مفعمات والخضرة دهماء كابية . والنخيل الطوال لا تشبه النخيل عندنا . خوص نخيلنا قويّ متماسك وقامات نخيلنا هيفاوات وجريدهن رشيق ولكن نخيل الزيت فاحش الطول لا خوص له أو كأن خوصه عشب يهتز لأقل نفحة من هواء .. إنه ذابل ميت . وهناك البحر المحيط الأطلسي رمادي اللون من فوقه السحاب وهو يلاطم الشاطىء الأدكن الخضرة . نعم خضرة نيجريا هي التي تلفت نظرك وتنطبع انطباعا في ذهنك أول ما تقدم إليها وخضرتها من المطر الغزير الذي ينتظمها من أقصى شمالها عند خط العرض ١٤ إلى خط العرض ٤ كأنها تمتد على نطاق يوازي ما بين كوستي إلى مريدي ومنقلة .. هذا مجرد تقريب . وليس أمامي الأطلس فارجع إليه هداك الله لتصحح هذا الذي نذكره . وأقصى شمالها أحسبه أكثر مطرا من البلاد التي تقابله أو كأنها تقابله عندنا مثلا .

مدينة كنو شمالية جداً بالنسبة إلى نيجريا وتشتد أمطارها اشتدادا في يونية وأغسطس فتنهمر صباح مساء وعشية وليلا وقد تفعل نحوا من ذلك في يونية

ومعها رعود قواصف وبروق رواجف رواعف . يذكر ، إذ كان مسافرا من زاريا إلى كنو بالسيارة وكثيرا ما كان يسافر من زاريا إلى كنو ومن كنو إلى زاريا لحضور اجتماعات لجنة من اللجان الكثيرة في العمل الأكاديمي . ويجتمعون لحديث كحديث ضروب من يكونون في الجماعات والجمعيات فراراً من التوفر على التحصيل فعل أبي عمرو وسيبويه والخليل ، وأفلاطون وفلوطين وارسططيل ، وحدث عن أهل العلم والفضل والأدب ولا حرج .

كان آئبا آنذاك من زاريا بعد العشاء — بعد صلاة العشاء — بعد وقت صلاة العشاء إذ نادى الأساتذة افرنجي كأنه في كهف حاني — نسبة إلى الحانة — بمؤسسة متحررة في بلد الافرنج ، وصلوات الاسلام عنه بمعزل .

ونظر أمامه — حوالي الثامنة مساء — فيرى البروق . يراها من يمين وشمال بعضها ملتو دقيق كالحبل الدقيق وكالثعبان إلا أنه ثعبان من نور . وبعضها واسع منتشر مثل قماش منشور . وبعضها شقائق . وبعضها كالسيوف أو كالسياط . وبعضها كأنه عمود من نور . وبعضها كأنه نهر جاري ، مثل ترع الجزيرة ، الترعة الرئيسية وأبي عشرين والمراوي . وبعضها كأغصان . وبعضها كأنه جمر وكأنه شرر .

ولاحت بروقٌ في السماء مخيفةٌ لها شُعَبٌ زرق الضياءِ وأنهرُ
ومنهنّ ذو أغصان شوكٍ كأنّــه به شَررٌ من مَلّةِ الجمر يُنشر
يروع كما عين الكَمينةِ روّعت بجاحِمها لمّا إلى الطّوب يُنْظَر

- ٢ -

يا ريحانة الجبل إنني لحمل .

رأيت الشمس تسطع نورها وهاج .

وأرسلت شعاع شعرها من جانبي الوريد .

وقَلْبُها من حديد .

اسجعا كسجع الكهان .

حتى متى أنت تجاهد ، كل يوم ترقب فتحا . ترقب صباحاً ينقلك إلى أكْثَرَ عدداً وأعزَّ نفراً .

وقد نفر الناس عن إحسانك إلى إساءة غيرك . وترى الجهلاء الأغبيــاء يكفرون يدك .

لمن تكتُب ؟ يكفر يدك كل جاهل . كل عاقل أيضاً .

في الظرف رائحة الخمرة من ذات الخِمار العوان .

الحرب العوان .

أرسلتْ إليك أن شُمَّ العطر الذي عند كَفَّيَّ .

هل قررت في نفسك على اللامجازفة . كم يكيد لك الأعداء . كم تحب تلك التراث حباً جما . ذلك التراث يا هذا .

قلبك واسع الأرجاء . هكذا قالتا .

«وقالت حنانٌ مــا أتى بك ههنــا أذو نَسَبٍ أم أنت للحيِّ عارفٌ»

تسأل عن ذات الفَراشات لاتعلمها من هي ؛ والسُّكْسُكة تعلمها لأن السكسكة لطيفة ذات ألوان . ذات لون واحد . وحسبت الفراشات صفة للنظّارات . وانما هي صفة للعينين كما في الرائية التي في نافذة القطار :

تَغيمُ بعينيْهَـــا وتصحُو وإنّنَا لنرنُو إليهـــا وهْي لا تتأثَّرُ
كـــأنا إذا نرنُو إليها نغوصُ في بِحارِ بألوانِ الفراشاتِ تَزْخَرُ

أصل التشبيه من ههنا .

وأنْتِك السنيّةُ الشّطْبَةُ العذبةْ إنّ الاماءَ لــلأحرارِ
وَهِـي الــدُّمية البهيّـــةُ والسُّكّسُكَةُ المنتقاةُ للمختارِ

هذا النيل يزيد حتّى غمر الحُروف . يُمْنٌ زيادة النيل . يمن طين النيل ومن عجب روتين المكاتب لازال على ما صنعه الحكم الثاني . قال له الفتى الذي كان فتى وهو الآن كهل : ناوَلْتُكَ الليمُونَ لذكرك اللّيْمُونَ . وتَعْصِرُ الليمون . وهي الليمونُ . وأنت تحبها جداً . أنت تُقَدِّر الجمالَ جداً . أنا أحترمك . وقد جعل الله وجهاً نضيراً . قال تعالى : هل أتى على الإنسان حينٌ من الدهرِ لم يكُنْ شيئاً مذكوراً . يا فاتنتي يا حمامتي يا صقري . هل قبّلت الريحان . يا بُسْتان . يا فنن البان . نام الأديب وقصّ أحلامه من لدن وجد لين فراش السرير إلى أن توسد ساعد الظبي الغرير . قعدنا معاً على شاطىء النهر بالبلدة النائية بالمطعم . وكانت معهما فتاتان أمريكيتان ليستا ضربة لازم من الولايات المتحدة . وكان القمر يشرف من فوق على الماء بضوئه قبل أن يركز فيه الوافدان العلم . قالت الملائكة : يسقط الاستعمار . شقراء الشعرِ وثيرة الكفل تمشي على عَجَل .

قصيرة رسحاء ذات نهدين .

طويلة ذات عينين واسعتين وصدر ملآن غضير الشباب .

وهذان كأنهما تيسان لكل تيس صُنان . وقفا . قالا . ماذا قالا . غطس السابح في التيار . والسنطة تحنو . والقِثّاء هش .

جاءوا في سياراتهم حتى ازدحم ما حول الفندق . والفندق خواء بارد الأرجاء . إلا أن الحان فيه المدفئة . الفحم يشتعل وتلك بسّامة غُلامَةٌ ذكرتك

العِجْلة (أخت العجل الذي هو ولد البقرة والثور) ... « وكذلك ألقى السامري فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار » .

أيذكر حين دخلت العجلة فوجدت الهُولَةَ فريعت لمرآها .

وشميم عرار نجد ... في روضتها البراعيم

« وَعَمْرَةُ من سَرَوات النساء تنفحُ بالمسك أردانُها »

صندل الهند والرند والكبا

« ويصنّ الوجوهَ في المَيْسَنَانِيِّ كما صان قرنَ شمسٍ غمامُ »

وفقدت الألفة والحديث وعطرها نفسه ريع . سبحان خالق الضحى كيف تغيب عنه النجوم . كيف تطفىء شمس الضحى الشمع الذي كان لطيف الضوء ليلة البارحة عند كأس الويسكي . عند كأس البيرة . عند المعازف . قالوا إن قوماً يستحلون الحر والحرير والمعازف فيبيّتهم الله إذ هم يسمرون عند علَم أي جبل فيذهب بالعلَم ويكونون قردة وخنازير . نحو من هذا في البخاري . وفي صحيح مسلم أن الشيع من قوله تعالى (أو يَلْبِسَكُم شِيَعاً ويذيقَ بعضكم بأس بعض) — والبأس قد ذهب فبقي الخسفُ والمسخ وذلك أن قوماً من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، يعكفون على اللهو ويبيتون عليه فيصبحون قردة وخنازير . كالقرية التي كانت حاضرة البحر . قيل هي أيلة التي يسميها الآن اليهود « إيلوت » يا هذا . ولقد بطر بطراً . أكل ونام ولبس وأكل ونام . قال المستر سكوت « وحَمَدْ دخلْ بلدْ الحبش وبلد الحبشْ حجرْ » . قال الشارح أو صاحب الحاشية « وحمد دخل بلد العنَجْ وبلد العنجْ خَمَجْ » . وإلى العَنَجِ يُنسب سوطُ العنج ويصنع من جلد العِنْسِيتْ وهي فرس البحر .

كفر أحد المساكين نعمة الله شأن صاحب الآية في سورة التوبة « ومنهم من

عاهَدَ الله لئن آتانا من فَضْلِه » ... ذكروا أنه منع الزكاة أشَراً ولم يقبلها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم والأشياخ من بعده أبو بكر وعمر وعثمان وفي زمانه مات ... منعوه لما أعقبه الله في قلبه نفاقاً إلى يوم يلقاه . أعوذ بالله أن يصبح قوم ممسوخين قردة وخنازير . ولقد رأينا من كفَر بأنعم الله عياناً بياناً . وشرب القوم الخَمْرَ لا يبالون . وفيما زعموا أن أهل إفريقية كانوا يشربونها حتى جاء الفقهاء على أيام حَسّان بن النعمان فحرّموها . أزبكستان لطيفة جيدة الاعناب والبطيخ والشمام ولا يبرحها الغبار . قالت له المهذبة إنها تريد أن تسكن ولم يملك من أمر الإسكان شيئاً إذ هذا عند الجلاوزة ولكنه قوة أدبية — ظنت هي أنه قوة أدبية — في هذه الكينونة داخل الكينونة كلتاهما اقص ويحسب أنه تام (أي أمر ناقص يا هذا) .

لما استقلت المستعمرة صارت هي مستعمرة داخل الاستقلال الجديد .

لما استمر الاستقلال صارت هي استقلالا استعمارياً ، داخل ضروب الاستقلال الجديد لأن الاستعمار صنع استقلالها والشيء من معدنه لا يستغرب .

الذين كانوا لا ينجحون كان نجاحهم بتدبير الاستعمار . هو الذي كان يضع الأسئلة ويصنع الثقة في القلوب . ويجتهد ويذاكر ويجيب عن الأسئلة ويصححها ويرتب الدرجات . الذين يرسبون كانوا هم عدو الاستعمار . وهم عمد التحرير وينتقمون من النجاح الاستعماري بالغضب البليد أو التليد . وكان الاستعمار ضد الذكاء ومع الغباء فقد مهد لهم الطريق . والاستعمار في الكيد عريق .

جاءت لميس عليها الوَدَعُ الذي ترمي به العجوز . قالت له يا أخي كلام الناس . قعد عند الشاطىء . رقد فوق العنقريب فنام . جاء الثعبان . الثعابين شتى . قرأ معه قصة وضاح اليمن . قال السيد الختم ومن البرص والجذام وكل فضيحة صولية أو كما قال . وأكفئوا أياديهم كناية عن كراهية البلايا ...

« من البلايا والمحن والأهوال » . قصة الصندوق التي ذكروا عن الوضاح من أغرب الحكايات وترجمها ستاندال . خلص إلى زوجة الرجل أسرع مما ينبغي ولعل أنه كان شاباً وكانت إلى الأربعين يبرر هذا الخلوص السريع . وقريب من ذلك ما صنع موباسان في التي فضحت من أرادها في القطار وما امتنعت عن الذي احتال عليها بالفندق أدنى امتناع . وأضاءوا الأنوار جميعاً ليحولوا دون مشهد غرامي . وضحكت حين كاد يستحل الحر بعد الحرير . أعوذ بالله من صيرورة الانسان إلى خنزير .

رآها مساء الليلة أول مسائها أطول من نخل الصحراء . في هذه الصحراء كفلها ثقيل وطرفها عليل كحيل إن الله على كل شيء قدير .

قالوا كان زياد بن أبيه إذا أتي بالخارجيات أمر بهن فصلبن عاريات . وفي كتاب الكامل من أخبارهن . وقال قطري بن الفجاءة وكان من شيوخ الخوارج وذوي لسنهم وسادتهم وقادتهم وفرسانهم :

« فيا كَبِداً من غير جوع ولا ظما ، ويــا كبداً من حبّ أم حكيمِ »

أما الطريق فمزدحم جداً . هذه السيارة عن يمينك تريد أن تفوتك على اليسار وأشّر لك سائقها أن تريث .

هؤلاء العضاريت لهم اتحاد عجيب . كبرياء الزعانف . ماذا قال الجاحظ : عبيدنا من السند وذمتنا من يهود . العيب في أبناء هذه الديار أنهم يتحاسدون .

« إنمــا أنفسُ الأنيسِ سباعٌ يتفارسن جهرةً واغتيالا »

والحسد داء ينهك الجسد . كان هذا مما كان يردده كثيراً الدكتور أحمد الطيب . هل تعرف الدكتور أحمد الطيب أيها القارىء الكريم ؟ كان ألمعياً من قوم لامعين ألمعين . وكان يقرأ كثيراً ويكتب أحياناً كثيرة على طريقة سارتر في حديد الروح — قرأه بالانجليزية مترجماً ومذكرات أندريه جيد . كان يقول

له أندريه جيّد بتشديد الياء تظرفاً بالعربية إذ كان بحقيقة نطق اسمه عالماً .
خافت المسكينة أن يصنع بها القوم صنيع الجستابو حين أمر هتلر باستباحة الأجناس السلافية .

ما سمعت أُذُنٌ مثل هذا .

صفات الجنة لا يدركها إلا أهل العقائد لمشاهدتهم لها بالبصيرة .

اطمأن القلب إلى منظر الغابة ، لا الغابة تحت نيل الدميرة .

هذه دائماً تخيف . لأن عُنْصر المجهول بأزاء عنصر المعلوم جداً .

المعلوم جداً .

قنطرة النيل الأبيض .

كاد القارب ينكفىء وهي تجذب الحبل والتيار له حُبُكٌ .

ماذا قال ثاتشر في كتاب المطالعة للمستشرقين يكلفون أظفار عقولهم قلع مسامير القواعد .

وكانت إحداهن تحضر بالشورت لتقرأ في مكتبة المتحف لأنها تريد أن تخترع نظرية مثل كارل ماركس . لأن النظريات الآن تخترع بلباس زي خاص والانتماء .

والأفئدة هواء .

يركبان سيارة عصراً ليريا النيل الأبيض . إنه وديع مثل التي كانت شابة بلون مثل نوار القطن .

« بُنيتْ على قَطَنٍ أجمَّ كأنــه فُضُلاً إذا قعدت مَدَاكُ رُخَام »

كان المستشرق غيوم يعجب كيف جسر حسان على نحو هذا الشعر ينشده أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم .«الر . تِلْكَ آياتُ الكتابِ وقرآنٍ مبين . رُبَّما يودّ الذين كَفَرُوا لو كانُوا مُسْلمين » .

وقد كان فيه إلى المسلمين والعرب ميل . ونقده اليهود في ترجمته السيرة نقداً مراً فيما بلغنا فكتب مختصراً في السيرة كأنه يعتذر إليهم به ويرثي أو كأنه يرثي أمر بني قريظة .

ولو ظفرت بنو قريظة لقد كان يوم المسلمين عبُوساً قمطريرا .

ولقد كان بدير ياسين . فكيف نأسى على قوم كافرين .

أخطأ الناقد حين زعم أنه كان موظفاً صغيراً . ما كان موظفاً صغيراً . كان منذ البدء في طريق أن يكون كبيراً ويحال بينه وبين حقه منذ عهد الاستعمار منذ ثورته على عهد الاستعمار حينما كان بعض زعماء المستقبل يرتعدون أمام الانجليز . وما ذلك على الله بعزيز . ولقد تآمر عليه أذنابه بعصبيات الخدم والبوم والرخم .

« أحاذر بوابين قد وُكّلوا بها وأحمرَ من سَاجٍ تَئطُّ مَسامِرُه »

وعيون الخنجرية ناعمات كالخناجر .

أخطأت ذات الوهج الساطع حين حسبت ذات الفراشات بنظّارتين . إنها تقضي ثلاث ساعات تصبغ عينيها الأصباغ .

وذلك الوادي فيه ذكريات الطفولة وفندق حق ممتع .

وملتقى الساعون بالرون في ليون نبيل .

وصعود المطر على جبل أو شبه جبل .

ونزّ النيل وقد حاذى ماؤه حرفَ الشاطىء كأسا دِهاقا .

وهل تذكر ليلة ذى دوران .

هل تحسبهم كانوا يضربون عنقك لو حضرت الحجاج أو مسرفا .

قال محمد بن الحنفية إن لله في كل يوم كذاوكذالحظة وكذاقضيةأحسبهذكر

ثلاثمائة وستين . قال للحجاج إنك لا تدري . ومنذ دهر – على انتهازية الحجاج كنت أحس فيه تشيعا . وإلى نفس من ذلك عرض محمد بن يزيد في الكامل .

هل يستطيع أن يستمتع بهذه الكتابة أحد .

إنها جنون أذكياء . جنون علماء .

كان الطيب السراج ، رحمه الله ولعن قاتليه ، شدّ ما هشموه وكان رجلا جميلا ، كان يقول إنه لا بد من جعل علم العربية معياراً للرجال . يمتحنون قبل السماح لهم بأيما عمل في النحو. جَزّارٌ في السُّوقْ لَحَنْ سَحَبْنا الرُّخْصة هكذا قال فيما بلغنا . شد ما أحزنه عندما دخلوا الحجرة التي كان يجلس فيها . ما رآها منذ آخر عهده بداره . كان عام ١٩٤٥ . ولم يكن أول عهده بها قبل ذلك بكثير . أول ما زاره أنكر شعر ابن الرومي إنكارا . ولم يكن يرى لمُوَلَّدٍ ولو عبّاسيّاً من مكان. وعام ١٩٤٥ رآه مع الأستاذ الأديب الشاعر البارع المتذوق للشعر كرف . مدحه صاحب ديوان « نار المجاذيب » فأحسن .

ودخل الفقير الفقيه الأزهرى ليأكل الكباب بحي الأزهر – ربع رطل فرآه وأمامه رطلان فجحظت عيناه . إتقوا العين فانها تصير . . . . تُدخل الجمل القدر والرجل القبر . واستعاذ . الاخلاص إحدى عشرة مرة والمعوذتين وإن يَمْسَسْكَ اللهُ بضُرّ ، والصلاة والتسليم على ذي الخُلُق العظيم .

(٣)

يا حبذا مقدمها في الثوب الأحمر .

الفستان المينجوب الأحمر المفصل تفصيلاً ذا زوايا .

قال المسكين وعيناه تدمعان هل تأكل التماسيح الناس . وكأنه لم يقرأ حين اختطف التماسيح بنهر سوباط طفلا . عهدك بجبل مَرَّةَ قديم . وكان أول العام نظمك الأبيات اللامية يا شاعر .

« والشعراء يتّبِعُهُم الغاوون » . صدق الله العظيم .

سايرتك إلى الشارع . كم تحبك . كم تحبها . ماذا عسى أن يثمر هذا الحب خبرني ، أحاجيك .

رووا آخر هذا عن معاوية : أحاجيك ما لا يُنْسي شيباء أبا عُذْرِها وقاتِلَ بِكْرِها .

لمن تكتب أيها العبقري . تكتب بالعبقرية فوق مستوى آخر ما بلغه جيمس جويس ومارسيل بروست . ولكن أغبياء ينتسبون إلى لغتك لا يعلمون من ذلك شيئاً . لا زالوا يرسفون في قيود العبيد . قيود التقليد . اللهم هل تسمع قالوا لا يستجاب دعاء الصالحين قبل زمان علامات الساعة . . قالوا في المائة الرابعة عشرة في عشرها الأخيرة يجيء الهَرْجُ . ثم تستحل فروج المسلمات . ما أشد استعجالهم إلى هذا الاثم . قالت العانس متى تبتدىء الفظائع ؟ .

والخلوة بالأجنبية إلا للمعروف حرام .

مع أبيهما .

« يا أمَّ نَعْمَان نَوِّلينـــا قد يَنْفَع النائلُ الطفيفْ

أعمامها الغُرُّ من لُـؤَيٌّ   حقّـاً وأخوالهـا ثقيـفُ »

بَسْلٌ . تحدث ابن حبيب في المحبر عن البسلِ حبيب أمه لم يعرفوا اسم أبيه . ولعله لم يكن له أب . قالوا مات أبو جعفر المنصور بالدسنتاريا .

هل زرت نيجريا .

ما أودع الفتاة البيضاء الصغيرة الغضيرة .

قالت يمنعني الحياء والعفاف ويكفيني الكفاف .

ماذا قال المعري :

« أودى فليت الحادثات كفافِ » .

شد ما تكلف القافية ولا تغرنّك عن ذلك الفصاحة .

هل تكتب هذا الكلام للنشر ؟

لا بد من ناشر لما تكتب ولو فرضاً أو توهّما .

أريد الأذكياء ليقرأوا هذا . لا حبيب أو حبيبان أو حبيبة أو حبيبتان يا محمد بن حبيب . وإثم الخمر كبير أكبر من نفعها . فيها لذة تضيع مع النوم وتكون صداعاً عند الصبح .

وصلاة الصبح من خير الزاد فاحذر أن يكدر وقتها .

وقراءة القرآن بالسحر لا تصلح مع سهر العصر الحديث .

ويقبض الله روح من كان في قلبه ذرة من إيمان .

تهبّ ريح يمانية تفعل ذلك .

ويبقى أهل الفساد والسفاد ثم تقوم الساعة .

إنغريد برغمان كانت جميلة جداً . لا زالت جميلة . وقد أقدمت إقدامة على فراق أسرتها وبعلها إلى الطلياني وبعد الطلياني استقام لها طريق المجازفة .

أسفاً على عصر الشباب . كانت مجلات السينما قصاري متعة آفاق النفس من العالم البعيد . كان يتعصب «لجون كَرادّاين» وكانت فيه منه مشابه . ويذكر جيمس كاغني في العشرينات الصاخبة . والجزائر .

وغريتا غاربو لا زالت في الستين ذات رواء .

وهي صاحبة دام أو كاميليا . قصة مؤثرة جداً . إلاّ أن المؤلف قسا على نهاية البغيّ بشيء من حنق المجتمع الحديث والأوربي على البغايا .

كنّ في العهد القديم ذوات صيت يهاجر إليهن الفتيان .

كان على « دوما » الصغير أن يميتها ميتة سُجُحاً بعد إذ وصفها بالجمال الباهر .

أحسب هذا في قصته ضعفاً .

أبعاد الأبنية في موسكفا — موسكو .

ذهبت إلى الحمام الكهلة والكهل ذهب إلى الشارع .

وقبل قيس ليلى بحلاوة ، قبلات .

وليلى هذه من كتاب طوق الحمامة شقراء

وعيون الشقراء لما أردناها إلى اللهو دمعهنّ غزيرُ

قبلتني بريقةِ الشفةِ السُفْلَى ومسُّ اللِّثَاثِ منها غَضِيرُ

ذات العينين اللتين هما ذواتا أفنان . مدهامّتان . آية واحدة . فدُكَتّا دكّةً واحدة . مرارا مرارا . أحب ذلك لكن أخشى أبي . أخشى أمي وأبي . كل فتاة بأبيها معجبة . حتى أنتَ عَجُوزٌ الطريق بين إيفي وإبادان بديع . وفتيات نيجريا كلهن جميلات .

وإبادان سرّك القَرَعُ المُعْمَلُ فيها وقينتـان وكـوبُ

ونيجريا بلد عظيم يجري فيه نهر عظيم . هذه بحبوحة إفريقية .

جاء الخَـرِعُ يمدح شعرك إنك عن مدحه لغني .

بعض أوجه الناس شديدة الشبه بوجوه الكلاب .

طارت بنا « طُو » بين موسكو وتشقند .

والجناحان يَـرْجُفَانِ من النُّفُو لاذِ كالرِّيش والشَّبَابُ يَغُرُّ

تجلس إلى الحلوة أين أين الشباب .

جاء الخرع يمدح شعرك إني عن مدحكما لغني . التثنية على حدّ قول العرب راكبُ الناقة طليحان .

ذَمْ . قالتها الغزالة وهي تصلح الهندام بخفر الإسلام .

زعموا أن سعيد بن المسيب سمع عمر يقول اللهم أنت السلام ومنك السلام .

زعموا أن سعيد بن المسيب لم يسمع عمر وكان أعلم الناس بقضاياه وانظر الطبقات .

لماذا أكتب هذا العبث . أكسلا عن الاستمرار في التفسير تقص هذه القصة وتنسى أولها وأوساطها . اكتب يا مؤلف تفسيرك الواضح الجيد لجزء عم وجزء تبارك لينظر فيه فلان وفلان هل يصلح لتلاميذ المدارس . كم سيدخل على المؤلف من الجنيهات . عدوا حلقات الاذاعة فقالوا تسعين ألفا :

« تِسْعِينَ أَلْفاً كآسادِ الشَّرى نَضِجَتْ

جُلُودُهم قَبْلَ نُضْجِ التِّينِ والْعِنَبِ »

جذور الفضل والعلم أمر لا بدّ منه لتقدير العلم . ولذلك كثير من أبناء الطحلب يظنون أن برنامج التفسير بالاذاعة دخل مستمر لصاحب التفسير يحسدونه عليه . لا يفكرون إلا في الدخل . وقال كَلْبٌ من الكلاب العظيمة القَصَرَاتِ والبطون إن صاحب التفسير بني منه القصور . وليس ذلك على الله ببعيد . أعظم التفاسير كتاب الطبري وحسده جماعة من الجهلاء على الفضل

فآذوه وهو النور المنير ، محمد بن جرير . قالوا وغضب منه بعض منتظريه حين أنشد :

« سُبْحَانَ من ليس لــه جَلِيس   ومَا لَهُ في عَرْشِهِ أنيس »

قال الفتى : ليت لي سكرتيراً أملي ويكتب . انه مبتلى جداً بالشعر والنثر ومعاناة الأغبياء والاجتهاد المتواصل . واليد واحدة وهو غريب .

وقد علم بذلك الحبيب .

يا ريحانة الجبل . جودي قبل أن نقف على الطلل .

هذا أسلوب فيه نفحة من العقاد . رحمه الله . تالله تفتأ تذكر يوسف .

يوسف بن تاشفين . هل رأيت المنارة بشبيلية . وقف عندها أندريه جيد وأحس المسجد . كاحساسه له . هنا كانت تُهَدُّ الآيات البينات كما كانت تُهَدُّ بأورشليم وفررنا عنها فرار الظليم .

نعم لي أحباء وحسب المرء حبيب واحد .

قال العقاد :

« خُذُوا الدُّنْيا بأجْمَعِها   حَبيبٌ واحد ذُخْــرُ »

حمداً لله على أن لقي هذا الرجل الفذ وعلم أنه هو فذ .

ومحمود محمد شاكر وهو مبرز عزيز وذهب إبريز .

وطه حسين وهو عبهر وَرَنْد وبَحْر وفرند .

والشيخ محي الدين عبد الحميد سراج وبحر عجّاج .

لعنة الله على السياسة كم تباعد بين بلدين .

« في كِلْتَ رِجْلَيْها سُلامَى زائدة   كلتاهما قد قُرِنَتْ بواحــدة »

سبحان الله لو انتصر لأحد لانتصر لعلي بن أبي طالب . بلى قد انتصر لرسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم . وكان ما كان لعلي والحسين وزيد بلاء وتمحيصاً كالذي كان من مقتل حمزة ولله الأمر من قبل ومن بعد . واقرأ خبر البخاري إذ ساق حديث وحشي من يوم عينين . اللهم انفعنا بجاه البخاري فقد كان من الصالحين أهل النور . ما توسلت به من قبل وأنا الآن أفعل . ولو شاء الله به أجاب . بلى لقد فعلت : «ودين وراءَ النَّهْرِ في مَرْوَ خائفِ» (بانات رامة) ورثى ابن الزبعرى حمزة لا أشك في ذلك وكان من شياطين قريش . فتى الفتيان . «ألا يا حَمْزَ للشَّرف النَّواء» .

هآملتكو . أي نسبة إلى هامليت قصيدة شكسبير التي ألهت بني تَغْلِبِ نُقّادِ الأدب المقلدين عن كل مكرمة .

«كما تَراطَنُ في أفدانها الروم»

قالوا : هكذا ذكر مسلم رضوان الله عنه ، انه لا تقوم الساعة إلا على الروم وهم أكثر الناس . وليس الروس من الروم على الأرجح لقول أبي الطيب

«وكَيْفَ تُرَجَّى الرُّوم والرُّوس هَدْمها
وذا الطَّعْنُ آساس لها ودعائم»

وكان من العلماء .

والبروفسير فلان من العلماء . كتب صفحتين نقلا من صفحات كتبها وهو تلميذ بأحدى معهديات أوربا . وكتب ثلاث صفحات بلغة لا يحسنها . وكتب ثلاث ورقات بالاشتراك . وصوّر لعظمة انتاجه صوراً . فقرأها الحَكَمُ الأول ومساعداه وعصبة مفاتيح قارون التي ناءت بها . فقالوا برافو . . . . سير أي يا سيدي التي كان يقولها النعميون أيام الاستعمار .

شد ما كان يسرق المازني من ذي الرمة ثقة أن الناس لا يعرفونه . قال له هل تتحداني وهو مثل جراب الفول

وقال له الذي هلك حَبَطاً أنت فول يو فول

وسوف يهلك كما هلك قريباً غداً أليس الصبح بقريب إن الله على ذلك لقدير . « يا ليتني كنتُ صبياً مُرْضَعا . »

هل رأيت عَيْنَيْ طِفْلٍ ذلفاء وابتسامة ضوء البص من كل جانب في نعومة المساء

« عوجي عَلَيْنا رَبَّةَ الْهَوْدَجِ »

البرق العبادي . ثم برق آخر . ثم سحابة دهماء . وانهمر المطر مدرارا . وانتثر برق ذو شرر كالبرق الذي في طريق زاريا .

وبعض البرق كبسمة رحبة

وتغضي الشقراء ببسمة مغضية

« قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزل »

عضت شكيمة عزوف وحدجت بغضب هل تجسر على أن تطردني .

أخّر الحَرثُ بن خالد الصلاة فيما زعموا من أجل عائشة بنت طلحة فعزله عبد الملك بن مروان

أزعجه أفزعه الحلم العنيف . لطمة على الأنف وظلام .

ولقد رأى تأويله . . . ودرأ عنها أوله وعقابيله

اشراق ليلى لن يزول والله رب العرش به كفيل

زوري فَدَيْتُكِ يا حبيبةُ زُوري الرِّيفُ أنْتِ ونَحْنُ في الْعَتْمُور

ولقد عَلِمْتُ بأنَّ وَجْهَكِ مشرق والعيشُ لَوْلاَ أنت كالدَّيْجُور

ولسوف تُقْبِلِ بانبلاجَةِ كَوْكَبٍ منها منيفٍ عبقَرِيِّ النور

وقف عند النيل يتأمل التيار

« ثانِيَ اثنين إذ هُما في الغار »

هو وريحانة الجبل . . . ماذا قال ابن الوردي ؟

« اعتزل ذِكْر الأغاني والغَزَلْ   وقل الفَصْلَ وجانِبْ من هَزَلْ »

« كل من سار على الدَّرْبِ وصلْ »

(٤)

من نيران البرق التي تروع ...

(يا بِنْت ... والتمعت عَيْنا بَبْرةٍ [١] من ضواري غابات الصُّغد في الدهر القديم) .

ينهمر الماء الذي تخضر به نيجريا . وفي الاقليم الجنوبي لا يكاد المطر يكف طول العام . قد يبلغ نحوا من مائة وعشرين بوصة بل ثم مواضع يبلغ انهماره فيها ثلثمائة بوصة في العام . لعل هذا المقياس لا يحمل كبير معنى اليك أيها القارىء الكريم . وحسبك من معناه انك اذا وضعت الملابس في دولاب اخضرت وطحلبت من الرطوبة . ولم ينقطع المطر بإبادان أياما متواليات يولج النهار في الليل ويولج الليل في النهار . وينزل المطر في كنو الليلة الطويلة ثم تلبس حذاءك في الصباح على رمل أو كالرمل وكأن المطر لم ينهمل .

وأكثر نيجريا سهل . وأعلى نيجريا هضبة جوس عندها يصطاف المصطاف كأركويت عندنا . وجوس مليحة المنظر يشم المرء مما يوقده أهلها رائحة أخشاب زاكية كشذى أخشاب أركويت وفيها نبات شبيه بالزقوم الذي هناك. وهي كثيرة المياه تنبع منها أنهار كثيرة تصب في نهري نيجر وبنوى . وهذان

(١) الببر من السباع ضخم ذو خطوط يسكن الهند وهو أكبر النمور .

نهرا نيجريا ثانيهما فرع الأول . وكنو في أشهر الشتاء أبرد من هضبة جوس وأشد ما يكون عند هبوب الخماسين ويقول لها الهوسا : « هَرْمَو»والانجليز «الهارمتان» لا ينطقون الراء . وهي رياح ذات غباردقيق يجيء من الصحراء الكبرى ويرتفع في الآفاق راكداً بارداً صفيقاً وقد يكثف حتى يعوق النظر ويمنع هبوط الطائرات . كما يفعل غبار الهبوب عندنا في يونية .

وقد منع الطائرة الهبوط في أول الفجر مقدمها من الخارج . فاتجهت الى أسمرا . ثم صعدت مرة أخرى فمنعها الهبوط . فعادت الى أسمرا . فأخذ السودانيون الى فنادق الدرجة الرابعة من كان بالأولى منهم ومن كان بالسياحية وأخذ الأوروبيون الى الفنادق المحترمة . قالوا نظام هذه افرنجي لا يصلح معكم . وما كان الأرب التفرقة العنصرية في بلد لا ريب افريقي مستقل . غير معقول . فقط لأن الوافدين من بلد العَنَج يُحِبُّون بنات الحَبَش وهن لا يكن ميسورات في فنادق الدرجة الاولى كما يكن في البنسيونات وفنادق الدرجة الثالثة والرابعة والانترسول . وكان العشاء دمعة حمراء كبيرةٍ سَوْداء .

ثم حضرت جوار حنفصيات ينافسن بألوانهن أقداح الملوني بأيدي بعضهم. هؤلاء في زعم الذي نَظَّم هذه الاستراحـــة يساوين هيلتون وأضرابه مـــن لكوندات الدرجة الاولى فما فوق .

ودُرْنَ على جميع الحاضرين يصافحن أيديهم مصافحة .

قرأ في مجلة تايم ان فندقا فرنسيّ الاسم لا يخلو اسمه من تَوْرِية آثمة يقال له « كلكتا » يرقُصْن فيه النساء عاريات .

وفي بعض مباذل افريقية بالحواضر المشرئبة ما لا تحلم به كباريهات الافرنج ومنتديات التحرر والالحاد فيما بين السويد وألمانيا ولندن .

ومن أقبح ما يرى المرء منظر الأوروبيين يرقصون « هايلايف » يتأفرفون

بذلك . ولقد يذكر اذ تهتز الاوزة كأنها أرزة .

وإن لِقَاءاتِ القُلوبِ خَفِيّةٌ مَداخِلُها والتّجْرِبَات مَفاتِح

« هايلايف » هذه رقصة من صميم حضارة الغابة بالساحل الغربي . يقف البنات والأولاد في حلقة مستديرة ثم يرقصون على أغان من المنصة . من ضربين مؤنث ومذكر . كلا الضربين يتغنى به مغن رجل واحد يُشَخّنُ صوته في تذكير ثم يرققه في تأنيث على نحو قريب من الذي كان يفعل زنغار رحمه الله . ويمشون طائفين وهم يرقصون على الغناء كلُّ فتى وراء فتاة . يهتزون اهتزازاً . والنساء بملابس فضفاضة وعمائم وقد يكون على الأظهُر أطفال . وهن ينتفضن في الثياب انتفاضا قوي اقتراح الجنس . والموسيقيون يضربون القرع وهو لهم دفوف .

وأباديد من خُطاً كُلّما قُلْتَ تَمادَيْن كَبّهُنَّ لُغُوب
والجلابيبُ خُنّسٌ وثعابينُ فَحيحِ الجُسُومِ فيها تَذُوب
أين منك الغَدَاةَ غيد إبادان ولَيْلٌ كغيدِها غِرْبيبُ
قد ذَكَرْتُ الفِرْدَوْسَ منها وأيّامُ إبادَانَ ذِكْرُهنَّ يَطيب
ولَقَدْ قِيل إنّ في لَيْلِها الغِيلَةَ هَيْهَات لَيْلُها مَشْبُوب
وقد اغتيل فيها أَكِنْتُولا .

ومع أَكِنْتُولا كان اغتيال الحاج أبي بكر تَفَاوة بِلِيْوَا بلاغوس . وماي زكريا وأصحابه بين الخمسين والستين ليلة دعا ضباط الإيبو لحفل زواجه وعاجوا عليه وهو يريد أن يغني فغادروه وأصحابه كأمس الدابر وكتبت جرائد المتحضرين بشتّى اللغات وشتى المذاهب والايديولوجيات التي تفهم الصليب وتجهل الإسلام – ومن جهل شيئاً عاداه – تذكر أن قتلهم كان ضرورة تقدمية ثورية . لقد جئْتُم شَيْئاً إدّاً .

في الطريق الى مطار كنو رأى نورا أحمر أو كأحمر في سيارة زميله الستروين الفخمة الجديدة كأنها تريد ان تكتشف الفضاء وأن تقعد باقعاء وثير معاً . وكان الطريق كأنه موصد بالسيارات الواقفات وكان زميله وجيهاً وضيئاً مهيب « الريغا » . وهي جبة ذات أجنحة من أجمل أزياء الرجال . وهي زي الهوسا . وإذ بسير المروحة انقطع وجاء مندوب الشركة وسط الزحام وعلى حين قرب من وقت نهاية العمل ... وانما كان مندوب الشركة مديرها نفسه اذ قد ذهب العمال واحترامه للحاجي الوجيه عداه عن التسويف . فاستبدل السير الذي انقطع بآخر جديد . تفاءل خيرا ان مصيبة تلم ثم يؤسى جراحها .

وكان الحادي عشر من يناير ١٩٦٦ مقدم سردونة من العمرة . وكان عابس الوجه على خلاف عادته مرّ وماحيا مع تفرُّسِه الواقفين ومعرفته أشخاصهم واحداً واحداً واذا باغتياله بعد أربع ليال .

قالوا كان شُكُوما الذي تولى مصرعه قد أعد لذلك خطة منذ زمان فكان يخرج بجنوده في ساعات متأخرة من الليل مختلفات يزعم أنه يدربهم . حتى اذ جاء الوقت الموعود للفتك بسردونة ما ظن أحد بحركة الجنود ريبة . وذكروا أن أكينتولا حذر سردونة أنه مقتول .

وما كان أغنى سردونة عن ثكنات الجيش الفدرالي بكنو وكدونة إذ قد كانت حسبه عصبية صكتو والهوسا . ولكن ليقضي الله أمْراً كان مفعولا . وأحسب أن إضعافه الأمراء كان مما أضعفه هو ولم يأبه لذلك .

ذكروا ان جماعة من حرسه التقليديين من صكتو دافعوا عنه بالسيوف دفاع استقتال وكانت امرأته تذمرهم وكان في الغرفة العليا يُعِدُّ نفسه كمن يخرج لاستقبال شأنَ سادة قومه وكان فيما ذكروا يتهجد اذ كان ذلك في عشر رمضان الأواخر وقتلوا امرأته وهو قد نزل من الدرج فوقف وقفة

أمير بقامته الشامخة وقال لهم بالأنجليزية اذ كانوا من الايبو : « اني لأعجب ، وماذا صنعت ؟ » فوجموا لهيبة مرآه وكرّرها ـ اني لأعجب وماذا صنعت ؟ « Iam amazed and what has she done »وخشي شكوما أن يفلت زمام الأمر من يده بحضرة سردونة . فأعطاه من سلاحه في فمه ليصمته فخر صريعا .

وريع لخبره سوق « سابَنْغري » وكان يموج يغشاه قُتَار الشواء وعجيج النَّهَم فانْذَعَرَ الناس عنه كأنما باغتهم سبع مفترس .

وفرح الايبو حتى قد خطبوا بذلك في الكنائس . والتبشير ذو حقد عظيم على الإسلام. وأحسب مصدر هذا الحقد من كراهة روم النصارى أن يستنكف غيرهم من الأمم عما يدّعُونه هم لأنفسهم من مذاهب الفكر والدين لثقتهم أنهم خير الناس كبراً منهم تلقوه أبا عن أب منذ أيام القبلية الأولى .... وقد ذكروا ان الكبر قد قسم عشرة أقسام فتسعة في الروم وواحد في سائر الناس .

وقد انتقل حقد التبشير وكبر الروم من طريق الاستعمار الى بعض بـلاد افريقية فكان من ذلك مصرع سردونة ومذبحة الواطوسي وتمرد مريدي وتوريت واستئصال العرب في زنزبار وما يوم ديسمبر في الخرطوم ببعيد . قال المنشد الجديد :

نحن قتلنا لُومُمْبا نحن قتلنا الزّرّافْ
نحن زَرَعْنَا النِّيم في مَنْغَلاَ
والتَّبْشِير في الرّجّاف
تَافْ . تَافْ .
نحن قتلنا سِرْدَوْنَا
نحن قتلنا العرب في زَنْزِبَارْ
نحن هتكنا تُورِيتْ

لا مَرْجَانَ بعد اليوم لا سُومِيتْ
تَافْ تَافْ تَافْ
نحن الايبو ، نحن الأوبو ، نحن الآبا
نحن ذبحنا الجَلاَّبهْ
نحن فُرْسان الغَابَةْ
تَافْ تَافْ تَافْ
نحن قتلنا لوممبا نحن قتَلْنَا الزَّرَافْ
نحن زرعنا النِّيم في مَنْغَلاَ
والتبشير في الرَّجَّاف .

كان خرشي الثاني باباداي يرى تقديم درس العربية في التبشير بالإسلام ونَشْرِه على كل شيء . وكانت الدولة عملا بظاهر تقاليد حرية الاديان تسمح على تكرُّهٍ بحصتين لدرس الدين ... الدين فحسب وتنتظر أن يدرس بالانجليزية . واحتال خرشي الثاني وتلاميذه على العربية بالقرآن اذ هو جزء الدين الذي لا يتجزأ . وبلاغوس وسط العمارات الشواهق مدرسة للقرآن لا يستنكف المسلمون من ان يبعثوا اليها صغارهم كما يستنكفون بالخرطوم حيث تزدحم سياراتهم حتى احتاجت الى تنظيم أمام مدرسة سنت فرنسيس ... أصبح ائتمان رهبان النصارى على عقائد الاطفال ــ وهم عليها لا يؤتمنون اذ أصْلُ دينهم يحثهم على غرسه بأَيتما وسيلة وبلا استثناء ــ « موضة » طبقية كما تكون عند لك ثلاجة ومكيّف وهلّم جرا .

ويقال ان المتمردين خنقوا الحاج أبا بكر . وقالوا له توضّأْ بالبيرة فقال لهم في هدوء إنه ان لم يجد المـــاء تيَمّم . وسملوا عينيه كراهية بريقهما ولعلهما أرادوهما لنوع من سحر واستشفاء . وكان رحمه الله يؤمن بالفكرة الفدرالية ويحسن إلى الإيبو أيما إحسان فجزوه جزاء سنمار . قيل ألقوا جنازته في مستنقع

ريفي وكتموا أمر موته حتى إذا كان عيد الفطر أظهروه لكيلا يفرح بالعيد المسلمون .

وساحل البحر في لاغوس عظيم وله عباد . وعند رمال البحر معابد مكشوفة جدرانها أكوام مرتفعة شيئا ما على الأرض من رمل الساحل رباعيات الحَرَم كُل منها كأنه زاوية وفي كل منها جماعة من عباد البحر ، قوم منهم على وثنيتهم وقوم منهم صاروا الى طريق من المسيحيـــة مستقبلو البحر واقفين وقاعدين . وعليهم من السحر جو رهيب . ووراءهم نساء اليروبا يَبِعْنَ أصناف الحوت العراض والطوال والرمادي والأزرق وذا الألوان والقِطّي والكلبي والعقارب وأشباه الدود والثعابين وضروب المحار .

وفي سوق السحر بإبادان رؤوس القردة والضفادع والأوزاغ .

وذكروا أن السياسيين كانوا يستعينون بالسحر والسحرة . يُجاء بوزغ حي ويُزَمزم منهم المزمزمون حوله ثم يطعن الساحر فقار ظهره بشوكة أو حديدة فيصرخ العدو وينقطع نخاع ظهره ويموت ويعجز عن معرفة سبب موته .

ويقال إن أكبر ما ينفق فيه الايبو مالهم التعليم والسحر . فيطلبون التعليم من المدارس وفيها سحر الرجل الأبيض ، ويطلبون سحر الأوزاغ والطلاسم عند الهوسا

وأمواج الأطلسي عند رمل لاغوس ضخام :

والرَّمْلُ أَحْمَرُ في بَحْرِ الغزال وقد ألْقَى السَّحَابُ عليه ظِلَّ أَبْرَاد

وأين عندك بحر الغزال ومرأى الزرافة بها الجميل الوديع الحزين .

كان ذلك قبل التمرد

وما بين إبادان ولاغوس بأيما طريق سرت ضروب الأشجار منهن طوال

فارهات باسقات . وأخر كأنهن من صخور ذوات أضلاع كأضلاع العضلات في جسم المصارع القوي يبدو منها العصب والعروق .

كريه منظر المتصارعين يضربان البلاط بأيدي والوجوه بين الفزع والتشنج المكروب .

ثم هذه الأشجارُ الصخريّةُ مَظْهَرَ الْخَشَبِ واللحاءِ ولَوْنِه ذاهباتٌ صُعُداً في السماء مثل بيوت النمل الحمر ناطحات السحاب .

والحضرة الكاسرة تهم بافتراس .

هذا أصل السحر . والغيلة من السحر

وبين كنو وزاريا أشجار ضروب .

وفي طريق كتسنا (كشنا) من بينها وبين غُسَوْ ومن بينها وبين كَنُو غابات يقال فيها الأسد . وفي وادي جِبْيا دَوْمٌ حسان . وسدر نيجريا جيد الهيئة أكثره حبُّ السدرِ الماءِ الا أنه كله من نوع الضال كالسدر الذي عندنا بالسودان . وحَرَازُ نيجريا حسن الا ان الذي بوديان غربي دارفور أحسن منه .

والطُّوروا في فِجَاجِ الأَرْضِ زَيَّنَها كَأَنَّ دَوْحَاتِه من نُبْلِها غُرَفُ

ومن كان له عشر شجرات من الطوروا – تنطق الطاء كالدال بين بين – كان ذلك له ثروة . وهو الذي يقول له الافرنج لوبياء الجراد .

وثمره كثمر الحراز أو دونه حجماً ويسحق ويؤكل ويخلط قشره مع الزبل فتطلى به البيوت ومنه علف . وخشبه وقود جيد ومنه عيدان دقاق مستويات كالأقلام تجعل سفافيد يُحَزَّم بها اللحم الذي يدق ويطلى بالشطة والفول السوداني والزنجبيل .

ويزرع الزنجبيل كثيراً بزاريا وهو جيد مع اللحم وحسن مع القهوة وأحسن

منه معها الحبهان ... كان مزاجها زنجبيلا وهي سلسبيل .

لا تكرهي غزلي إليك فإنه ريحانة من راحتي يا فستق

قالت فستق العبيد .

دم . كتر خيرك .

أبوسك قودباي باي باي .. بــ بــ بــ باي .

البت دي طويلة مثل حبوبتها (أي جدتها) . . أحب ثلاثة أجيال كعائشة التي في كتاب رايدر هغارد وأفسد القصة بجعلها تظهر عليها السنون آخر الأمر . هلا ألزمها الخلد وملكاً لا يبلى .

قال محمد بلو السلطان صاحب إنفاق الميسور فيما رواه .

إن كنورين قوم أهل جور واعتداء

كأنه يعرض بالكانمي . والكنوريون البرنو وهم طوال رجالا ونساء ولنسائهم أسلوب من ضفير الشعر عجيب ويحملن الأعباء على الأكتاف لا الرؤوس كما تفعل الهوسويات والفلانيات .

وكن جميعا في عريش كبير بالسوق البرناويات الطوال في الثياب الزرق حمر الأسنان قانياتها لمضغهن التنباك كما يمضغون بالهند التنبول والقات باليمن والقورو بهوسا . وصحب القات في مجلسهم ضمور يمضغون فإن تحدث منهم أحد قال : مخزن . . أي يا هذا أأنت خازن في فمك مضغ القات . قالوا وهو منشط . وطعم القورو من القهوة قريب وقيل يقوي الباه . وكذلك إحليل التمساح وزبد البحر ذكره الديربي صحيح مجرب هكذا قال ، وفي ديوان نار المجاذيب :

« وأكلت العروق ليلا لقد جربت في « الديربي » كل سبيل »

قالوا ان سردونة أراد الشهادة ولولا ذلك لكان أستعان بما لديه من الأسرار.

قالوا ورمسيس الثاني كانت عنده أسرار . لما أحاطت به الجموع بسورية أو فلسطين فأخرج خاتما من يده ونفخ فانمحى الأعداء انمحاء . كانت عنده قنبلة ذرية غير خبيثة .

وبعض أهل الغرب لا يمشي فيهم السلاح . وقالوا في كندا رَجُلٌ يتفادى الرصاص بسياج مغنطيسي كهربائي طبيعي يبثه حول نفسه فهو له من الرصاص حِجابٌ .

وكذلك ألقى السامري فأخرَجَ لهم عِجْلاً جَسَداً له خوار . وبذلك الخوار انهارت أسوار أريحا

أم لعل أهْلَ أريحاء سمعوا من قبل يُوشَع ورعيله أوائل نفخة الصور .

تعالي يا رَيْحانة الجبل .

فإن هذا العيش لا يحتمل

لا تَكْرَهِي غَزَلي إليك فإنّــه رَيْحَانَةٌ من رَاحتي يا فُسْتو
لوكِي اللّبَانَة ذوِّقيني طَعْمَها لا تَحْرِميني إنّني مُتَشوّ
بوحي فَدَيْتك طَمْأنيني رُبّما يُشْفى الْجِراح بنُوح وَهْوَ الموة
لا تَجْحَدِيني بالنّفور وسامِحي إذ أشْتَهِيك فإنّني لا أفْسُقُ

ذكر معلم جُنَيْدُ وزير صكتو أنه قرأ عن ابن عباد أنه رأى فتيات يحمل الجرار ويمشين وَحِلات في الطين فأعجبه ذلك فصنع طينا من المسك في دار وجئن جواريه يمشين عليه وَحِلات .

ومعلم جُنَيْدُ من الفضلاء العلماء له كتب ومنظوم ومنثور وقال اذ ق مع سردونة رحمه الله الى الخرطوم :

« يا مَنْ يُصَعِّد أنفاساً بأنفاسِ شوقاً لخُرْطُومَ ذاتِ الوَرْدِوالآس
صَبْراً قليلاً فإنّا سوف تحملنا رعادة في الهَوا مَلْمومة الراس
طيّارةٌ تتبارى في تجاوزها شُهُبُ السماء التي ترمي بأقباس
تُعْطِي الدُّخان وتَنْهى عن تعاملنــــا
بِه عليها وهذا خُلُقُ مقياســـــ
حتى أُنيخَت لدى الخُرْطُوم في سحر
والقَوْمُ ما بين سُهّاد ونُعّاســـ
يا حبّذا البَلَد المَيْمُون من بَلَـــد
خُرْطُّوم حازَ بها ليلاً من الناس »

وكان سوق سابانْ غرى يوم قتل سردونة يفوح بقتار كباب الزّنجبيل ونَهَم الحياة .

وعلت حرائق الثأر واستحر القتل بعد أشهر وأقبل الهوسا يجرون الجامْري – الايبو – (تجعل الجيم كالنون) ، يَذْبَحون من حُلوقهم ذَبْحَ الحلاليف. كانوا يقطعون حلوقها بأوروبا ويدعونها مُعلقة على الشجر طوال اليوم ثم يصنعون منها الهام والبيكون وضروب الكُفْريات . وقتل إيرونزي شَرّ قتلة. وحدثت امرأة أنها رأت جثث الإيبو تحترق « بسابان غري » ولها قُتار .

وحسبنا الله ونعم الوكيل .

قرأ الامام يوم الجمعة في الركعة الاولى بعد الحمد سورة القارعة الى نار حامية وفي الركعة الثانية سورة ألهاكم التكاثر الى قوله لترَوُنَّ الجَحيم الى آخرها . فحسبنا الله ونعم الوكيل .

* * *

(٥)

أصل الفلاتة فيما يرجح من الساحل الغربي عند غينيا الحديثة وهم الفلانيون أو الفلاّنيون بتشديد اللام والفرنسيون يقولون بول بالباءالمعطشة لتقارب الفاء والباء في مخارج لغة الهوسا والفلاني . وأحسب أنه يقع في بعض صيغ الهوسا أن يقال فلاتني بتخالطِ ما بين التاء والنون فعَلّ هذا هو سبب قولنا فلاّتة والله أعلم .

ومنهم الشيخ عثمان بن فودي الرجل الصالح كان مولده بشمال أرض هوسا عام ١١٦٧ هـ نحو ١٧٥٤ من التأريخ الميلادي وتوفي رحمه الله سنة ١٢٣٢ هـ وكان مبدأ حربه سنة ١٢١٨ هـ . وكان معلماً أخذ العلوم فيما ذكروا عن الرجل الصالح الحاج جبريل وفي ذلك يقول :

« إن قيلَ فيَّ بظَهْرِ الْغَيْبِ ما قيلا　　　فَمَوْجَةٌ أنا من أمْواجِ جبريلا »

ثم أقام بامارة « غوبير » يعلم الناس واشتهر بالبر والتقوى واعتقدت فيه البركة . قالوا وخافه أمير غوبير على نفسه فهم أن يفتك به فكان ذلك سبب هجرته . و« غوبير » هذه كانت من إمارات هوسا السبع .

وفي كتاب نشوان بن سعيد أن ذا الاذعار دَوَّخ بلاد كوش واتجه غربا فجاء بأقوام ذوي خلق مرعبات ذعر بهم الناس . وأخبار هجرة أسولهم من اليمن أمر متواتر بين هوسا وكثير من أمم الساحل الغربي .

وصلة بين زغاوة والفلاتة والبربر مشهورة .

ولعل الطوارق عرب قدماء من أشلاء من صحب ذا الاذعار أو نظرائه .

وهم يلبسون الزرقة ويكتبون بأحرف موغلات في القدم وجرس العربية في لسانهم بَيِّن .

وفي بعض الكتب أن البربر ولدتهم نساء حِمْيَر للجن . وحمير قد صاهروا الجن رجالا ونساء إذ بلقيس فيما ذكروا أمُّها من الجن .

قالوا وأصل إمارات الهوسا السبع من قصة ثعبان « دَوْرا » .

قالوا وكان ذلك أيام ازدهار ملك البرنو حول شاد وملك صنغاي (صُغَيْ) في أرض تمبكتو وغُوَا وما حولهما . وكانت بين البرنو وصنغاي مسبعات الهوسا : دَوْرا وبُرام وكَنُو وكَشْنا وغُوبر ورانو وزاريا . وزعموا أن الهوسا كانوا عبيدا للبرنو وأن أصل ملكهم كان من رجل يقال له باجيدا أو أبو يزيد بن عبدالله قدم من بغداد .

أحسبهم نسبوه الى بغداد من أجل الطريق القادري كما الـيُربا ينسبون أصلهم إلى مكة من أجل الإشارة الى صلة ما بالاسلام . قالوا وكان ابو يزيد هذا ملك أرض برنو وهموا بالفتك به فحذرته امرأته فهرب الى دَوْرا وترك امرأته ببُرام حُبْلى فولدت له . وبلغ هو دَوْرًا بليل . وكان معه حصان أو حمار فاستسقاها لنفسه ولحماره فزعمت أن لا ماء عندها وحذرته ثعبان البئر اذ كان له شِرْبٌ ولسائر الناس شِرْب فمتى وردوها في غير أوانِ ذلك فتك بهم .

قالوا فمضى باجيدا الى البئر وقتل الثعبان وأمكنته ملكة دَوْرا من نفسها فولدت غلاما . والمؤرخون يحققون أهو أبو يزيد الخارجي أم أبو زيد الهلالي . وطابع الرمزية الجنسية في القصة لا يخفى .

وبدَوْرا الآن من بين قرى الهوسا يحتفل بمولد الرسول ﷺ يحضره القوم على الخيول .

وكانت أوائل مدينة كنو في القرن الحادي عشر وكان أهلها عبدة ثعبان أحمر .

ويقال إن أصل ملوك غوبير كانوا من قبط مصر . ولقب سردونة الذي كان للحاج أحمدو بلو الشهيد أصله من ألقاب مُلْكِ غوبير .

قالوا وحين هاجر عثمان بن فودي للجهاد انتدب اثني عشر أميراً تيمناً بهذا العدد اذ عدد نقباء رسول الله ﷺ في البيعة الأولى كانوا اثني عشر واذا قال الهوسا « شيهو » يعنون الشيخ عثمان لا غير .

وكتب لشيهو عثمان النصر على أمراء الهوسا كافة . وخلفه ابنه محمد بلّ بتشديد اللام وضمة ينحى بها نحو الفتحة ... بلّو ... بوصية منه وكان فارسا شاعراً أديبا عالما وذا قدم في السياسة وتدبير الملك .

وكان عبدالله أخو « شيهو » عثمان عالماً قويّ الباع حبراً في النظم الا أن محمد بلّ عسى أن يكون أشعر منه من حيث خالص الشعر والله أعلم .

ولم يرض عبدالله تقديم ابن أخيه الا أنه كان رجلا صالحاً وسرعان ما رجع الى الحق وأحسب أن شيهو عثمان أصاب من حيث حقيقة جودة الاختيار حين قدّم ابنه والله أعلم .

ولعبدالله بن فودي كتاب ضياء التأويل في التفسير نفيس للغاية وكتب أخر

وكتاب إنفاق الميسور لمحمد بلُّ درة . وتوفي عبدالله عام خمس وأربعين ومائتين وألف ومحمد بلُّ بعده بسبع سنين .

واستعد أهل كنو لقتال الافرنج أوائل هذا القرن يحسبون أنها حرب أسوار ومقاومة حصار ولو قد صنع الخليفة عبدالله التعيشي بالبقعة نحو صنيعهم لعله كان قد أخر مجزرة كرري ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً .

واستشهد وزير كنو وفرسانها أمام مربع النار سنة ١٩٠٣ .

ورام السلطان الطاهر ، سلطان صكتو الهجرة فراراً بدينه الى بيت الله الحرام فحيل بينه وبينها في موضع يقال له « بُرمِي » حيث دهمهم الانجليز

بخمسة عشر مدفعا وأربعة مكاسيم وخمسمائة من جند البنادق ذات السعير سعير القرن العشرين .

« ربنا لا تُؤاخِذْنا إن نَسينا أوْ أخْطأنا »

هذا دعاء علمتناه يا رب ،أفتؤاخذنا ألا نطيع كما أمرتنا أن نطيع ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك . إن تَهْلك هذه العصابة لا تُعْبد .

إنها عليكَ قَلْبُها رؤوفٌ رَحيم .

قال أبو الطيب :

« زَوِّدينا من حُسْنِ وَجْهِك ما دَا م فَحُسْنُ الوُجُوهِ حالٌ تحولُ
وصِلينا نَصِلْكِ في هَذِهِ الدُّ نْيا فإنَّ الْمُقَامَ فيها قليل »

هلك الاشياخ وواعدتك اللقاء . يا سَارِيَة الجبل .

قالوا رجع الحديث . ،

وصبر السلطان الطاهر وصحبه واستبسلوا بنشابهم المسموم : « لَدُنْ غُدْوَةً حتى دنت لغروب » . وقتل المستر مارش قائد حملة الكفرة المعتدين . وصار السلطان الطاهر وفئته الى المسجد يصلون المغرب فقذفهم الافرنج بالمدافع فقتلوهم أجمعين . وكانوا نحواً من سبعمائة . « والذين قُتِلوا في سبيل الله فلن يُضِلَّ أعْمالهم . سَيَهْدِيهم ويُصْلِحُ بَالَهم . ويُدْخِلُهم الجَنَّةَ عَرَّفها لَهُم . »

وجاء الاستعمار وجاء التبشير .

وجيء يؤمئذ بجهنّم .

وقالت امرأة لُوغارد نُسَمّي هذا البلد نيجريا .

وهو اسم عديم الاصالة اذ معناه السودان . وما أكثر ما اسمه السودان

بافريقية بلغات العالم المختلفة . ولئن جعلنا نسمي كل قطر من افريقية أسود أو سوداناً مرة بلفظ من أصل اغريقي كاثيوبيا ومرة بلفظ من أصل عربي كالسودان ومرة بلفظ من أصل روماني انجليزي كنيجريا أو روماني فرنسي كنيجير فان ذلك لعمرك غاية الافلاس الفكري والتاريخي والسياسي . والاستعمار عدوان فلا ينتظر منه في تسمية ما يسميه الا محاولة ضرب من الوسم التملكي كقول الراعي عنزي البرقاء وثوري الأبيض وخروفي الأدهس وجحشي الأدغم والسودان الفرنسي والسودان الانجليزي المصري ونيجريا ونيجير . وقد اقتحم نكروما – وكانت أكسبته الكنيسة نوعا من غشاء ثقافي – فسمى بلده غانا على بعدها من موقع غانة القديمة .

والانفصاليون الجنوبيون سموا دولتهم أزانيا ولعلهم بهذا الاسم فرجون وإنما هو لفظ الزنج والجيم عند اللاتينية ياء وهي كذلك في بعض العربية . قال الآخر :

« ربَّ العبادِ إن قَبِلْتَ حجَّتِجْ فلا يَزَالُ شَاحِجٌ يأتيكَ بِجِ»

وأزانيا كان يطلق في الدهر السابق على ساحل الزنج من أنف افريقية حيث بلاد الصومال الى دار السلام وما وراء ها والله أعلم .

وأحسب أن قسس المبشرين هم الذين زينوا اسم أزانيا للانفصاليين ولو أبهوا لاختاروا اسماً غيره ، إن يك لا بد من عناد وانفصال وقتال .

وأحسب أننا نصيب لو سمينا بلدنا بغير إسم السودان لو سميناه العتمور أو سنار أوسوبا أو شيئا من هذا المجرى . ولعلنا نحسن إن تخلصنا من رمز الكَرَكَدَنَ « الخرتيت » فان أبا الطيب يقول ، يهجو كافورا وأصله من سوداننا على الأرجح :

«وشِعْرٍ مَدَحْتُ بِه الكَرْكَدَنَّ بَيْنَ القريضِ وبَيْنَ الرُّقَى »

فاستعمل الكركدن سباباً كما ترى .

صَحا القَلبُ عن ذِكْرَى سُعادَ وزينبا ... ومَرْيَمَ أهْــلاً بالعزاءِ ومرحبا
صحا القلب عن ذات الدّلال وما سلا ... هواها ويَرْجو عندها أن يُقَرَّبــا
بما هي زَهْراءُ العَشيّةِ قُرْبهــا ... يُعيدُ الينا ما تَوَلّى من الصِّبــا
نَهينا لعمرى عن هواها قلوبنا ... فلما انتهينا لم تَجِدْ عنه مذهبــا
وقد نَظَرَت لي نَظْرَةً فَوَمِقْتُها ... لَدُنْ هي بِكْرٌ قبل أن كُنْتُ أَشْيبا
وكانتْ كَعاباً تُلْحِفُ الصدرَ ثَوْبَها ... عــلى ثقةٍ منهــا لكيْ تتحجّبا
وكنتَ ترى في وَجْهِها من ضُمورها ... ورُمّان ثَدْيَيْها الذي قد تَغَيّبا
وكنتُ أذُوق الثّغْرَ منها بِنَظْرَةٍ ... اليه وأسْتافُ الرَّحيقَ المُعذَّبا (١)
وقد جرحت قلبي بخَنْجَرِ حسنها ... وأغمدت فيها من شَبَاتي كَوْكبا (٢)
وكم أنِفَت ألاّ تجيب نـداءنـا ... وكم قد أنِفْنا والهوى كان أرْحبا
وقد حَزِنت لَيْلى وقد سال دَمْعُها ... على الخَدِّ حتى في فُؤادِك أعشبا
ألا إنَّ لَيْلى أوْشَكَتْ أن يُزيلها ... عن الصَّبْرِ أنّ العَزْمَ إحسانَها أبى
تَذَكّرْت من ذاتِ الدّلال تَحيةً ... بثَغْرٍ لها كالخَمْرِ رَيّان أصهبا
وقد علمت أنّي أرى في جَبينِها ... نَجابَتَها والحُسْنُ بالحبِّ يُجتبى (٣)
مُحَجّلة غَرّاءُ من خَيْلِ جنّةٍ ... بتدْمُرَ طارَتْ عن سُلَيْمانَ وُثّبا (٤)
ألمْ تَرَ أنّي مُفْرَدُ القَلْبِ والحِجا ... عَصِيٌّ على أهْلِ التكاذيبِ مَطْلبا
طَويلُ وِصالِ الصَّبْرِ باللهِ واثِقٌ ... على طُولِ ما عَنّتْكَ الوِصالُ تُنَكّبا (٥)

(١) أستاف : أشتم
(٢) شباتي : حدي .
(٣) يجتبى : يختار (مبني للمجهول) .
(٤) قالوا لما ندم سيدنا سليمان لما فاتته الصلاة وجعل يقطع رقاب خيليه وأرجلها كفارة كانت بعضها من نسل الجن فطارت فصارت الى جزيرة العرب .
(٥) تنكب : تجاوز مالئلا .

عزيزٌ أميرٌ نفسه قيْدُ خصْمِه   على كُلِّ حال ثابتٌ إن تقلّبا
يُوالي صَلاةَالصُّبْحِ يَدْعو وينتهي   إلى أملٍ كالصُّبْحِ حُرّاً مهذّبا
أسيتُ على بَيْنِ الحبيبة إنها   لَعَمْرِي كانت لي عزاء ومهربا
تبَسّم بالدُّنيا العريضة ثغرها   إليَّ وبالرَّوْضِ المنوّرِ في الرُّبا
وبالماءِ ماءِ الْعَيْش في ظمأ الْمُنى   إليها على سَيْرٍ توالى وأنصبا [1]
وبالطِّفْلِ غِرّاً وهي جاوز عمرها   ثلاثين بل كانت أشبَّ وأشْغَبا
وباللّهْوِ كلِّ اللّهْوِ والظرف والرضا   وساعةِ صَفْوٍ كان أهْلاً ومرحبا
وقد كان حبي صادقاً مِثْلَ حبها   وكنت حَبِيباً راغِباً مترهّبا
وكانت دَنَتْ مِنّي دُنُوّاً ولامست   بكفيَّ كفّيها ولانت لتعذُبا
وقد وَسْوَسَتْ بي في سُوَيْداءِ قلبها   وقدوسوستْ نفسي بها والهوى طبى [2]
وبانَتْ لِيَبْقَى حُبُّها خالِداً كما   يُخلّدها جَمْرٌ من الحُسْنِ ما خبا
وعادَتْ إلينا وَهْيَ لا زال حُبُّها   سلافَتنا والقَلْبُ بالخَوْدِ في الصِّبا
سلامٌ عليها في بلادٍ أثيرة   لدينا سقَيْنَاها الغمامَ وأخصبا
بها الخَمْرة المشتاقةُ اللّوْنِ كأسُها   إلى رَشَفاتِ الحُبِّ في خَلْوَةِ الحِبا
وإني بها مُغْرىً وإني أُحبُّها   وأصبو إليها ما أحبَّ وأطيبا

* * *

(١) أنصبا : أتعبا .

(٢) طبى : دعا .

(٦)

قال رُؤبَةُ بنُ العجاج :

« وقدْ أرَتْنا حُسْنَها ذاتَ المَسَكْ

شادخَــةُ الغرّةِ غرّاءُ الضّحِكْ »

شادخة الغرة أي غرتها كبيرة منيرة تقول فرس غراء وحصان أغر . المَسَكُ بالتحريك جمع مَسَكة وهي سوار من عاج وكنــا نستعمله في سودان ونقول له الكِمّ بكسر الكاف وتشديد الميم وكان من الزينة الحسنة لأن التفاخر بالغنى ألغاه وألغى سوار اللجين . ولأسماء سوارٌ من ذهب .

تَرْفَعُهُ هكذا وتَخْفِضُهُ تَرِنُّ أجْراسُه وتَضْطَرِب
وأنتِ مَعْبودَةٌ مُقَدَّسَةٌ وعندنا الشّمْعدانُ والتّحَفْ

قالت هاتِ الكتاب أنت لا تريد تدرسه وشَعْرُها كَسبيبِ سنابلِ عَيْشٍ يبس .

قال رؤبة بن العجاج :

« عرَفْتُ بالنّصْرِيّةِ المَنازِلا وقد تَرى بيضاً بها عَقائــلا
إذا مَشَيْنَ مِشْيَةً تَحامُــلاَ يَجْلُونَ غُرّاً تُمْطِرُ المَلائلا
كالبَرْقِ يَجْلُو بَرَداً سَلاسِـلا يَسْقِينَ مَنْ كُنَّ لــه حلائلا
بِخَصِراتٍ تَنْقَــعُ الغَلائلا غادَرَهُنَّ السّيْلُ في ظلائلا »

أي بثنايا باردات عذاب تنقع غلائل العطش كالمياه الباردات الصافيات التي غادرهن السيل في أماكن ظليلات . والعرب تقول للنساء النواعم بيض

لأنهن تجلو ألوانهن النعمة فاذا شقين من كدح العيش اسودت ألوانهن :

وقال رحمه الله :

« يا صَاحِ قد جَادَتْ بدَمْعٍ هَمَلٍ

أي كثيرٍ مسفوح

« عَيْنُكَ من عَهْدِ الصِّبَا وجُمُلِ
لما ازْدَرَتْ نَقْدِي وقَلّتْ إبْلي
تَسْألُني مِنَ السِّنِينَ كَمْ لي
فَقُلْتُ لو عُمِّرْتُ سِنَّ الْحِسْلِ
أو عُمْرَ نُوحٍ زَمَنَ الْفِطَحْلِ
والصَّخْرُ مُبْتَلٌّ كَطِينِ الْوَحْلِ
صِرْتُ رَهِينَ هَرَمٍ أَوْ قَتْلِ »

فهل أجابها يا ترى !

قوله الحسل فهو ولد الضب وأراد به الضبَّ ههنا ويقال يُعَمّر عمراً طويلا. والفِطَحْل الطوفان . كأنه يقول لها يا هذه أنا خير لك . لو كنت شاباً لخرجتُ للقتال فقُتِلْتُ فكنت أنتِ أرملة . وان مدَّ الله في أجلي وأنا غير شاب كما ترين عشت بك وأعشتك . ولعلها تؤثر ساعةً من شاب على دهر طويل من نعمائه وهو شيخ . هل جربت الحب يا هذا ؟

قال العجّاج :

« يا صاحِ هل تَعْرِفُ رَسْماً مُكْرِسا
قَال نَعَمْ أَعْرِفُه وأَبْلَسا
وانْحَلَبَتْ عَيْنَاهُ من فَرْطِ الأَسَى »

قال أبو الطيب :

« وما الحبُّ إلا غِرَّةٌ وطَمَاعةٌ   يُعَرِّضُ قَلْبٌ نَفْسَه فيصابُ »

ولعله رحمه الله أصاب . الا أن قلوباً تُخَبِّأُ بعضها لبعض في أزل الله القديم فيتعارفن فأين الغيرةُ والطماعة من هذا ؟

ما الذي ألف بين فؤاديهما ليلى وقيس ؟

وهيلين وياريس ؟

بغمت بعطرها اليك في رسالة مزجاة .

هل تعجبك قافية رُؤْبة ذاتِ الأوابد . لشدَّ ما أبدع صِفَةَ الحمر الوحشية وقد وردت الماء عطاشاً خائفات وعكف عليهن البَقُّ والبعوض يقرصهن . هي الحياة تقاتل لا تهدأ أو تريح .

« فَجِئْنَ واللَّيْلُ خَفِيُّ الْمُنْسَرَقْ

أي الانسراق .

« في الْماءِ والسَّاحِلُ خَضْخَاضُ الْبَثَقْ

أي الماء .

« بَصْبَصْنَ واقْشَعْرَرْنَ من خَوْفِ الزَّهَقْ

أي الموت .

« يَمْصَعْنَ بالأذْنَابِ من لَوْحٍ وبَقّ »

واللَّوْحُ هو الْعَطَشُ والْبَقُّ الحشرات كما ترى .

ولشد ما أبدع في صفة الصائد البائس وهو في حيث اختفى قد أعد سهمه ليصطاد من الوحش حين جئن ليردن :

« وَسْوَسَ يَدْعُو مُخْلِصاً ربَّ الْفَلَقْ

سِرّاً وقَدْ أوَّنَّ تَأْوِينَ الْعُقُقْ »

أي وسوس في سرّ فؤاده لا وسوس بلسان وسوسة لها جرس مسموع . وقد شربن وأمْعَنَّ من الشراب وامتلأن كأنهن عُقُقٌ جمع عقوق أي حامل .

ولا يخفى عطف رؤبة على الصائد ههنا في وسوسته وخشيته أن يخيب . ثم حين جعل يرتاز أي يختبر الخطّ الذي في وسط نَصْلِ السهم الحادّ السندري القوي السنين المجرب الذي من حدته لو رمي به أدْراقاً صففن معاً لنفذ منها :

« وَسْوَسَ يَدْعو مخلِصاً ربَّ الفَلَقْ
سرّاً وقد أَوَّنَ تَأْوِينَ الْعُقُــقْ
فَارْتــازَ عَيْرَ سَنْدَرِيٍّ مُخْتَلَقْ
لو صَفَّ أدْراقاً مضَى من الدَّرَقْ »

العير هو الخطُّ الذي في نصف النصل . مختلق مصنوع صنعاً كما ترى .

« لقــد أتى في رَمَضانَ الْمَاضِي
جــارِيةٌ في دِرْعِها الْفَضْفَاضِ
تُقَطّعُ الْحَديثَ بــالإيمــاضِ
أَبْيَضُ من أُخْتِ بني إبــاضِ »

قالوا والبياض جمال . ولما سمعت نعت نفسها بأنّها خضراء أنفت من ذلك . فانّها وهي الذكية ان الخضرة ههنا مراد بها الحيوية والشباب .

انما يكون الرجز قبل القتال . قالوا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطرب له . ونَزَل ابْنُ الاكوع يرتجز في طريق خيبر :

« اللّهم لَوْلاَ أَنْتَ ما اهتدينا
ولا تصَــدَّقْنَا ولاَ صَلّيْنا
والمشركون قــد بَغَوْا علينا
إذا أرادوا فِتْنَــةً أَبينا
فأنْزِلَنْ سَكِينَــةً علينــا
وثَبِّت الأقدامَ إن لاَقَيْنَــا »

قالوا قال له الرسول صلوات الله وسلامه عليه : يرحمك الله .

قال رؤبة :

« أرّقني طارقُ همٍّ أرّقا
وقد نرى بالدّار عيشاً دَغْفقا
إذْ حُبُّ ريّا يشعفُ المؤنّقا
إنّ لريْعانِ الشّباب غيْهقا
والشيْبُ لا سُوَقَ له ان سُوِّقا»

والبَهْنانَةُ الرَّيا شبابُها لا يزول . وعبءُ هواها لا يحول . لقد نظمنا الشعر بأفئدة الصبابة والبائسون يروزون الألفاظ يضاهون بها الأعاجم . هل علمت ذات الخال أننا قد نعوج على الاطلال . هتف هاتف التلفون بحاضرة البحر . كان البرد قارساً والثلج ينهمر على الجبل . كيف قال ابو الطيب :

«وهُوَ الشّتاءُ وصَيْفُهُنّ شتاء»

والبحر تضربه الرياح أمواجه كالكحل أعدته الجارية لِسَوادِ العيُون . دَقيقُه لامِــعٌ . حَجَرُه ذو ذرّات لوامع . وهو يباع بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم . قالوا آية قبول الزيارة أن يكلمك عليه الصلاة والسلام من وراء الأعوام .

والسبح والتمر والصالحون من حفافي المسجد دكاكينهم فيها أرج العطر العتيق القديم ... عطر اللطائم بعد إجلاء بني النضير . قال عليه الصلاة والسلام : تقاتلكم اليهود فتُسلّطون عليهم ثم يقول الحجر يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله .

وفي حديث معاوية لا يزال من أُمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضُرهم مــن خذَلهم ومن خالفهم حتى يأتيَهم أمْر الله وهم على ذلك . قال عُمَير فقال مالك بن يُخامِر قال مُعاذ وهم بالشام فقال معاوية هذا مالك يَزْعم أنه سمع مُعاذاً يقول وهم بالشام .

وكذلك هو إن شاء الله بعد ما كان من قتلى فلسطين وحرق المسجد الأقصى فلم يبق إلا أن يأرز الإسلام إلى المدينة ويعوذ اليهود بالغرقد .

قال رؤبة :

« سَبَّحْنَ واسْتَرْجَعْنَ مـن تَألُّهِي
يَقْصُرْنَ من زَهْوِ الشَّبَابِ المُزْدَهِي
بَعْـد لَجَاجٍ لا يكادُ يَنْتَهِـي
أيّام تُعْطِينِي المُنَى مـا أشْتَهِـي
غِـرٌّ بِلَذَّاتِ الصِّبـا تَفَكُّهِـي
تَحْتَ دُجُنَّاتِ النَّعِيمِ الأرْفَـهِ »

تأمل قوله « تَحْتَ دُجُنَّاتِ النَّعِيمِ الأرْفَهِ » كيف استعاره من سواد لمم الشباب ثم عممه فجعله كناية عن ظلمات العرامة واللذة والنشوة والشهوات . هذا الذي حين فارق القصد صار به مستحلو الحر والحرير والمعازف قردة وخنازير .

« فَالْيَوْمَ قَـد نَهْنَهَنِي مُنَهْنِهِي »

ولا أحسب أنه ينهنه أحداً غير الموت من شيء .

وقال رؤبة :

« دَايَنْتُ أرْوَى والدُّيُـونُ تُقْضَى
فَمَطَلَتْ بَعْضاً وأدَّتْ بَعْضـا
فَقُلْتُ قَـوْلاً عَرَبِيّـاً غَضّـا
لَوْ كَانَ خَرْزاً في الْكُلَى مـا بَضّـا
فاقْنَـيْ فَشَرُّ الْقَوْلِ مـا أمَضّا »

تأمل قوله : « عربياً غضّا » يكني بذلك عن تلطفه . وأحسب رؤبة كان يلقى من امرأته شرّاً . فقد جعل امرأة الصائد في القافية سِلْقةً أي ذئبة تلذعه بلومها فيفر إلى سهامه وصَيْدِه :

« يأوي إلى سَفْعَاءَ كالثّوْبِ الْخَلَقْ »

جعلها سَفْعاء كالأثْفِيّة التي تصيبها النار فتسود وتحمر والسفعة لون الآجر المحروق الأحمر الضارب إلى السواد وجعلها كالثوب الخَلَقْ أي البالي من قدمها وتفاهتها :

« مَسْمُوعَةٌ كأنّها إحْدَى السِّلَقْ
لَوْ صَخِبَتْ حَوْلاً وَحَوْلاً لَمْ تُفِقْ »

وقد جعل امرأته هو ذئبة حيث قال :

« يا أمّ حَوْرَانَ اكْتُمِي أو نِمّي
قد كُنْتِ قبل الكِبَرِ القِلْحَمِّ

أي الذي أقحم علي . وماله والشواب لما جاءه الكبر .

رِيقِي وتِرْياقي شِفاءُ السُّمِّ
فلا تَكُونِي يابْنَةَ الأشَمِّ
وَرْقَاءَ دَمّى ذِئْبَها المُدَمّي »

أي ذئبة جرح ذئبها فهي تأكله كعادة الذئاب .

وقد تلطف عند اختياره لفظة « وَرْقاء » إذ هي أكثر شيء في نعت الحمامة :

« دَعَوْتُ ربَّ العِزّةِ القُدُّوسا
دُعَاءَ من لا يَقْرَعُ النّاقُوسا
أمْسَى الْغَوَانِي بَعْدَ وُدٍّ شُوسا

وقَـدْ أكُونُ مَـرَّةً نطِّيسا

وقَـدْ يَرَيْـنَ بالصِّبا طاوُوسا

لَيْنَ الشَّبابِ الْحُسْنَ والتَّمْلِيسا

لا أسْتَحِـي القُرَّاءَ أن أميسا

أحْسِبُ يَوْمَ الْجُمْعَةِ الْخَمِيسا

فحيِّ عَهْـداً قَـد عفا مَـدروسا »

جاءت عليها العطر الرَّخيم حتى لا يكاد يُحَسُّ كثّة شَعْرِ الرأس زَرْقاء عُيونِها كما وصف ابن حزم في طوق الحمامة ، بنفسها ذاتَ ثقة وما انحسر عنها كلُّ أوْجِ الشباب . لقد كان يلذه أن يكون صاحب لذّة وزيرَ شهوات لولا عُقْدَةٌ في أعماق النفس هي بين الفَنِّ والتقوى والتأمل والشرف ... أهو العفاف فأبو الطيب يقول :

«والظُّلْمُ مِنْ شِيَمِ النُّفُوس فإنْ تجدْ ذا عِفَّـةٍ فلعلّةٍ لا يَظْلِمُ »

فأنكر العفة أو قارب . وفي سورة يوسف : « ولقد هَمَّتْ بِهِ وهمَّ بها لولا أن رأى بُرْهان رَبِّهِ » قيل ذهبت شهوته من أصابع يده لما رأى لحية أبيه يعقوب يعض بأصبعه زجراً له .

تَجرَّدت لك هِنْدٌ عن ملابسها حتّى على ثَدْيِها من جهْدِها عَرَقُ

وَألْمَستك حواشيها التي بَعُدَتْ وعانقتك وفي تامُورِهـا ألَـقُ

وقَبَّلتك ببَرْدِ الشَّوْقِ واعتذرت بقُبْلَةِ الطِّفْلِ إذ يبكي ويَخْتنِقُ

وقد جَلَوْتَ بملء العَيْنِ جَمرتَها وقد نَظَرْتَ إليْهَا وهي تَحْتَرِقُ

وذدتَها عنك بالحُسْنى وأفْعَمها مِنْكَ الْحَنَانُ ورِفْقٌ بالهوى لَبِقُ

وفارَقَتْكَ وفي الأحْشاءِ رَفْرَفَـةٌ من السّعادةِ مَفْتُوحاً لها الأفقُ

وَالْقَلْبُ من حبِّ لَيْلى في رَفَاهيَةٍ لا تَضْمَحِلُّ وعَيْشٍ ماؤه غدقُ

هل كان ثديها يصلح متعة التلف

حـــنّ فؤادي إليكِ يا بَلَحُ   عيناك في مُقْلتَيْهما الفَرَحُ
هاتِي ، ذراعاكِ بيرَةٌ وهِـــلا   لا حاجبيْك النبيذُ والقَـدَحُ
لا تسأليني عـلى المحبّـة بُرْهـانــاً   فـأمري واللهِ مُفْتضـح
لـولا حيَـائي للحاضرين معي   أرْسَلتُ دَمْعي وخاطِري قَرِح

تأمل قول رُؤْبة : « لا أستَحِي القُرّاء أن أميسا » . كأن هذه الطبقـة الدينية ميزت نفسها من لَدُنْ ذلك العهد . بل من زمان عَبْدِ الله بن مسعود رضي الله عنه إذ حوّله عمر من الشام ليعظَ به أهل الكوفة . كان يقول : إذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر .

وقال رؤبة :

« قَدْ عَجِبَتْ نَضْرَةُ من تَهْدَاجِي »

والتّهداج مشية الطفل ومشية الشيخ وإياها عنى رؤبة ... قال وأحسن صفة نفسه إذ تقوس واختضع بعد أن كان معِنّ الشباب ناصعاً رَوْقاً كأنه دملج مُدْمَجُ الجسم محكمه مجدول العنق لا يرعوي وهو في صباه المعن المفنّ المعّاج بتشديد العين أي الخواض غمرات الهوى الضليل فيها الملتوي أيما التواء في طرقها لا يرعوي عن ذلك :

« قَد عَجِبتْ نَضْرَةُ من تَهْـداجي
مُخْتَضِعـاً أهُـمُّ بـالهِمْـلاجِ

وهي مِشْيَةُ الشّيْخِ

« إذْ رَقَّ بَعْدَ مُدْمَجِ الإدْمَـاجِ

أي بَعْدَ مُحْكَم الاحكام

«مَجْدُولُ عُنْقِي وبَدَتْ أوْداجي
بَعْـدَ مِعَنٍّ في الصِّبا مَعّـاج
لاَ يَرْعَوِي تَعَمُّـجَ الْعَمّـاج

أي لا يرعوي حال كونه متعمجاً ملتوياً في طريقه عن وصل كل هكذا وصفها :

«عَـنْ وَصْلِ كُلِّ آنسٍ مِبْهـاج
ميّـالـةٍ بـالكَفَلِ الرَّجْـراج
في خَـدَّلٍ منهـا وفي ارتجـاج
كَـأنّـها في الرَّيْطِ ذي الأراج

أي ذي الأرج والعبير المستطير .

« بَرْدِيَّـةٌ رَيّـا من الْعِـذْلاج

أي قصبة ريّا مصنوعة صُنْعاً حسناً بالعذلاج وهو الغذاء الجيد :

«بيضـاءُ صَفْراءُ اصفرارَ العـاج
في مُرْشقـاتٍ لَسْنَ بالأهْمـاج
كأنَّ بَرْقـاً طـار في إرْعـاج
إبْراقُهـنَّ الضِّحْكَ في إبْـلاج
أضْلَلْن بـالْمَكْحُولَةِ السَّوَاجِي
وَكَسَرَاتِ الْحَـاجِبِ الْخَـلاَّجِ

أي الذي يختلج ويرفرف :

«أَضْلَلْنَ بـالْمَكْحُولَـة السَّواجي
وَكَسَرَاتِ الْحَـاجِبِ الْخَـلاَّج
شَيْطَـانَ كُـلِّ مترف سَدّاج»

أي مغرور كذاب من شدة ترفه . يا سبحان الله . لقد كان رؤبة ذا إحساس عميق بابراق الثغور وافترارهن بالضحك الرحب المتبوج كأنه يجلو أطباق سحاب ... وقد رأيت قوله من قبل :

« شادِخَــةُ الْغُرَّةِ غراءُ الضَّحِكْ »

ونَعْتُ الضحِك المبرق كامن تحت قوله :

« غــرٌ بِــلذّاتِ الصِّبــا تفكّهي
تَحْتَ دُجُنّاتِ النعيمِ الأرفــــهِ »

وقد رأيت قوله قبل :

« يَجْلُون غُــرّاً تُمْطِر الهلائــلا
كــالْبَرْقِ يجلو بَرَداً سلاسلا »

وقــال :

« تَضْحَكُ عن أَشْنب عَذْبٍ مَلْثَمُــه
يَكَادُ شَفّــافُ الرِّيــاحِ يَرْثُمــه

أي يخدشه :

كَالْبَرْقِ يَجْلُو بَرَداً تَبَسُّمُهْ »

ولعله كان رحمه الله صاحب حديث . ولعله أيضاً كان ذا غرام بنفس البرق وهو من أجمل ما تزين به الطبيعة آفاق السماء . قال تعالى : « يَكادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ » . وقال رؤبة في البرق مَحْضاً لا يريد به نعت غزل على الذي يخالطه من نَفَسِ النسيب :

« رَأَيْت أَرْوى وهي تَخْشى فَقْــدي
تَعْجَبُ والْبَرْقُ أذان الرعــــد

تأمل هذا ... كيف جعل المرئي أذاناً للمسموع وضمن الرعد معنى المطر وإنما هو اقتدار الثقة مالبيان حتى يوشك أن يخلص إلى معنى من جوهر التصوف.

« تَعَجَّبَ والبرق أذان الرعد
بِمَطَرٍ لَيْسَ بِثَلْجٍ صَرْدْ
وَالْبَرْقُ أدناه بأرضِ السُّغْد

قال تعالى : « ويُنَزِّلُ من السّماءِ من جِبالٍ فيها من بَرَدٍ فيصيبُ به من يَشاءُ ويَصْرِفُه عمّن يَشاءُ يَكادُ سَنا بَرْقِه يَذْهَبُ بالأَبْصارِ » .

وصاحبة رؤبة ذات جبين أبلج وحاجب أزج يتخلج وفمٍ ضحاك واضح الثنايا وفكاهة وشخصية :

« تَسْأَلُني من السنين كم لِي »

وأحسب أن ابن ميادة انما نظر إليه في أبياته القافية :

« تَقُول خَوْدٌ ذاتُ طَرْفٍ بَرّاقْ
مزّاحة تَقْطَعُ همَّ المشتاقْ
ذَاتُ أقاويلَ وضِحْكٍ تَشْهاق
هلا اشتَرَيْتَ حِنْطَةً بالرُّسْتاق
سمراءَ مما خَزَنَ ابْنُ مِخْراقْ »

فقد خلد ابن مخراق وانما كان — على الأرجح — تاجراً مكسور نظر العينين إلى المكيال وعدّ النقد يتكلم من أنفه لا يكاد يفلت منه في وجهه ما ينبىء عن أيما شعور .

قال رؤبة :

« سَعْدِيّة حلّت بذي أراطْ
برّاقة كالبَرْقِ ذي الكِشاط »

أي الذي يكشط كشطاً في آفـاق السماء – قـال تعالى : وإذا السّماءُ كُشِطَتْ .

« كـأنَّ بَيْنَ العِقْـدِ والأقْراطِ
سالِفـةً مـن جِيد رئمٍ عـاطي »

أي ماد عنقه – فأنبأك عن طول جيدها كما ترى .

أتـذكر لما أسفرت أمُّ نَوْفَـلِ ... وضاءت كما ضاء الحيا المُتَبَلِّجُ
ألا إنَّ أيّام الشّبابِ التي مَضَتْ ... بَكَيْنَا عليهـا نَسْتَريح ونَنْشج
ألا لَيْتَ شِعْري هل أبيتن لَيْلَةً ... بِحَيْثُ كئوسُ الرَّاحِ بالرَّوحِ تمْزَجُ
وأيْقَظ مَرُّ الأرْبَعين قُلُوبنَا ... إلى كلّ ما كُنّا نُرَى عَنْهُ نُخْلَجُ
وغَانِيَةٍ حُسّانة ذاتِ رَوْضَـةٍ ... على وجهها والحاجِبَيْنِ تُزَجّج
كَلِفْنَا بها حِيناً ولا زال حُبُّها ... تَزيل الْحَشى حَيْثُ الغَرَامُ المُوَلّج
تَذَكّرْت يا خِلّي الفتاة التي لهـا ... مع الحوْلِ الْخَصْرُ الّذي يتَخَلّج

* * *

(٧)

قال أبو عبادة :

«شَرْخُ الشّبابِ أخو الصِّبَى وَأَلِيفُهُ   والشَّيْبُ تَزْجِيَةُ الهَوَى وخُفُوفُهُ
وأراكَ تَعْجَبُ من صَبَابَةِ مُغْرَمٍ   أَسْيَانَ طَالَ على الدِّيارِ وُقُوفُهُ
فإذَا تَحَمّل من تِهامَةَ بَارِقٌ   لَجِبٌ تَسِيرُ مَعَ الْجَنُوبِ زُحُوفُه
صَخِبُ الرَّواحِ إذا تَصوَّبَ مُزْنُهُ   ذَعَرَ الأجادِلَ في السّماءِ حَفِيفُهُ
فسقى اللِّوَى لا بَلْ سَقَى عَهْدَ اللِّوَى   أيّامَ نَرْتَبِعُ اللِّوَى وَنَصيفُهُ
حَنّت رِكابي بالْعِراقِ وشاقَها   في نَاجِرٍ بَرْدُ الشّآمِ وريفُهُ
ومَدافعُ السّاجُورِ حَيْثُ تقابَلَتْ   في ضِفَّتَيْهِ تِلاَعُه وكُهُوفُهُ»

والمسرعون بالسيارات الآن لا يبصرون نحو هذا . انما يتسابقون ليصلوا القمر بعد أن وصله الاميركان .

يسقط الاستعمار . حتى في بلاد السغد شاهدناه .

والْجَنَاحَانِ يَرْجُفَان من الْفُولاذِ كالريشِ والشَّبَابُ يَغُرُّ

قال الامام في خطبة الجمعة مطعم المرء حرام وملبسه حرام ويدعو يا رب يا رب وكيف يرجو ان يستجاب دعاؤه .

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا .

كان الانجليز في عربة البوفيه بالسكة الحديد طبقة . وكان خدمهم بخدمتهم

شرفاء يرون في الزلفى اليهم درجة رفيعة . فلما ذهب الانجليز أنفوا خدمة سائر الناس لأن مستواهم لم يكن كمستوى الانجليز . ذهبت الأناقة والرونق والسيادة . والذي كان خادم السيد لا يمكن بعقلية الخادم إلا أن يرى انه سيد لمن كانوا رعية السيد . إذ الوضع في خياله مستمر . والتحرر مستحيل . والرعية جميعاً يريدون أن يكونوا في البوفيه ليخدمهم الخادم الذي يعكس ألق السيد كما يعكس القمر ضوء الشمس .

هل تذكر يا صاح شرخ الشباب .

لقد عاد البحتري بخياله إلى عهد الطفولة في هذه الصورة الاسطورية الريح المذعورة الاجادل ، أي الصقور ، أمام حفيف السحاب وقد كان فمها حلواً تلك التي قبلها الشاعر في المطر المنهمر يوم السبت عند حاضرة البحر ويوم لا يسبتون لا تأتيهم الذين صاروا قِرَدةً وخنازير . قال لهم كن فيكون . قال له كن مثل معاوية ردَّ عمال عليٍ وأرسل له طوماراً غير مكتوب .

هل رأيت الرُّمان ؟

« أبالمُنْحَنَى أمْ بالعَقيق أم الجُرْفِ
أنيسٌ فيُسْلينا عن الأنَسِ الوُطْفِ
لَعَمْرُ الرُّسومِ الدَّارساتِ لقد غَدَتْ
بريّا سُعَادٍ وهْيَ طيِّبَةُ العَرْفِ

والحلف عند أبي عبادة كثير كقوله :

« وأبي الظّعائنِ يَوْمَ رُحْنَ لقد مضى
فيهنَّ مَجْدُولُ القَوامِ قَضيفُه »
« لَعَمْرُ الرُّسومِ الدَّارِسات لقد غَدَت
بريّا سُعادٍ وهْيَ طَيِّبَةُ العَرْفِ

ولم أنس إذ راحوا مُطيعين للنّوى
وقد وَقفتْ ذاتُ الوشاحَيْنِ والوَقْفِ »

أي السّوار .

وكانت للنساء حُجُول من فضة . وحِجْل الفضة قد يُجْعل أجوف ليعطي منظراً كبيراً تحجل به الرداح الحجول بالحاء المهملة الخَجُول بالخاء المعجمة . وقالت ذات الدلال إن الأصَمَّ حِجْلُ الذهب . والعقل بعد الحلم قد ذهب . يرحمك الله ، وجبت يا رسول الله . قالها عمر رضي الله عنه وصلى على الصادق المصدوق .

« لما لقيت بكَ الزّمان تَصدَّعت عن ساحَتي أحداثه وصُروفه »

أو كما قال البوصيري :

« دعا إلى الله فالمستمسكون به مُستَمسكون بحَبْلٍ غيْرِ منفصم
ومن تكُنْ برسول الله نُصْرَتُه إنْ تلْقَهُ الأُسْدُ في آجامِها تَجِم »

من نجوم كما ترى :

« إن الرسول لنورٌ يُستضاء به مُهنّد من سُيوفِ الله مسلولُ »

قال السهيلي في الروض إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر إلى أصحابه عجباً من جودة هذا الشعر .

قال أبو عبادة يمدح المتوكل :

« لا يَعْدَمَنْك المسْلمون فإنهم في ظِلِّ مُلْكِكَ أدْرَكوا ماأملوا
حصّنْت بَيْضتهم وصُنْتَ حَريمهم وحَملْتَ من أعبائهم ما استثقلوا
ورأيْت وَفْدَ الرُّوم بَعْدَ عنادهم عَرَفُوا فضائلك التي لا تُجهَل
أحضرتهم حُجَجاً لو اجتُلبت بها عُصْمُ الجبالِ لأقبلَتْ تتنزّل
حَضَرُوا السّماط فكلّما راموا القرى مالت بأيديهم عقول ذُهّل »

وشاهد ذلك أن أدنى الروم لا زالوا يطبخون ما تعلموا من الترك وهؤلاء إنما أخذوا عن عهد بغداد

« دَعْ عَنْكَ حَضْرَةَ بَغْدَادٍ وَبَهْجَتَهَا
وَلَا تُعَظِّمْ بِلَادَ الْفُرْسِ وَالصِّينِ
فَمَا عَلَى الأَرْضِ خُطَّتْ مِثْلُ قُرْطُبَةَ
ولا مشى فَوْقَها مِثْلُ ابن حمدونِ

أما البيضاء الفارهة فقد قالت أنت تُحب الانجليز وأنا صقلبية المزاج أحبّ برنس ايغور وبركة الاوزين ؛ الواحدة اوزينة يا هذا والقائلون بركة البجع سمجو الأذواق لأن البجعة هي التي نسميها «البجعة» بعاميتنا وهي من طيور الماء القبيحات ذوات المناقير كأنهن المراكيب قالت الكلمة العامية :

« أبو الْكُركْ شَيْخْ الجماعَهْ
قَبَضْ العزْ من كُراعـا »

أي قبض العنز من رجلها ، من « كراعها » هذا قولهم من « كراعا » .

« وقـال احّيْ يا الرَّضَاعَه »

أي قال أح شوقاً ليرضع كالطفل

قال البحتري — وهي الأبيات التي كنّا ننشد :

«حَضرُوا السِّماطَ فكلّما راموا القرى ... مالَتْ بأيديهم عُقُول ذُهّل
قد نافس الْغَيب الْحضُور على الذي ... شَهِدوا وقد حَسدَ الرَّسُولَ المُرْسِل
والله أَسْأَلُ أن تُعَمَّر صَالحاً ... فدَوامُ عُمرك خَيرشَيْءٍ يُسأل »

أحسب أبا الطيب قد نظر شيئاً إلى قوله « وقد حَسَد الرَّسُول الْمُرْسِل » حيث قال :

« كلما عـادَ من بعثتُ إليهـا ... غَارَ مِنّي وخَانَ فيما يقول»

هي الّتي ابتدأت ثم قبلها قبلة حرّى وكان ذلك أول احتدام الغرام . كانت شديدة وهج الحرارة .

أسْقَيْتِني أنْتِ فأثْمَلْتِني سُلافَةَ الحُب الّتي تَقْتُل

كان ذلك أيّام رَوْق الشباب

وَقَبْلَهُ أحَبَّ ... كان ذلك زمان الريعان والقلب فطير .

والتمعت عينا الهُولَةِ وفرح وجهها ولو قبّلها لكانت قبلة غرام جديد . غير أنه غط بقرون شعرها والنفسان متحدثتان . — متَيْن ؟ بامالة متى واضافة نون لها كما كانوا يقولون ونقول نحن في عاميتنا : منون — أي هم من .

«أتَوْا ناري فقُلْتُ مَنُونَ قَالُوا سَراةُ الْجِنِّ قُلْتُ عِمُوا ظلاما»

هكذا رواه الجاحظ في الحيوان ورواية شواهد الالفية :

« أتوا نَاري فَقُلْتُ مَنُونَ أنْتُم فقالوا الجنِ قُلْتُ عِمُوا ظَلاما »

والشاهد ههنا قولهم « منون » في الوصل إذ في قولهم أنتم ما يدل على وصلها بقولهم « منون » وقالوا انما كانوا يقولون منون ومنا في الوقف ولسيبويه في كل ذلك تفصيل حسن :

« يا صاحباً ربّتَ إنْسانٍ حَسَنْ

يَسْأَلُ عنك اليوْمَ أويَسأل عنْ »

— متين

وجرّت الامالة بفمها العذب ذات الجبين الواضح والشعاع

— اشربي الشاي يا سكر .

— دَمْ

— يا غزالة

— دمدم

هذا رصاص استعمله الايطاليون فقتلوا به الحبش أيام كانت الوطنية الافريقية شيئاً نادراً عزيزاً .

نَظَرَتْ إليك وفي حُشَاشَةِ نَفسها مَرَضُ الْغَرام وأنْتَ أنْتَ طبيبه
وَجَدَتْ حَيَاء الْغانيات وَقَدْ همى من دَمْعِها لَكَ مَرَّةً مَسْكُوبه
إنّ المليحة يا أديب رقيقَةٌ جداً إليك وقلبها ستذيبه

— ستذيبه ؟... دَمْ ...

قالتها الغزالة ، حبذا المقالة .

ألف أرنب . يا بطٌ .

قال أبو عبادة : (والحبّ يا فتى عبادة) :

« وحسناء لَمْ تُحْسِن صنيعاً وربّما صَبَوْت إلى حسناء سيِّء صَنِيعُها
عجبت لها تُبْدي الْقِلَى وأوَدُّها وللنّفْس تَعْصِيني هَوًى وأطيعها»

انتهى الأمر من الناحية الرسمية وأنا بعد مشفقة .

الفتاةُ الشّقْراء سَرَّتْ فؤادي وكَنُو عِنْدَها كمِثْلِ بلادي
حبّذا أنْت يا شُقَيْراءُ للزّائر إذ شَطَّ أهْلُهُ من زاد

هل تذكرك هذه القافية قول ابن الرومي :

« شَكَرت نِعْمةَالْوَلِيّ عَلَىالْوَسْمِيِّ ثُمَّ الْعِهَادِ بَعْدَ الْعِهَادِ »

شاعر يوقف عنده علي بن العباس الرومي .

كان مولى لبني العباس بذلك كان عزيزاً وله اليهم ولاء ويطمع عند جاه خلافة ولو قصياً في مكان .وكان شيعياً . فكان هذا تناقضاً .

وهذا التناقض حال بينه وبين الافصاح المباشر الذي يتطلبه صدق القريض .

كان أبو تمام حَزْنَ المذهب رياضي المزاج لو عاش في عصرنا هذا ربما

كان من مخترعي النظريات المذهلات . ومع هذا كان الفنان في نفسه هو الذي غلب عليه وحمله على العطاء المباشر .

« أربيعنا في تِسْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً | حقاً لِيهنّك للرَّبيع الازهر »

وكان البحتري أريحي النفس كريم السجايا . دعك من مقالة الحساد . وإلا ما كان ليقوى على منادمة المتوكل وابني خاقان وودّ محمد بن يزيد المبرد . وكان البحتري نفيساً درة ، فضلا ورواية ودراية وشعراً وكان لا يحجبه عن صدق القول حجاب . يخلص اليه خلوصاً مباشراً .

فَقَدْ رُكِزَتْ سُمْرُ الرِّماحِ وَأُغمدتْ | رِقَاقُ الظُّبَى مَجْفوُّها وصَنيعها
فقرَّتْ قُلوبٌ كان جَمّاً وجيبُها | ونامَتْ عُيُونٌ كان نَزْراً هُجُوعها
أتَتْكَ وقد ثابَتْ إليها حُلُومها | وباعدها عمّا كَرِهْت نُزُوعها
تُعيدُ وتُبْدي من ثَنَاءٍ كأنّه | سَبَائِبُ رَوْضِ الحَزْنِ جاد ربيعه
تَصُدُّ حَياءً أنْ تَرَاكَ بأعْيُنٍ | أتى الذَّنْبَ عاصيها فَليمَ مُطيعها
ولا عُذْرَ إلاّ أنَّ حِلْمَ حليمها | يُسَفّهُ في شَرٍّ جَنَاهُ خَليعُها
بَقيتَ فكم أبْقيتَ بالعفو مُحْسناً | على تَغْلِبٍ حتّى استَمرَّ ظليعها
ومُشْفِقةٍ تخْشى حِماماً على ابْنها | لأوّلِ هيجاءٍ تلاقي جموعها
رَبَطْتَ بِصُلْحِ القَوْمِ نافِرَ جأشها | فقَرَّ حشاها واطْمأنّت ضُلُوعها »

وكان الاضطراب النفسي بين التشيع وجاه أهل السنة عند بني العباس هو الذي اجتال ابن الرومي عن الجادة وحمله على ضروب من فيهقة الرسائل وذلك أمر فطن له الدكتور طه . ودع عنك المخرقة بأصله الإغريقي فما أكثر من كانوا من أصول اغريقية بني جوار وعبيد في زمان بني العباس . ولم يسلم من إماء الروم دماء الخلفاء أنفسهم كما نبه إلى ذلك ابن الرومي حيث قال :

« وما ذاك إلاّ أن تَزِينَ جُلودَكُم | بني الرُّومِ ألْوانٌ من الرُّومِ نُعّج

ـ أظن أنَّ فيَّ دماً رومياً ، إفرنجياً صقلبياً .

شَفَتاك كاكاوٌ وأنتِ مُلَبَّس وأريدُ مِنكِ المَصَّ والتَّقْبيلا
سألَتْ وتَحْسبُني بَخِلْتُ ولم أكن يا كانِميَّةُ إذ سألتِ بخيلا

نسبة إلى كانم وهي بلد الكنوريّين وقد مرَّ بك ذكرهم ومنها الكانمي خصم السلطان محمد بلّو وقد أورد رسائله إليه في إنفاق الميسور .

صَبْراً إليَّ فإنَّ طَرْفك جَنَّةٌ وعِظَامَ خَدّك قد بَهَرْن الجيلا
وأظُنُّها ما عُوزِلَتْ غَزَلي ولا وَجَدَتْ كمثلي عاشِقاً مصقولا
زُوري غداً وتَقَربي مِنّي ولا تَخشَيْ وذُوقي ثَغْرَكِ المَعْسولا

هل تعلمين أن القبلة ليست من الكبائر . ولكن من السيئات الصغيرات جداً .

ـ إنها سيئة على كل حال .

ـ إن الحسنات يُذْهِبْن السيئات .

ـ إنها سيئة ، سيئة ، سيئة ... يا بنت

والتمعت عيناها بضارية من ضواري غابات الهند .

وجاءت الهندية بخدٍّ أخضر ...

كانت شابة غضة قبل يومين هل يعقل أن يخسر الشباب بهذه السرعة المذهلة .

مائتان وخمسون وثمانية مواضع للجماع في معابد الهند . هذا يضيع معه الشباب في أقل من ليلة . استنفاد لقوى الجنس بسرعة الضوء . الجنس ضوء فيما ذكروا في أعماق البحار . أحسب أن ذلك قد جاء في بعض ما كتبه أندريه جيد . جيّد كما كان يقول الدكتور المرحوم . قال إن الأسماك في أعماق البحار ترسل أشعة تضيء بها ظلمات البحر ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين .

— اقرئي سورة هود كم قد شيّبت من ناصية .

قال العجاج أبو رؤبة :

« كأنّ ذا فدامة منطفا
قطّف من أعنابه ما قطّفا
فغمّها حولين ثم استودفا
صهباء خرطوماً عقاراً قرقفا
فشنّ في الإبريق منها نزفا
من رصف نازع سيلاً رصفا
حتى تناهى في صهاريج الصفا
خالط من سلمى خياشيم وفا »

يقول ، كأن ذا فدامة أي كأن خادماً بيده فدامة أي خرقة يصفى بها الخمر ، هذا الخادم منطّف أي له نطفٌ أي أقراط في أذنيه ، يدلّ بذلك على أنه خادم أعجمي فهذا أجود لصفة الخمر .

ثم طار ذهن الشاعر الى الاعجمي الأول الذي زرع الكرم وعصر الخمر فجعله شيئاً واحداً مع الأعجمي الذي يخدمه بها — كأن هذا الأعجمي قطّف ما قطف من الاعناب ثم غمّ الخمر حولين في إناء لتعتق ثم استودف أي استقطر من دنانه صهباء أي خمراً صهباء خرطوماً شديدة تأخذ بالأنف وهو الخرطوم عقاراً تعقر صاحبها قرقفاً تقرقف عظامه — قالوا والخرطوم الخمر أول ما تنزل من الدن لأن رائحتها حينئذ تأخذ بالخرطوم .

فشنّ أي فصب نزفاً أي قطرات في الابريق الذي هي فيه ، هذا معنى قوله « في الابريق منها » — أي « في ابريقها » .

ممّ هذه القطرات ... من أي شيء ؟

« من رَصَفٍ نازَعَ سَيْلاً رَصْفا » . أي من ماء جار على الحجارة متصل بماء سيل جار على الحجارة فهذا يجعله أصفى شيء . حتى تناهى في محابس الماء عند الصفا أي عند الحجر . كأن هذه الخمر المخلوطة بهذا الماء كُوبها خالط من سلمى خياشيمها وفاها .

قالوا في كتب النحو كان الوجه أن يقول « فما »

وأحسب هذا خطأ إذ مراده « وفاها » فأدخل الهاء على الألف إذ هي قريبة المخرج منها كقول الأخرى « وبالكرامة ذَاتُ كَرَّمكم الله بَهْ » أي بها . والله تعالى أعلم .

ولا يخفى بعد أن نَفَس العجاج بالقياس إلى ابنه نَفَسُ شَيْخٍ مُقْسَئِنٍ عجوز .

« وأقم الصَّلاة طَرَفَي النَّهارِ وزُلَفاً من اللَّيْلِ إنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى للذَّاكرين » .

قال محمد بن جرير حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا محمد بن مسلم عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ذكر امرأة وهو جالس مع النبي صلى الله عليه وسلم فاستأذنه لحاجة فأذن له فذهب يطلبها فلم يجدها ، فأقبل الرجل يريد أن يبشر النبي صلى الله عليه وسلم بالمطر ، فوجد امرأة جالسة على غدير ، فدفع في صدرها وجلس بين رجليها إلى آخر ما قال ، قرأوا ذلك وهم يتقطرون حياء ثم استمروا ولا حياء في الدين يا سيدنا ...

« فقام نادماً حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بما صنع ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم استغفر ربك وصل أربع ركعات قال وتلا عليه « وأقم الصلاة طَرَفَي النَّهارِ وزُلَفاً من اللَّيْلِ الآية » .

قال محمد بن اسمعيل البخاري رضي الله عنه : وزُلَفاً ساعات بعد ساعات

ومنه سميت المزدلفة الزُّلَف منزلة بعد منزلة وأما زُلْفى فمصدر من القربى ، ازدلفوا اجتمعوا ، أَزْلَفنا جَمَعْنا . حدثنا مسدّد حدثنا يزيد هو ابن زُرَيْع حدثنا التيمي عن أبي عثمان عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة (وأغضت الفقيرة حياءً وقرأت سِرّاً إلى قوله تعالى : وأَقم الصَّلاة طَرَفي النَّهار وزُلَفاً من اللّيل إن الحسنات يُذْهِبن السيئات ذَلِكَ ذِكْرَى للذاكرين) قال الرَّجل : أَليَ هَذِهِ قال لِمَنْ عَمِل بها من أمّتِي .

سألت هناة فأجيبت .

وقال فضيل عن حصين عن مجاهد مُتْكا الأترج قال فضيل الأترج بالحبشية متكا — هذه قصة سيدنا يوسف .

رحم الله البخاري كم كان دقيقاً .

قال أبو عبادة :

« ذَاكَ وادِي الأَرَاكِ فاحبِسْ قليلا مُقْصِراً من صَبَابَةٍ أو مُطِيلا
قِفْ مَشُوقاً أو مُسْعِداً أو حَزِيناً أو مُعِيناً أو عَاذِراً أو عَذُولا
وخِلافُ الْجَمِيلِ قَوْلُكَ للذّاكِرِ عَهْدَ الأحبابِ صَبْراً جَمِيلا
لَمْ يَكُن يَوْمُنَا طَوِيلاً بنَعْمانَ ولكِنْ كَانَ الْبُكَاءُ طَوِيلا »

* * *

(٨)

كان عبد الرحيم الأمين رحمه الله رجلاً مرّ الشكيمة باسلا . كان شديد المحبة لعمر بن الخطاب . وذا فطنة إلى الفكاهة والسخرية واختيار خاص في الشعر نحو قول يزيد بن معاوية :

« قُلْ لأبي بَكْرٍ إذا جَدَّ السُّرَى
وانْثالتِ الْخَيلُ إلى وَادي الْقُرى
أَجَمْعَ سَكرَانَ منالقَوْمِ تَرى؟»

قال صاحب أنساب الأشراف إن يزيد كان ذا عُقْدَةَ ما همَّ بأمر إلا ركبه . وأحسبه هو الذي عاب أم خالد بن يزيد أول من عابها حينما آثر عليها أمتها السوداء .

«إن تلك الّتي تَرَيْن سَبَتْني بوارد»

وتبعه مروان بن الحكم فخنقته جواريها بالطنافس بعد أن خاض الدماء بمرج راهط .

كان عبد الرحيم رحمه العزيز الرحيم تعجبه أخبار تلك الحروب . وكان أمويّ الهوى وجعل يميل إلى أمير المؤمنين ميلا ظاهراً قبل أن وافته المنية وذلك من يمن الله وبركاته ان شاء الله .

وكان المستر غريفث من الاداريين الكبار زمان الاستعمار . وهو الذي نقل قسم العرفاء — وهو قسم تدريب المعلمين للمدارس الأولية من الخرطوم

إلى بخت الرضا . ولعل فكرة النقل كانت من الحكومة المركزية نفسها بدافع سياسي لتبعد هذه الأداة الهامة في صناعة التعليم إلى جو عن العاصمة بعيد . وبنى غريفث لنفسه قصراً من طين وحفّه بسور فكان ذلك كالرمز لما أقبل يصنع . وكان يقال له « تافي » على وجه الاختصار وكان حظه من نفس حقائق أفكار التعليم والتربية شيئاً تافهاً :

« إنَّ البُغَاثَ بأرْضنا يَسْتَنْسِر»

وما زالت حتى صار لا يقوم بأمر العلوم إلا الجهلاء والله المستعان .

كان عبد الرحيم رحمه الله مما ينشد :

«لوكَان حَوْضَ حِمارٍ ماشَرِبْتَ به   إلاَّ بإذْنِ حِمَارِ آخِرَ الأبَد »

وكان له شعر أيام الشباب وفي كلمة نشرها بمجلة كلية غردون :

« أما آن يا صاحِ أن تستريـــح   وأن تَسْتنيم وأن تَخْلَـــد »

وفيها نفس من وجدان الدكتور ابراهيم ناجي .

« هذه الكعبة كُنّا طائفيها » ... ذلك عهد مضى قد مضى وهو حميد

* * *

كثير من الشعر الحديث يعتمد أصحابه على أن يكون سامعوهم قد استجادوا قولهم قبل أن يسمعوه أو يطلعوا عليه بسلطان التوافق وروح العصر . ثم يصفقون له بعد السماع إعجاباً بطريقة الالقاء وهي مما يتواضعون على منهجه . وقد يزيدك شاعرية أن تلبس ياقةً بيضاء تعلو جانبي العنق وهي مستديرة حوله ... ثم في كثير من شعر العصر عند أداته تهيئة اليد مجموعة كأنها تريد الملاكمـــة وَتَقَلِيصُ عَضَلاتِ الوَجْهِ وتحريك الرِّجْل أمام كما يفعل الجندي وهو يهم بهجوم . وإذا كان الحديث سياسياً فلا بُدَّ مع الالقاء من راغية وإزباد .

ويا حبذا أن تلبس فَنِلَّةً كبيرة من صوف في وسط الغابات الحارة :

« وَمَنْ يَكُ ذَا فَمٍ مُرٍّ مريضٍ يَجِدْ مرّاً به الماء الزُّلالا »

* * *

— أي الطَّيب أحبُّ إليك .

قالت النجمة السينمائية : ولا معادي ولا يحزنون

« فظلَّ يُنَاجِي نَفْسه وأميرها أيأتي التي يُعْطَى بها أم يُجَاوِزُ

فَقَالُوا لَه بَايِعْ أخاك ولا يكن لَكَ اليومَ عن ربْحٍ من البيع لاَهِزُ »

هذا يقوله الشماخ في صفة صاحب القوس حين وافى بها الموسم فلقيه سَرِيٌّ من قريش أو ثقيف فعرض له فيها ثمناً أطمعه فباعها وهو بها ضنين .

قال محمود محمد شاكر في القوس العذراء يعلق به على الذي وصف الشماخ من تردد أخي محارب في بيع قوسه :

« لقد بَاعَ ، بِعْ ، بَاعَ ، لاَ لَمْ يَبِعْ

غِنَى الْمَال وَيْحكَ بِعْ يا رجل

وحَشْرَجَةُ الْمَوْتِ خُذْنِي إليك ...

هذا تقوله القوس

« وَحَشْرَجَةُ الْمَوْتِ خُذْنِي إلَيْكَ ... لَبَيْكَ لَبَيْكَ

هذا يقوله صاحب القوس :

« بِعْ يَا رَجُل »

هذا يقال له ، وتسمع جلبة السوق وصخبه والجلبة التي كانت في قلبه كل أولئك معاً .

ومحمود جادٌ الدرامة وشوقي هازلها :

« دَعُوني دَعُوني .

« دَعُوه اتْركُوه .

« دَعُوني دَعُوه كلا البَطَلَيْنِ يقول الوَعِيد ولَن يَفْعَلَهْ

دَعُوني تَقَدَّم دَعُوني انطَلِقْ دَعُوني جِئْهُ دَعُوني امْش لَه »

ولكل مقام مقال .

« أعُوذُ بِرَبِّي وربِّ السَّماء والأرْضِ ... مَاذَا يَقُول الرَّجُلْ »

* * *

كان غرضهم ألا تبنى كلية عبد الله بايرو

وجاءوا بعقد البناء في المكان اللاموجود المزعوم .

وثار ثورة بركان .

وقال الحاج عمرو سليمان في هذه الثورة لهجة صدق . لا بد من إعادة النظر في هذا العقد . وبنيت الكلية بعد طول عراك حيث كان سردونة رحمه الله قد وضع لها الأساس وكان ذلك نصراً مبيناً .

وإنك قِرْنُ الأقوياء وشَوْكَةُ الالــــدّاء تَستَبْعِصي وتعلو المنـابرا

وتلثَمُ ذَاتَ الخال حتّى فؤادُها يُذيقك من حلْوى لماها السّكاكرا

جمع سكّر بتشديد الكاف وهو يوضع في الشاي يا فتى :

ألم تَرَني لمـا تَمنّيت قُرْبهـا دَنَتْ ورأيتُ الطّيْف عندي حاضرا

وحدَّثْتها أشْهى الحديث وأسْبغت عليَّ غطاءً كان والله ساترا

وإني لمَـا أعطاني الله عِنْدَهـا من الوُدِّ لا أنفك لله شـاكـرا

ومن جهل شيئاً عاداه وأعداء العربية جمعوا إلى الجهل صنوف البغضاء .

* * *

وربّ مفتون بالرجعة إلى الطبيعة من المجتمع الافرنجي يرى في الحفاء والقمل والثوب الأسمال فلسفة ماجدة ويستعين بوسائل السفر ورفع الاصبع للعربات ليصل إلى إفريقية التي لتأخرها في ظنه وطنٌ روحي قريب الأصول إلى الطبيعة. طبيعة الانطلاق كما يتراءى له في القمل والأسمال ...

وفي إفريقية عراة كما ولدتهم أمهاتهم وكما يحشرون يوم القيامة وخاصفُون عليهم من ورق الشجر . غير بعيد من باوتشي بقايا من الوثنيين تشوه النساء منهم أفواهها لتجعلها كمناقير الطير ... قيل كثرت غارة أعدائهم عليهم ليخطفوا نساءهم لجمالهن . فعمدوا إلى هذه الحيلة من التّشْويهِ ليصونوهن لأنفسهم . وما أشبه أن يكون هذا التشويه إنما أريد به ليكون ضرباً من تجميل ومثل ذلك في جنوب السودان .

وهؤلاء المدعو الرجعة إلى الطبيعة يقدمون إفريقية كالأشباح ... تكذّبهم من مظاهرهم سمات كثيرات كلهن آخذات من اللين والتحلل بنصيب . وإفريقية التي في سبيل الاندفاع إلى الحيوية والنهضة بعنف غنية عن رسل التحلل وأشباحه وأشباهه كُلّ الغنى .

غير أنه مما يتفق أن تسبق نهضات الشعوب ألوان من الانحلال كالذي كان يبدو من بعض العرب قبيل الإسلام .

قال النضر بن الحارث أنا أقُص قصص اسفنديار ورستم وهذا خير من أساطير الأولين . وقُتِل لعنة الله عليه صبراً يوم بدر وأخطأ المستشرق لكليرك عمْداً فزعم أن مُحَمّداً تعلم الطب والفلسفة أو ما هو من هذا المجرى من الحارث بن كلدة وأن محمداً قتل ابنه ... وسيان عند العجم ثقيف وقريش ومن جهل شيئاً عاداه .

لا َ نَرْتَوِي من حبك يا هناة .

ماذا قال الحارث بن خالد .

عبد الملك بن مروان شخصية ذات جانب أخاذ ... وكان فيه إلى بني هاشم رهبة تقديس خفي ... والملك عقيم . ألم يقل هو ذلك ؟

* * *

أنت طويلة جميلة يا هناة . أنت أجمل منها . هلاّ قلت لها أنا أجمل منك حين جاءت تدعي التعاطف معك . ان وجهها جميل جداً . وجسمها وثير غضير . وساقاها كادا يكونان خدلين عند عزقوبيها . وأنت ذات حجل صامت هل قرأت سلامبو . كأن العربية التي ترجمت بها لغة أعاجم . وفلوبير في الفرنسية فصيح . محزن أمر هنيبل ... هنيبال ... « أتَدْعُونَ بَعْلاً وتَذَرُونَ أَحْسَنَ الخالِقِين . اللهُ رَبَّكُمْ وربَّ آبائِكم الاولين » .

الاختان بنتا غوريو ... أنت الملكة وابنة الملكة وهي إحداهما ... بل هما معاً . مستجدة نعمة كان أبوها يضارب في الغلال . كان أبوهما يضارب في الغلال قريباً من قولك آنفاً « راكبُ النّاقة طليحان » لاشتمالها على معنى بنتي الأب غوريو معاً ... وهو يظن انه ناجح لزواجهما من طبقة رفيعة . وانفعاله آخر الأمر مؤثر جداً إلاّ أنه ضعيف في بناء القصة . كان أجود أن يظل مغتراً بهما لا يثور في أعماقه عليهما .

إنسانٌ لأنه من قردة البخاري الذين استحلوا الحر والحرير ليس كل الحرير والحر والمعازف مدلولات هذه الألفاظ المحسوسة فإن من معانيها بإذن الله التكالب على الحطام والتباهي به ... قال تعالى : « زُيِّنَ للنّاس حُبُّ الشّهَوَاتِ من النِّساءِ والبنينَ والْقَنَاطِيرِ المقنطَرةِ من الذّهَبِ والفضة والْخَيْلِ المُسَوَّمَةِ والأنْعَامِ والْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدنيا »..

تأمل الْحَرْث .

« لا يغرَّنّكَ تَقَلُّبُ الذين كَفَرُوا في الْبِلاد مَتَاعٌ قَلِيلٌ »

ولقد وَجَدْتُكِ يَا غَزَالةُ حُلْوةً   كُلَّ الحلاوة أشْتهِيكِ خليلا

– خليلا ... لا ... يَعْني صديقة . يعني مِسْتِرِسْ ... ليست جيدة هذه القافية .

– واتخذ الله إبرهيمَ خَلِيلا .

قال جعد بن درهم ما اتخذ الله ابرهيم خليلا ولا كلّم موسى تكليماً . ونزل خالد بن عبدالله القسري من المنبر فذبحه . كم عندك من جعد بن درهم .

ولك أن تقول : « قليلاً » ... « غليلاً » ... « حليلاً » بالحاء المهملة ... « يا حليلا » يقال للشوق أي يا حُلَيْلَها أحسب أصله من حُلَيل بن حبشية وهو أبو حُبّي وابنه باع مفاتيح الكعبة بزق خمر ...

عَجَباً لهذا القَلْبِ حين تصرّفت   فيه فُنُون هواكِ كَيْفَ اغتيالا
وهلَ انْتِ مِثْلي تَعْشَقِين فبيِّني   قد طالما أوَّلْتهُ تَأويلا
زُوري غَداً وتقرَّبي منِّي ولا   تَخْشَيْ وذُوقي ثَغْرَكِ المَعْسولا
وأظنُّها ما غُوزِلَت غَزَلي ولا   وَجَدت كمثلي عاشِقاً مصقولا

هذه ... هي ... ها هي ذي أمامك تتبسم بانشراح الخلود . انشراح اللقاء السرمدي . قالت هذه رؤيا ... لقد صهرتْها التجارب . لأمر ما خصَّ ربك أصحاب المؤتفكات بمطر الحجارة بعد الطمس « فذوقوا عذابي ونذُر » .

إنها خضراء ...

تَسْقِي مَذانِب قد مالت عَصِيفتها   حَدُورها من أتِيِّ الماء مَطْمُوم

لا تسأم النفس من هذا الجمال وهو سئوم ... أي كيف يتطرق السأم إلى ذات لا يكون معها السأم ... النظر إليها شهود إلى ملأ من عليين ...« فأنْبتنا به حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ما كان لَكُمْ أن تُنْبتوا شَجَرها » ...

حَبّذا أنْتِ والمُدامُ عتيقَةْ   وتَمِلْنا والتّجْرِبات عَمِيقَةْ

وحذرنا من أعين الناس يا أيتها المشتهاة والموموقة
ورأينا الحنان في ضوء خديك إلينا وفي العيون الصديقة
وحديث إليك نزهة أيامي وعيناك جدول وحديقة

من نعم الله على العبد أن يرى النور . الله نور السموات والأرض ... والرؤيا التي صيرت الجبل دكاً وخر لها الكليم صعقاً شهدها محمد صلوات الله عليه وصعق من في السموات ومن في الأرض ونوره الأزلي قديم ... بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم .

* * *

قالوا قد تكون أنت توأماً لصنو لك قد درج ، غاض به الرحم في الفترات التكوينية الأولى فتظل تحس فقده ... فتلقاه ذات يوم فتريد أن تقول له يا توأمي فلا تستطيع لأنك تحبه لما جاءك من العالم الآخر ... عالم الموج القديم وفيه الحوت القديم الذي عليه الصخرة الخضراء ... لو خلونا قليلا لاتحدنا معاً فصرنا في صور إسرافيل ننتظر البرزخ ... نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء .

* * *

زار القفر الذي غرب النيل حيث يضيق الوادي بعد ملتقاه بأتبرا وتكاد المعزاء والصخر يصلن الجرف والحجرة ... ههنا موضع قنطرة ... لو شاء التقدم في البلد النامي لامتد منها شارع إلى سواكن والبحر الملح يبنيه الطلبة كما فعلوا بيوغسلافيا . وانتحر طالب إفريقي من قنطرة فوق الدانيوب أو بعض فروعه بعد أن صبر على مجامر الكرام .

كان أنيقاً ناعم هندام الصباح أنيق المساء يحمل على كتفه « كاميرا » من

طراز ثمين ويمشي بلطف يتمطو بمينين وحنك مليح كأنما يريد أن يتكلم ولا يفارقه أن يرسم نصفاً من ابتسامة جيوكندا ... هو جيوكندا .. لعل ليوناردو حوّل شخص غلام إلى شخص امرأة وضمّنها بالعبقرية معنى واحداً ... قالوا كان فيه انحراف ... قاضٍ في الجنة وقاضيان في النار هو وأبو جهل وأندريه جيد ... بتشديد الياء كما كان ينطقها الدكتور أحمد الطيّب رحمه الله .

قبره في ناحية من مقبرة القبش في الهجيرة منفرد عليه الحجارة الحمر وضعن بعد أن تلا الأشياخ آيات التنزيل الحكيم ...

وليت عبد الرحيم رحمه الله دفن بالمُطّمَر على نشز عند الجبال وربّ دمع منك عليه قد سال ... عليهما قد سال .

وأنت بعد طليح .

قال أبو الطيب :

« جللاً كما بي فليكُ التبريـــحُ   أغذاءُ ذا الرشإ الأغنّ الشيحُ »

ألا يعلم أننا لا زلنا نطلب الخلف عند أُسْدِ الفراديس على ابن كيغلغ وورِدان وكافور ونقرأ بدائع الزهور في وقائع الدهور .

تعالي زوّديني ... هل تعرفين الشاعر ياتس *Yeats*

صَنَعْتُ لِنَفْسِي كساءً وزخرفته بــالأمَمْ
له ألَقٌ سابِغٌ من الرّأسِ حتّى الْقَـــدَمْ
أُتيحَتْ له الجاهلُون ألا إنّما الجَهْلُ غم
لِتَلْبَسَهُ لِلْعُيُــون كَيْ بِــهِ تُحْتَرم
ثم ادّعَوا صُنْعَــهُ وَرُبَّ جَهْلٍ زَعَـــمْ
يا أيُّها الشَّعْرُ دَعْهُم وُجودُهم كالْعَدَمْ

أشرقْ إليْهِم تجرَّدْ فإنَّهم في الظُّلَم

في القطعة نفس من خطابة وسخرية يوشك أن يخفض من قدر شاعريتها وعسى أن يكون في زعمه أن الخروج عارياً أبْدَعُ من الكساء المزخرف بعضُ الاشارة إلى حسرة نفسه إزاء هذا المستحيل ... غير أن العمق في تنبيهه إلى تفاهة دعواهم التي ادعوا ... وحرصهم على مسخ الابداع بتصييره حدثاً مألوفاً يومياً مطروقاً – مع هذا هي شعر جيد يتضمن ثورة والثورة شاطىء النبوءة والنبوءة من معدنها الشعر ولذلك قالوا لابي الطيب المتنبي يهزأون به والله تعالى أعلـــم .

فيم إليهـــا أنْبِسُ بِعَبَثِي وأهْمِس
ياليْتَ شِعري ألآنْ عَيْشِيَ منها أبؤُس
أمْ هَلْ لأن علّمَتِ العُنُفَ جُفَاةً تَعِسوا
أمْ هَلْ لأن بَعْدَ الطَّريقِ بالزُّقاقِ تأنَسُ
أعْمَاهُم حتى اشْتَهَوْها الْجُبُنُ وهو حندس
أبْصارُهم قد طُمِستْ عن حُسْنِها وطُمِسُوا
أنّى لَها السّلامُ وَهْيَ من لَهيبٍ قَبَسُ
وقَوْسُها وتِرُها جَمَالُها الْمُفْتَـــرِسُ
في رِجْسِ هَذا الْعَصْرِ شَذَّ فَذُّها الْمُقَدَّس
مِنْها السُّمُوُّ ثُمَّ ذُوْ الْحَزْمِ اللبيبُ الكَيِّس
أتَسْتَطيعُ غَيْرَ ما قَــدْ فَعَلَت تَمَرَّسُ
هَلْ ثَمَّ من طِرْوَادَةٍ أُخْرَى بها تَنْدَرِس

هذا تقريب لا تعريب لكلمته عن صاحبته الثائرة ...

لقد آثرت عليه طغام السياسة الذين ما يرون إنسانها كما يرون غنيمة أنثاها مسكين « ياتس » .

هلا قال كما قال أبو الطيب « تحمّلوا حمَلتكم كلُّ ناجيةٍ » :
كان عبد الرحيم الأمين رحمه الله يعجبه منها قوله :

« تَخْدي الرَّواسِمُ من بَعْدِ الرَّسيمِ بها
وتَسألُ الأرضَ عَنْ أخفافِها الثَّفِنُ »

وكانت تعجبه قصة سيرانو دي برجراك الشاعر :

عَبْدُ الرَّحيمِ فَقَدْناهُ فَوا أسَفا ... أخا التَّجارِبِ والرَّأيِ الذي حَصُفا
هَلْ تَسْمَعَنَّ أخي عَبْدَ الرَّحيمِ وَهَيْـ ... ـهاتَ النِّداءُ وألفَيْنا النَّوى قَذَفا
لمّا نَعاكَ لِيَ النّاعُونَ أوجَعَني ... واستَجمَعَ الدَّمْعُ في جَفْنَيَّ وانذرفا
ذَكَرْتُ فَضْلَكَ والوُدَّ القَديمَ وأيّـ ... ـامَ الدِّراسَةِ إذ كُنّا معاً رُصَفا
يا لَيْتَ شِعْرَ أُصَيْحابي الأُلى عَهِدوا ... عَبْدَ الرَّحيمِ وكَمْ فيهم أُهيلُ صَفا
يا هَلْ بَكَيْتُم كما أبكي وأفجَعَكم ... بِمِثْلِ حُزْني عَفاءُ الرَّبْعِ حينَ عَفا

وكان رحمه الله يعجبه من شعر براونِنغ « الزعيم الذي ضاع » ... « الذي باعنا بقبضة من فضة » ... « الذين يَمْلِكُون الذَّهب أعْطَوْهُ اللُّجَيْن »... إلى آخرِ كَلِمَةِ براونِنغْ وهي في مجموعة المختارات المسماة الخزانة الذهبية the Golden Treasury. وفي ديوانه ... « تِلْكَ أمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا ما كَسَبَتْ وَلَكُمْ ما كَسَبْتُمْ ولا تُسألُونَ عَمّا كانُوا يَعْمَلُون » .

ماذا قال مهلهل :

« نُبِّئْتُ أنَّ النّارَ بَعْدَكَ أُوقِدَتْ ... واستبَّ بَعْدَكَ يا كُلَيْبُ المَجْلِس
وتَشاوَرُوا في أمْرِ كُلِّ عَظيمَةٍ ... لو كُنْتَ شاهِدَ أمْرِهِم لم يَنْبِسوا»

كذلك ماج الأمر بعد مصرع أحمد بلو السردونة . وتصدّى مُذيعٌ كَدَونة يَقَعُ فيه وقوع الغربان والرخم والحِدَأ خارج السور في رمم الحمير ...

والأعنز صاعدات . فوقه ما بين « كُوَفَرَ نانيسا » إلى أخريات العُمْران من مدينة كنو القديمة ... وخضرة الخريف مدّ الآفاق .

وعلى الرؤوس البَنَضُورة والباذِنجَان وعَيْشُ الرِّيف .

طَرِبْتَ وَهَاجَتْكَ الخيالاتُ في كَنُو — وشَاقَتْكَ لَيْلى والحَدِيثُ يُعَنْعَنُ
وقَد دَفَنَ الآمَالَ بَعْدَكَ يائِسٌ — وأنْتَ مَعَ الآمالِ واليَأْسِ تَدْفِنِ
فلا تأسَ واصْبِرْ واذْكُرِ اللهَ إنّه — قَرِيبٌ مُجِيبٌ والدُّعَاءُ يُطَمْئِنُ
وإنَّ طُبُولَ القَادِرِيّةِ لم تَزَلْ — إذا صَدَحَتْ قَلْبي لها يَتَحَزَّنُ
وزُرْتُ ضَرِيحَ الأغْبَشِيِّ بقَفْرَةٍ — قَواءٍ وقَلْبي للسَّبَارِيتِ يَرْكَنُ
وأزْبَدَ مَوْجُ النِّيلِ حَتّى حَسِبْتُه — هُوَ البَحْرُ مَوْجُ البحْرِ يا صَاحِ أدْكَن

رحم الله عبد الرحيم الأمين .

ورحم الدكتور أحمد الطيب .

* * *

وحَارَبَني أصْنَافُ قَوْمٍ أشَابَةٍ — على غَيْرِ شَيْءٍ غَيْرَ أنِّيَ مُحْسِنِ
وطَالَ سُؤالي اللهَ قَبْضَ نُفُوسِهِم — إلَيْهِ إلى نَارِ الجَحِيمِ لِيُلْعَنُوا
هتَكْتُ حِجابَ اللَّيْلِ نَحْوَ قُلُوبِهِم — لأهْتِكَها والسَّيْفُ بالدَّمِ مُعْلِن

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما .

(٩)

نخلةٌ فارهةٌ مرجّبةٌ رخيمةٌ منعمة كريمة « وتنحتون من الجبال بيوتاً فرهين» قراءةُ أبي عمرو وانشرح فؤادك للإسلام وهي دارُ السلام . قالوا أي الجنة كما تقول بيت الله للكعبة .

زعموا أن بعض أصحاب الغافقي لم يستطيعوا الرّجعة إذ حال النّهر بينهم وبين اللحاق بأصحابهم . وصاروا فرنسيين آخر الأمر .

وصار أهل قشتالة وأرغون وألبيرة وجيّان إلى جبال الثلج من غرناطة اسبانيين .

وزُرْت بيت الله ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم حسبك ذلك :

«فكُنْ لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة بمغنٍ فتيلاً عن سواد بن قاربِ»

ـ أشكرك .

ـ بل أنا أشكرك .

قد سئمنا تبادل البيان . آنَ أن يتخلّص الجنان إلى الجنان :

« وقالت حنانٌ ما أتى بك ههنا أذو نسبٍ أم أنت بالحيّ عارف»

اصعد الدرج ولا حرج

كان من ستة أدوار . يا لقلبك ولهذه الدنيا . ان العمر قصير وغبن أن نذهب لكيلا نعود . سنعود . هل الأثم الباطن هو اتخاذ الخليلات . قالت أنا كاثوليكية . قالت : من ذات الفراشات ؟

وسَرَّتِ النفسَ أمْسِ ذاتُ الفَرَاشَاتِ التي ريمُ جيدها صَنَمُ

هذا بحر المنسرح فاعرفه . بحر طروب إلى جارية وحشية عروب .

هل غضبت السكسكة التي عند التجار من السوميت الحُرِّ الحار .

« أبيتُ أسْري وتَبيتي تَدْلِكي   جِسْمَكِ بالعنبر والمِسْكِ الذّكي

— صاحبتك هذه تتبرج

ولاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجاهلية الأولى ... المنيجوب تَبَرُّج . والثوب الشفاف فوق المينجوب أشد تبرجاً . والثوب الشفاف فوق السروال البنطلوني الطويل فيه قولان ...

ذات الردف الجيد تكون فيه فاتنة جداً ... وقد يكون لها ساق جيد فيتجاوز قماش الثوب الشفاف والبنطلون معاً ... ورأى في أشد البرد بشمال أوروبا ذات منيجوب تمشي حافية القدمين تُقَلِّد بذلك الحور العين ... لأن الحور العين يكن حافيات لأن الجنة ليس فيها شوك وليس فيها ديدان من النوع الذي يتسرب من القدم في كتب الطب ويدخل في الجسم فيسبب أذًى جسيماً لا يعاقب عليه القانون ... لما عاقب القانون بلندن كاشفات الصدور ...

المجتمع الغربي يعد النهود مما يجب ستره لأنه جزء من أداة العفاف ..والحق أن الأفخاذ أشدُّ إثارة من النهود لأن في النهود عطفاً وجمالاً موضوعياً ... لأن قصارى النهد أن يرضع الطفل ويهدهد ويؤوي : وعدته ماري ستوب وهي حيزبون متمرسة ، من الأعضاء الجنسية وفي ذلك نظر عند أكثر العرب ... قال أبو الطيب وهو دقيق :

« فَلَمْ يَنْجُ إلاّ مَن حماها من الظُّبا   لَمَى شَفَتَيْها والثُّدِيُّ النّواهِد »

والواو لا تفيد ترتيباً ولكن السياق نفسه قد يشعر بترتيب فقدم اللمى لأنه جنس :

شغفتاك كَاكاوْ وأنتِ مُلتبس   وأريد منك المسّ والتقبيلا

والسين تُعاقِب الصّاد أحياناً . وليس لك أن تجعلها « صاداً » في قوله تعالى : « جنات عدن يَدْخلونها الخ » .

... قلت هذا من حذلقة العهد العباسي ومن كان يصير بالصاد إلى السين لم يبال بمثل هذه الصغائر إذ مراده بين .

وأخرّ أبو الطيب « الثديّ النّواهد » لما فيهنّ من رُوح العَطْف . قالت لا يلمسنّ أحد نَهْدَيْهَا انما خُلِقا لِطِفْلٍ . وكانا كبيرين . وكانت هي صغيرة الجرم .

« يَخْلُقُ ما يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهم الْخِيَرَةُ » .

زعم الطبري رحمه الله أن ما موصولة . وقد يكون ما يرجحه أحياناً غير الراجح ولكن الصواب الذي هو ديدنه يجعلك تتردد وتحجم وهكذا أجلاء العلماء . « إنّما يَخْشَى اللهَ من عِبادِه العلماء » . صدق الله العظيم .

* * *

تعطي عطاء جزلا . وناقةً ورحلا . وَملِكاً رِبَحْلا .

بينهما عَهْدٌ متين .

هل تعرف سوداء العيون في سوناتات شكسبير ؟

زعموا أن شكسبير أيضاً كان ذا انحراف ما . واستشهدوا بالغلاميات في كثير من المسرحيات . وليس هذا بشيء لأن الغلمان كانوا يُمَثّلُونَ أدوار الفتيات لأن المسرح كان حراماً على الحرائر وغير الحرائر يستفظع القوم أن تظهر عليه امرأة ... كان هذا في القرن السادس عشر كأوائل القرن العشرين بين المتحضرين من المسلمين . قد قطعوا في أربعين عاماً من شوط الفساد ما كاد يستغرق أوروبا أربعمائة عام ... لعل هذا الانحلال السريع انحلال كاذب .

مقدمة نهضة تطوّح به كما طوّح الاسلام بالحلالات قريش وثقيف وتميم والذين كانوا يسترهنون النساء من أحبار يهود ... « وردَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِم لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وكَانَ اللهُ قَوِيّاً عَزِيزاً وأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ من صَيَاصِيهِم وقَذَفَ فِي قُلُوبِهِم الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وتَأْسِرُونَ فَرِيقاً » ... كان ذلك في يوم بني قريظة .

« اللهُ أكْبَر . خَرِبَتْ خَيْبَر . إنّا إذا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فساء صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ » .

قال اليهودي الماكر تلك كانت هُزَيْلَةٌ من أبي القاسم ... هزيلة يا حَطَبَ النار .

وباع له العرب دورهم عند ساحل البرتقال ... « وسَكَنْتُم فِي مَسَاكِنِ الّذِينَ ظَلَمُوا أنْفُسَهم وتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِم وضَرَبْنَا لَكُمْ الأمْثَال » ... وحفّوا بالقائد البريطاني ينصرونه فاستعمرهم ... استعمرَ هؤلاء فأُخرجوا من ديارهم ... واستعمر هؤلاء في أرض هؤلاء التي منح السلطان عبد الحميد ... كيف حال قومي الترك وراء النهر نعالهم الشَّعْر ...

قَدْ رَأَيْتُ الشُّيوخَ صَلّوْا صَلاتَيْنِ ولِلْكُفْرِ فَوْقَهُم أُلْعُوبَةْ
وَسَقَوْنِي وقَدْ سَقَيْتُهُم الْكَاسَاتِ بِالْوُدِّ بَيْنَنَا مسْكُوبَةْ
ولأنْجِيلَ نُونَتَان بخَدَّيْها وهيلينُ ذَاتُ سَمْتٍ أَرِيبَهْ
ولِيَنّي وفَالَرِي ولَفَاسِيلِي خِلالٌ قد هُذِّبَتْ تَهْذِيبَهْ

قال المتعمقون من رهبان النصارى وقسيسيهم ... « وكثيرٌ منهم فاسقون » ... فهم مع المشركين الذين في « لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا » ... : إنَّ الشُّيُوعِيَّةَ أقلُّ عَلَيْنا خَطَراً من الإسلام .

والمنارَاتُ في سَمَرْقَنْد أشجَيْنَكَ والدَّهْرُ بالْحَوادِثِ مُرُّ

وعفَتْ أرْبَـعُ البُرُوْجِ مـن المَسْجِدِ والرَّسْمُ منه كاد يَخِرُّ

وبروج الكنائس قائماتٌ كأنها أعجاز نخل منقعر . وسيجيء عيسى ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويكتب من اليمين بالحرف الذي نزل به اللسان العربي مبين . . .

مس يدها في الحديقة وانحدر بها الطالب في « الخنطور » ... لعل الذين قدموا فلوبير للمحاكمة أصابوا ... ولا يكاد المرء يقوى على تطويل ديكنز ... على أن قصة المدينتين من الجياد ... قال ترولوب بعد أن أعطانا فكرة عن دخله من الناشرين ليس لقارىء ترجمتي أن يسأل هل رف قلبه لخفقات الحرير يخطا ذات العبير ... هل قال ذلك .. هذا أمر خاصّ . « فاصفح الصفح الجميل» نعم فاتحة الصباح . قالت التوراة التي عند اليهود فجر ابن داود بأخته تمرَ ... « ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذّب بالحقّ لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين » ؟ ... بلى ... ويوم يقول كن فيَكُونُ قـالت سأشتري نظارات لأكونَ ذاتَ فراشات ... دَا ... ألف ارنب يا بَطُّ .. وغداً يكون شيئاً آخر . . . هكذا روَى أبو حيّان في معجم البلدان . . . اللّهُمَّ غفْراً تشابه علينا البقر يا صفراء . . وأنتِ الجنة . . وَجْهُكِ عزاءٌ .

« غُيِّبْتَ عنّيَ عبْدَ في ساعَةِ الشرِّ وجُنِّبْتَ أوانَ العُوَيصْ
قدْ يُدْرِكُ المُبْطِىءُ من حَظِّه والخَيْرُ قد يَسْبِقُ جَهْدَ الحَرِيص
والرَّبْرَبُ المَكْفُوفُ أرْدانُـه يَمْشي رُوَيْداً كَتَوقِّي الرَّهِيصْ »

كما يمشي الوَجِي الوَحِلُ . . .

أنا من أرمينية ولَهْجَتي العربية بُرْجوازية بالرغم من التقدمية

سباسيبا . . يعني ثنْك يو . . . يعنّي ناقُودي . زَعَم الجاهل أن الهوسا لا يعرفون في لغتهم كلمة للشكر . والقوم يلتقي الرجلان منهم في ناحية الطريق فيتبادلان بالتحية أرق عبارات الأدب .

أ
إذا أتيْتَ غسوّاً فاقصِدنْ إلى دارِ الوَزيرِ جُنَيْدٍ بالتحيّات
تَرَى سَنَا الفَضْلِ في إشراقِ غُرّتِه وَوَجْهُهُ مِثْلُ مِصْبَاحٍ بِمِشْكَاة
ووجهها كالسّماء ذاتِ النجوم سَطَعَ عليها البدر فكَشَفَ الغُيُوم

يا صَاحِ هَلْ باحَتْ بُحبِّكَ لَمْ تَبُحْ كلاّ ولكن لَمّحَتْ تَلْمِيحا
زَارَتْ وسرّك أن تزور وربّمــا رُفِعَ الحجابُ لِكَيْ تُشَاهِدَ يُوحا
هَذا الصّباح يَزُفُّ فَأْلاً صالحــاً فاصْفَحْ وكُنْتَ مُجامِلاً وَصَفُوحا
ولقد رأيْتُ المُسْتحيلَة أقْبَلَتْ تُهْدِي إليَّ بِرَاحَتَيْها الرُّوحا
سُبْحَانَ رَبِّيَ إنّني سَبّحْتُـــه بَعْدَ الصلاةِ وَيَقْبَلُ التّسْبِيحا
كَفْكِفْ دُمُوعَ العَيْنِ منك فإنّها أعْطَتْكَ من عَيْنِ الحياةِ صَبُوحا

فاتّخَذَ سَبِيلَه في البَحْرِ سَرَبا . . . شَقَّ طريقه في البحر ظاهِراً كما يشق المحراث الأرض . . . هذه العين الحَمِئة . . . « ألم تر إلى الّذين أوتو نَصيباً من الكتاب يُؤْمِنُون بالجِبْتِ والطّاغُوت » . . أعور عينه اليمنى هذا هو الدّجال ولا تَحُوز الصلاة وراءه وجنتُه نَارٌ وشَرَفُه عَارٌ وهو غداً بل اليوم مُنْهار . . . . على شَفَا جُرُفٍ هار .

كتب « باسيلْ دافيدسُونْ » قبل دهر في مَجَلّة ستسمان عن مدينة كَنُو كأنما يَكْتُبُ عن شيء من ألف ليلة بقلم ماركوبولو أو مانغو بارك وكانَ الهوسا بأجْنِحَةِ الرِّيغا أشباح وراء بحيرة الاوزبن – قال : إنها ستخـ... بالعبقرية يَعْنِي الساحرة الشريرة ثم يَصِير حَجراً كامْرأةِ لوط . . كانتا تحْتَ عَبْدَيْنِ من عبادنا صَالِحَيْن . . قالوا كانت خيانتهما في غير العرض ولا يجوز في حق العصمة أن يُخْتَان في عرضه نَبِيٌّ على الأرجح . وصنيع امرأة لوط من أخبث شيء وامرأة نوح ههنا غير التي نجت معه من أزواجه ولعلها أم الّذي أوى إلى جبل ليعصمه ولا عاصم اليوم من أمر الله . . . « إن الله يأمُر بالعَدْلِ والإحْسَانِ وإيتاء ذِي القُرْبَى ويَنْهَى عن

الفَحْشَاء والمُنْكَرِ والبَغْي » . . . سأترك أولادي فَتَرَبّصوا حتى يأتيَ اللهُ بأمْرِهِ . . .

« زُيِّنَ للنّاسِ حُبُّ الشّهَوَاتِ من النّساء والبَنِين »

يا وَلَدْ جيبْ الغَدا

آتِنا غَدَاءَنا لَقَدْ لَقِينا من سَفَرِنا هَذا نَصَباً

لماذا لم تبتهج الطفلة ابتهاجتها آنفاً كأنها مَلاكٌ . أنت تحب الأطفال وتفهمهم لأنهم يرون الملك العريان . ذهبت أُمّي تلبس أسنانها ، قال الولد الصغير . لم يستطع شوقي في جميع الحَسَنِ الطّيِّب الذي كتب أن يَصْعَدَ إلى دَرَجِ الأطْفَالِ إلاّ حَيْثُ تَرَنّم على السجية

«عَصْفُورَتانِ في فَنَنْ أقْبلَتَا من اليَمَنْ
قُمْ حيِّ هذي النّيِّراتْ حَيِّ الحِسَانَ الخَيِّرَاتْ
صَدّاحُ يا مَلِكَ الكَنَارِ ويا أميرَ البُلْبُلِ »

وصعده أبو الطيب مراراً وهو طفل كبير

« أجِزْني إذا أنْشدتّ شِعراً فإنّما بِشِعْري أتاك المَادِحُون مُرَدّدا
وَدَعْ كُلَّ صَوْتٍ غَيْرَ صَوْتي فإنّني أنا الصّائحُ المَحْكِيُّ والآخَرُ الصّدى

« وخَلَقْنَاكم أطْواراً » صدق الله العظيم . تعقلون أو لاتعقلون . . . مع بعد الاحتمال مثل الذي صنع كارتن يحتمل وقد أعطى ديكنز مدام ديفارج دافعاً ولو قد أبه كم من ثائر بلا دافع إلا الإثم القديم . القصيرة ثرثارة لا تكاد تكف وعيناها وديعتان . ومن الناس عدو لك تعرفُه من أوّل التقاءة . . تحِسُّ أنّ بينك وبَيْنَه تَنَافُراً كالخنزير البري الذي اغتال أدُونيس . . . أو كالوَزَغ الذي زعموا أنه قال « الرّب في الشّق » . . .

كانت لا حواجب له وعيناه تدمعان . . . لله دَرُّ أبي الطّيِّب

« وعيونه ما تستقر كأنها مطروفة أو فت فيها حصرم »

ثعبان استقام على رجلين في مسلاخ شيطان من الأنس رجيم قالت ونظرت إلى صورته « غود أولد فلان » — بالانجليزية — أما « أولد » *old* فعسى وأما « غود » *Good* فلا . . . قال أبو عبادة

« تالله لا أسلو ولو جهد الذي يلحى وما عذر المحب إذا سلا

جذور هذا الأمر قديمة . . . . نهرب كما هربت جسيكا . . . قالوا كان الكردينال ريشليو يحب أم الملك فأحبه الملك بعد أن قتلوا المارشال كأن دمه مسك . ولم تق الدوق العنيد من رصاصة كرومويل درع الحديد . كان الفولاذ الجيد بطليطلة المشرفة من منخرقها المنيع على الوادي الافيح من قشتالة وفيها أنفاس الأندلس . والموسى التي كالسكين في يد الحلاق الماهر تصنع الأعاجيب . . لا حاجة إلى سقسقة المقص وخشخشة المكنات

«له راحة مسها راحة تمر على الرأس مر النسيم »

لعله كان ينتظر عطاء أكثر . ومثل ذلك يفعلون برباط . « صوصيم حلال » ، كتبه الاحبار بكازابلانكا ليستحلوا مال المسلمين .

ألم ترنا إذ حللنا طرابلس هش لنا ريفها الأزرق
وخضراء تونس ذات البرانس يغمس في شايها البندق
وغطريفها مطمئن الأسارير يسمو به عنق مغرق

هذا حسن حسني عبد الوهاب تغمدته رحمة العزيز الوهاب . وآل عاشور كرام . والكعاك سميدع همام . وكم في تونس من أديب إذ الفكر في دارك غريب .

وفي القيروان الطلول النواطق أطلال بوهين لا تنطق

زعم ابن بطوطة أن تمر سلجماسة أجود من تمر البصرة .

ولا أشك أن حركة عثمان بن فودي كانت أعمق جذوراً في الفكر الاسلامي العربي من الحركات التي كانت معاصرة لها في ذلك الزمان .

قالوا كاد الأمير بوني برنس شارلي يظفر بالتاج وإذن لنجونا من الاستعمار ما أشجى ما غنت له خليلته فوق الموج الاورق بين الجبال .

« شَرَّدَهُ الخَوْفُ وأزْرى بِهِ كَذاكَ من يَكْرَهُ حَرَّ الجلادْ
مُنْخرق السِّرْبال يَشْكُو الوَجَى تَلْذَعُه أطراف مَرْوٍ حداد »

وجزائر البحر المترامبات وركوبهن فزعاً من دراهم آل هنوفر ... ذلك مَرْوٌ حداد ... قالوا سقط بضعة عشر بطلاً حول لواء آل ستوارت ورآه فتى ساقطاً فَحَبَا إليْهِ وسط سعير الرصاص ثم مزقه من خشبته ونجا به ولا زال الدَّمُ لاصقاً به ... كان ذلك في سَهْل كُلُودُنْ وسَطَ الجبال .

والتفت قلبك إلى الثلج المشرف من غرناطة فوق الجبال .

هاتيك دار ذات الدلال .

نعمك من دار إن الحبيب يزار .

عَيْنَاكِ أُنْسٌ كامِلٌ ومودَّةٌ تَرْنُو بها وتُحِسُّ أنّي صبُّها
سُبْحانَ رَبِّي إنني لأحِبُّهنَّا ولقاؤُها لشكاةِ نَفْسِي طِبُّها

سامح يا لامح هكذا يكتب الفقراء في آخر المصحف .

جزَّارٌ لَحَنْ في السُّوْق سَحَبْنا الرُّخْصَةْ .

لو قرأ شباب العرب الألفية لطردوا فتيان يهود ولسبوا جواري صهيون .

لو حفظوا القرآن لدان لهم الثقلان .

حياك السعيد إن العمر بذلك لمديد .

« ألم تَرَ أنّي يَوْمَ شِعْبِ سُوَيْقَةٍ بَكَيْتُ فنادَتْني هُنَيْدَةُ مَاليا »

براءة التجارب إذ ينظران إلى البركة فيها ضوء النجوم وشعاع القمر من

خلف ظلال الدوحات ... من خلل صفرة أطراف السحاب .. لن تمطر هذه الليلة ... هذا حر كثيف ... أين الخريف ... جاءت من أقصى الشمال وتركهما أصحابها ..

مَن لّي بكأس من جَنُوبيـــة دافئـــة في قَدَح تُتْرَع
تَرْنُو الفقاقيــع بحافاتِــه عَلى فَم قُرْمزه يَلْمَــع

وما انتفعنا بِشعْرِ كيتس ... لا تجوز الْخَلْوة بغير الْمَحْرَم لغــير المعروف .. كان ذلك إذ زهر الصبا بهج فالآن تَخَافُ من بين الأبَد القُلُوب تَانْدريس ... أي رِقّة ... قالوا والفرنسية لغة الْقُلُوب ... قُلُوب الطّيْر رَطْباً ويابساً ... اللّهُمَّ بك نعوذ ونلوذ ... ضرائح القفر أحبُّ إليّ ومنهن يُسْمَعُ القرآن . لأمر ما كره أبناء الصالحين القُبَب ... حسب الاسلام كلّه القبة الخضراء ... ولكنّ حَمْزَة لاَ بَوَاكِي له .. رأى سَفْحَ أُحُد بعَيْن الأزل القديم ... قالت ابْنَةُ حَمْزَة يَا عَمّاه ... كم في الحديث من أثَر تستهلُّ له الدموع ... وقبر العقاد لا قُبّة له ... ذلك له أميز وعنده حارس وعمّا قريب تساق النذور بين الستائر والعطور .. وما أشبه زُوّار لينين بالكرملين بزُوّار الصالحين ... لمعلم جنيدُ تأليف حسن في ذكر الصالحين فيما بين صكتو وضريح السلطان ... ولعله بعد مائة عام أن يوضع جسد ستالين من الشّمْع بجوار جسد لينين ويكون مفتاح الزيارة من عند تربة غاغرين إلا أن جميع هؤلاء مشركون وقبورهم حُفَرٌ من النار على الأرجح ... اختلفوا في تفسير « إلاّ ما شاء ربُّك » في هُود وفي الانعام فحسِبَ بعضهم أن لله داراً غير جهنم وغير الجنة تصير إليها النفوس ... والأمر أيسر من ذلك إذ لا بد من تعليق كل أمر بمشيئة الله ثم نوع مشيئة الله من بعد أمر لا يُدْرَكُ كُنْهُهُ . سبحانه « لا تُدْرِكُه الأبْصار وَهْوَ يُدْرِكُ الأبْصارَ وَهْوَ اللّطِيْفُ الْخَبِير». وانبرى أحد المتفقهين يزعم أن الناس أخطئوا في تفسير قوله « وما

كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِروا كَافَّةً » في التوبة فظنوا أن العلم فرض كفاية وهو فرض عين .. وفرض كفاية وفرض عين انما تطلق على التكاليف لا على الضرورات كالماء والهواء فهذا خطأهم ولم يدركوا الغور من عبارات أبي حامد ... والآية واضحة المعنى ... والعلم في كلتا حالي الاقامة والنفر كائن ... خارجون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجهاد يكسبون بذلك علماً ويقومون بواجب والمتخلفون بأمره كذلك . هذا إذا خرج وكذلك إذا بعث عليه الصلاة والسلام وأقام كالذي حدث في مؤتة ... والله تعالى أعلم .

« وقد أقُودُ أمَامَ الْحَيِّ سَلْهَبَةً يَهْدِي بها نَسَبٌ في الحيِّ مَعلوم»

آخر هذه القصيدة كأولها ... السَّلْهَبَة ، أي الفرس الكريمة الطويلة .. في أول القصيدة هي الغانية الظاعنة ثم الشاعر لاحق أو يريد اللحاق .

وهو ههنا يقود سلهبة يتبع ابلا حراجيج يتقدمها فَحْلٌ أكْلَفُ

« يَحْمِلْن أتْرُجَّة نَضْخُ العَبِيرِبها كأنَّ تَطْيابَها في الأنْفِ مَشْموم»

والإبل ههنا نحن إذ سمعت تَزَغُّم الولد منها الصغير . وهناك هو الولد الصغير يبكي لو تحنو عليه الأم .

« هَلْ مَا عَلِمْت وما اسْتُودِعْتَ مَكْتُوم
أم حبلهـا إذ نـأتك اليوم مصروم
أَمْ هَلْ كَبِيرٌ بَكَى لم يَقْضِ عَبْرتَه
إثْـرَ الأحبّـةِ يَوْمَ الْبَيْنِ مشكوم »

قالوا له هاتان سمطا الدهر . ولعل أم جندب فارقته بعد أن قل ماله كالذي صنعت بامرىء القيس .

إنّي لَعَمْرُكَ لا أطْوِي على دَخَلٍ سرَّ الضَّمِيرِ ولا في ريبَةٍ ألِجِ
ولا أذُود عن الوِرْدِ القريبِ صَدى خِلِّي وللنّازِحِ المَحْظُورِ أدّلج

سَعَتْ إليْكَ بأعْنَابٍ مُهَدَّلَةٍ   وَهْيَ الْخَميلَةُ فيها الفُلفلُ الأرج

أنتم السودانيون – السودانيين – تُحِبُّون الشطة

مِلْحِيَّةٌ في صَفائِها كَدَرٌ   كما تراءى بمائِهِ الْعِنَبُ

طَازَجَةٌ كالْخِيارِ أخْطَأَهُ الْمِنْجَلُ عُرْجُونُها بِهِ رُطَبُ

بُسْتَانُها مُشْرِفُ الثِّمارِ بِخَضْرَاءَ وإعْصَارُها لَهُ لَهَبُ

وقَدْ تَذَكَّرْتُها وأثْمَلَني   منها الدَّلالُ النَّجيبُ واللَّعِبُ

ما عن هواها للنَّفْسِ مُضطَّرب   إنَّ الْهَوَى جاذِبِيَّةٌ عَجَبُ

اثنان وثلاثون قدماً في الثانية إلى فوق حيث تلتقي الأضواء على صفحة القمراء الأخرى ... يا أفروديت .. هل أنت السكسكة أم أنت السوميت

« أبيت أسري وتَبِيتي تَدَلِّكِي   جِسْمَكِ بالعنبر والمسكِ الذَّكي »

دم الغزال ... « فإنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ » ... يا غزال – دَم

« انَّ الحسناتِ يُذْهِبْنَ السَّيئاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى للذَّاكِرِين » .

وصلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليماً ... ألا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُ الْقُلُوب ... إن الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قدير واليه المصير

لا تُحْرِجيني إنّي كُنْتُ امْرأ   قد تعلمين مُجَرَّباً مسئولا

ومُحَسَّداً وأحبُّ شَيْءٍ أنني   أُلْفِيكَ عِنْدِي بُكْرَةً وأصيلا

إنِّي أُحِبُّكِ فاعلمي لا تَفْضَحي   حُبِّي إليْكِ وعَلِّلِي تَعْليلا

ولقد وجدتُكِ يا غَزَالةُ حُلْوَةً   كُلَّ الحلاوة أشْتَهِيكِ خَليلا

مسكين جعد بن درهم..ذكره البخاري في التاريخ الكبير ولا ينبئك مثل خبير المص . . . ولباس التّقوى ذلك خير . . . وطَفِقا يَخْصِفان عليهما من ورقِ الجنة ... ألَمْ أنهكما عن تِلْكما الشَّجَرة .

– أنا شجرة فتَعال تَحْتَ أغصاني ... أنا شجرة زيتون وأنت تين

أنا ليمونة وأضع لك فيه الثلج هاك اشرب. ان ثغري عليك حرام ... مُدام بضم الميم الأولى ويقال فيها مدامة وفي العجلة الندامة

— أرني أنظر ورقك ... دبل ... ري دبل ... أربعة بلا أتوه ... يسألك عن الآسات ... أهي الحمير ... لا انها بحرف مختلف وفي الحمار سينان ... الحمار الذي هو جحش قميء جاء به صاحبه الذي مع الوجهاء ليقصوه قص الحمير الطوال الفارهات كأنها براذين .

كان وهو ولد صغير وزيراً لولد الطهور — أي الختان — واستمر بتلك العقلية من ذاك الآن إلى هذا الآن لهم منا الفاتحة قد أفلح المؤمنون ...

« عَسى الْكَرْبُ الّذي أمسيت فيه يَكُونُ وراءه فَرَجٌ قريب »

هذا هدبة بن الخشرم ولم يفرج عنه غير الموت . . .

أم كنتم شُهَدَاءَ إذ حَضَرَ يَعْقُوبَ الموتُ . . .

نتحدى الموت . . . هذا النشيد القومي وهو مزيج من قطعتين

« ولَيْلَى تَوارَتْ عن عُيوني في الورى

وقَالَتْ نِساءُ الْحَيِّ تَطْمَعُ أنْ تَرَى

بِعَيْنَيْكَ لَيْلَى مُتْ بداءِ الْمَطامع »

وكلهن ليلى . لا ملك إلا لله . تجربة حسنة . . . *Interesting* حسنة أقْرَبُ تَرْجمةٍ لهذه الكلمة الأفرنجيّة . . . والتمعت عينا نمرٍ غضوبٍ .

لو زرتني لكان قلبي بزيارتك قوياً .. بعد ثلاث ليال كليْلات يونس في الحوت .. ما وحدي أنا لك محب . . . هل تتعمق العلاقات أكثر من هذا . . . محاولة أنغـام . . . ما أكثر السيارات أمام الدار . . . لولا أنت لارتكبت حماقه . . الفندو — تجعـل الواو بين الياء والواو مثل قراءة الاشمام في سيئت — من الجبن باللحم ودونه يغمس فيه العيش مثل « ملاح الروب » ويكون معه النبيذ الأبيض . . . قال المعري في رسالة الغفران أجاز بعضهم الجمهورى وهو

كقولك « فان اوردنير » تقريباً وعند العقاد أن المعري كان يشربها سراً إذا بليتم فاستتروا أن تشهد عليكم جلودكم قبل الزنا . . . قالت له اقتـل هذا الغلام . . . قالت غلاميّ تنتظرني أمام الباب . . يا ديناراً من خزائن العزيز الوهاب . . هل تحفظ شعر عبد بني الحسحاس . . هو من أغزل الناس والذي اقتيد فقتل لعلـه رجل غيره والقائل فقالت « صَه يا وَيْحَ غَيْرِكَ » لعلـه رجل غيره لأن نَفَس اليائية عذب حلو مرتاح متدفق أنيس فكه ويقوي هذا خبره مع عمر بن الخطاب إذ قال لو قدّمت الاسلام — كفى الشَّيْبُ والإسلام — أحسبه قال لجعلت لك كذا وكذا من بيت المال . قال إذن ما سَعَرْتُ بالسين لاختلال الوزن واختلال السياق وإنما زجره الشيب الزجرة الكبرى ، أخـا ستين أو دون ذلك قليلا أو جاوزه قليلا . . . فبعيد أن يكون هو صاحب الصّبيريات

٦

« وهُنَّ بناتُ القَوْمِ إن يشعروابنا يَكُنَّ في ثباتِ القَوْمِ إحدى الدهارِس أي الدواهي . . . وتّر أذيسيوس القوس ورمى وأُوصدت الأبواب وكان ذبح عظيم . . لقد جئتكم بالذَّبْح . . . وفزعوا صناديدُ قريش لما سمعوا صوت السّماء .

الكتاتيب قذرة ولذلك يذهب أوْلادي للرهبان لينظروا إلى الصُّلْبان لماذا لا تتمدّن خلاوي القرآن يا قمر الزمان .

دَمْ . . .

إفريقية متأخرة جداً . حتى قُرَى النِّيل شَظَفُهن شديد . الفَرْقُ شاسع بين الروتين اليومي في الطعام والملبس والمُتكأ وغرفة النوم وغرفة الحمام ومجرد ظل فوق رأسك ولا آنية إلا القرع والأطباق واللحم بعد دهر تغيير

والوبياء يدق ويعجن ويطحن .. والموت مستحر ... والكدح إلى لقائه مستمر ... والاقارب عند المستشفى والسوق والسائلون منهم زاحفون ومنهم من هم أحق بالحجر ممن وراء السياج .... والمحكمة تنتظر الأقوال .. ولله وحده الكمال .

أرأيتك إن أصبحت والنيل قد غاض هل أنت من العطش تموت .

تحمِل الدَّوْحة الكَنَهْبَلَةَ الظِلَّ مع السمهريَّةِ المشوقــة

وبرد أمواج نسيم النيل كذات الحُبُكِ وهي الأصيل ... كان يندفع يَقْذِف نفسه في اليم يسبح لا يبالي . ما أنتم لي بِثِقَةٍ سَجِيسَ الليالي

« سَمِيرَ اللّيالي مُبْسَلاً بالجَرائِرِ »

كسر دائر . كأن الحصلتين من حول العنق الصلت ضفائر . جرح قد اندَمَل وآخر غائر وإلى الله المصائر ... زعم ابن قتيبة أن شعر الكميت في بني أمية أجود منه في بني هاشم وغلب عليه التعصب في هذا ولا يكاد شعر الكميت في بني أمية يعرف ... وكتفضيله شعره الأموي تفضيلهم عليه الكميت بن معروف وهو لا يكاد يعرف ... كما لا يوشك البارودي أن يعرف وهو أبو النهضة الحديثة .. كما رأيت الغابات الرهيبة البحيرات كأنهن أقمار قبل انصداع النهار ... دا

النور الأحمر قِفْ . النور الأخضر تَقَدَّم . النور الأصفر تردَّد . في آخر هذا الشهر أصير بنت ثلاثين كالرواية الفرنسية فَامْ فَاتَالْ ... هل قلت هذا شعر حديث ... أنا أوَّلُ الناس نبهت إلى روعة أصداء النيل ... سبحان الله

وتراءت بِجيدها مِثْلَما يَشْتَرِفُ الظَّبْيُ أو يَشِبُّ الحَرِيقُ

فيه وجودية مُغَلَّفة بغلاف الحرير وكل الغيد يعجبهن العبير .. قالوا في

الحديث أن يحضرن مجالس العلم تفِلات بتاء وفاء مكسورة أي بلا عطر وتَرْك الذّهب أولى . . . والمودّة من السكر أحلى ومن الذهب أغلى ومن الجبال أعلى

« إذا صَحِبت أسماءَ يَوماً ظَعينةٌ فأسْماءُ من تلك الظّعينة أمْلح »

دا شنو —

وذابت كما يذوب تمر سلجماسة كأنه رُطَبٌ وقد استوى واستقلت به العدول فهو أجود مأكول . لطيف كتاب قرة العيون لابن يامون ماذا قال يا سيدنا . . . قال إذا حصلت المحبة وجب الحجاب حتى عن أدنى الأحباب ونذر جَميع الثياب لأسباب صحية فقد يكون فيها القمل ولأسباب اقتصادية لأن النوم بها يُبْليها .

« يامَنْ رأى البِرْكَةَ الحَسْناءَ رُؤْيتَها والآنسات إذا لاحت مغانيها
كأن جِنَّ سُلَيْمان الّذين وَلُوا إبداعها فأدَقّوا في معانيها
فلو تَمُرُّ بها بِلْقيسُ عَن عُرُضٍ قالت هي الصَّرْحُ تمثيلا وتشبيها »

وما كشفت عن ساقيها . أو تقول أسلمت مع سليمان . إن البركة مصنوع جسيم هكذا رآها البحتري ، ما همَّ أن يخفق قلبه الا راعه جمودها . . .

« إذا عَلَتْها الصَّبا أبدت لها حُبُكاً »

هنا خَفَق القلب

« مِثْل الجَواشِن مَصْقُولاً حواشيها »

جواشن الذين قَتَلوا المتوكل

« إذا النُّجُوم تَراءَتْ في جوانبها »

هنا خفق القلب

« لَيْلاً حَسِبْتَ سماءً رُكِّبَتْ فيها »

كأنها صرح ممرد من قوارير فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصداً . أين هذا من قوله في دجلة ذات الأمواج :

«أحْسِنْ بِدِجْلَةَ مَنْظَراً ومُخَيَّماً والغَرْدِ في أكْنافِ دِجْلَةَ مَنْزِلا
حَشَدَتْ لَهُ الأمْواجُ فَضْلَ دَوافِعٍ أعْجَلْنَ دُولابَيْهِ أنْ يتمهلا
لاحَتْ تَباشيرُ الْخَرِيفِ وأعْرَضَتْ قِطَعُ الْغَمامِ وشارَفَتْ أن تَهْطُلا
فَتَروَّ من شَعْبانَ إن وَراءَه شَهْراً يُمانعنا الرَّحيقَ السَّلْسَلا »

هذا في داخل الغرد، فتحرك القصر الجامد كما ترى . إنَّ من الشعر لحكما .

« وشخر ونخر وسبّ الشمس والقمر »

ثم قتل يعقوب بن السكيت كأنه ضفدعة وبعث بديته إلى أهله . . . قالوا لم يحسن الرسام صورة ضَرْبِ السيف عُنُقَ البائس وكأنه لم ير من نحو ذلك بعيني رأسه شيئاً من قبل وإنما توهمه توهما . . . يا غلام اضرب عُنُقَ ذلك الغلام لنُريَه كيف يصنع الصمصام . . . ووقفت الأمركانية الصحفية فوق سيارتها المزَوَّدة بأصناف المعدات وفي يدها فتوغرافية . . . وصنعت لنفسها قعدة أو وقفة أو شيئاً بين بين . . . وأغمضت عيناً وجدت لتخطف صورة السيف وهو يهوي بعنق المجرم البائس الرهـــين . . . وبرق البصر وسقطت من حالق مغشياً عليها . . . يا بِتْ . . . تلك كانت نَظْرَةً من سيدة البُبور هل كانت هُذَيْل تعبد الأسد . . . قال الدكتور أحمد رحمه الله داءٌ يَنْهَكُ الجسد . كثيراً ما كان يكررها .

«ألو كان حَوْضَ حِمارٍ ما شربت به إلا بإذْنِ حِمَارِ آخر الابد »

إن السعالى في الأحاجي منتزعات من البيئة يدلك على ذلك قول أمية بن عائذ:

« ويَأوي إلى نِسْوَةٍ عُطَّـــــــلٍ   وشُعْثٍ مَراضِيعَ مِثْلِ السَّعالى »

أول هذه الكلمة :

« ألاَ يا لَقَلْبٍ لَطِيفِ الْخَيــالِ   أَرقَّ من نازحٍ ذي دَلالٍ »

وأمية بن عائذ يحسن المطالع ثم يدركه بعد ذلك لغوب

« لو يَيْسِرُون بخَيْلٍ قد يَسَرْتُ بها   وكُلُّ ما يَسَرَ الأقْوام مَغْرُوم
ومُطْعَمُ الْغُنْمِ يَوْمَ الغُنْمِ مُطْعَمُه   أنىَّ تَوَجَّه والْمَحْرُوم مَحْروم
قد أَشْهَدُ الشَّرْبَ فيهم مِزهر رَنِم   والْقَوْم تَصْرَعُهم صَهْباء خرطوم
تَشْفي الصُّداع ولا يُؤْذِيه صَالِبها   ولا يُخالِط مِنْها الرَّأسَ تَدْوِيم
وقد أَقُود أمام الْحَيِّ سَلْهَبَـــةً   يَهْدي بها نَسَبٌ في الْحَيِّ معلوم»

وهي وأبيك سَلْهَبَةٌ ، تَراءى غرتها من مَرْقَبة . عِنْدَ أعْلى مَرْتَبة . . . هل قرأت أصداء النيل وشهدت صفات الشمس عند الأصيل تُرْسل شُعاعها من خلل جريد النَّخيل ... جريد نخلة فارعة مُرَجَّبة . . ماذا قال أخو الأنصار أنا جُذَيْلُها المُحكك وعُذَيْقُها المُرَجَّب . . . منا أميرٌ ومنكم أمير ... الّذين صاروا فَرَنْسيين بَعْدَ مَعْركة بواتييه

الذين همُ يراؤون ويَمْنَعُون الْمَاعون

يا رَيْحانة الجبل . . . هَلُمِّي . . . هلمَّ شهداءكم . . . هَلُمَّ إلينا موضعان في القُرْآن . وأخطأ الذي ذكر ثلاثة . . . « لقد كَفَرَ الّذين قالوا إنَّ الله ثَالِثُ ثَلاثَة » . . . « لا إلَه إلا الله » . . . موضعان في الْقُرْآن

أمّا الخليط فبانُوا بَعْدَما عَلِقَــا   مِنْكَ الْفُؤاد هواهاً فاكْتَم نَحوه
كأنها نَخْلَةٌ بالشَّطِّ مُشْرِفَـــةٌ   قد خَضَّبَ الْبُدْرُ في طَلْعائِها ...
حَيّا الْغَمامُ جِلاهَ الْوادِيَيْن وأَكْـ   ـنافَ الْغُوَيْرِ وحَيّا الرمْل ...
جَلّهَتَا الوادي جَانباه

والرَّكْب إذ سَلَكت أَيْدي الرِّكابِ بِهِمْ مُيَمِّمين الْغَضَى من راكس فلقا
هذا من قول زهير . . . وكان في الجاهلية مثل البروفسير . . .
- بِرافو سير
« أيدي الرِّكاب بهم من رَاكسٍ فَلَقاً »
« كأنَّ عَيْنَيَّ في غَرْبَيْ مُقَتَّلَةٍ من النَّواضِحِ تَسْقِي جَنَّةً سُحُقا »
من نخيل وأعناب ان في ذلك لعبرةً لأولي الالباب .... وصلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليما .

* * *

(١٠)

مرة أخرى مع أبي عُبادَة والنظر الى الجمال عبادة . سرعان ما ينحسر بعض الشباب

إنّ ابتسامةَ ذاتِ الخالِ تُعْجِبُـــني كأنّ نُونَتَها من طُولِها أَلِفُ

ذهب ذلك الربيع الفرح المحبور واستدار وصار مكانه جنس ... لا زال في العينين بريق والنونة كالالف الا أن الجسم كُلّه استدار وخالطه انكسار. هل ذاقت من شجرة الخُلْد ..

« هَل أنْت في سَفهِ الصَّبابةِ عَاذِري أم أنْت من بَرْحِ الصَّبابة عائِدي
شَوْقٌ تَلبّس بالْفؤادِ دخيلــــه والشَوْقُ يُسْرع في فُؤاد الواجد »

الا يَفْتُرون من الأخذ منك ولا يعطونك .

هل تذكر إذ بدأت برنامج الموسيقا بذلك المعهد وجاء المدرس معه الفيولين في الفصل .... كان ذلك أول خطا الوطن نحو المسرح القومي ... ونظر الى الستارة البارعة وقال نُريد ان نصنع خشبة المسرح كلها من الاسمنت المسلح لكي تبقى بَقاء خزّان خشم القربة . وجاءت الافرنجيات العاريات وَسْط الثلج ونظر الشيخ وأغضى وأذّن المؤذن لصلاة العشاء ... أريد أناقشك يا مولانا في الإسلام ... ورائحة العَرَقِ ملء الْحَدَق .... أقم الصلاة لدِ تَرْب

هَلْ عِنْدَ عَمْرَة بالْحَديقَةِ زاد أمْ لَيْسَ لِلْخَوْد اللَعُوب ود د

أمْ أنْت لا تَسْلُو وقَلْبُكَ دَأْبُــهُ   يَهْوَى ورَوْضَاتُ الْهَوَى يرتاد
ولقد سَرَيْتِ إلى الْعراق وجَارَتي   حَسْنَاءُ طيبُ حَدِيثِها يَزْدَادُ

قالت أريد أصل الى مَشْهد بإيران وراكب الناقة طليحان . زَوْجي المس مَسُّ أرْنب والرِّيحُ رِيحُ زرنب ... هذا حديث أمِّ زرع وهو من شواهد المبتدأ ... خَطِفَتْ قَلْبَه أمُّ غلامين أبو زرع النبيلْ ... دفعتنا تَجْرِبة السن الى النظر في ابن اسمعيل ... رضي الله عنه وبه نفع ورفع ... قال أبو عبادة بعد أن طاح مَجْلِس السيادة .

« قد سقاني ولم يُصَرِّد أبــو الْغَــوْ   ثِ على الْعَسْكَرَيْنِ شَرْبَةَ خلس

اي كما يقولون الآنَ نَخْبَ العسكرين

« شَوْقٌ لَهُ بَيْنَ الأضالع هَاجِسُ »

تلك سينية في الدهر الأول

« وتَذَكُّر للصَّدْرِ منه وَسَاوِسُ »

« ماأنْصَفَتْ بَغْدَادُ حِينَ توحشَتْ   لنزيلها وهي الْمَحَلُّ الآنِسُ »

والطابع العصري يجعل الفردوس نفسه موحشا

« كَمْ بالكثيبِ من اعتراضِ كَثِيــبِ ،
وقَوامِ غُصْنٍ في الثياب رَطيبِ »

تأمل قوله في الثياب تأملا

« وبِذي الأراكةِ مِــن مَصيفٍ لابسٍ
نَسْجَ الرِّياحِ ومَرْبَعٍ مســتهْضُوبِ »

أي كم بذي الاراكة من دار عفاها الصيف فهي قفار وأخرى فيها الربيع تهضبه الامطار كلتاهما كانت منزلة من نوار او زينب ايا شئت

دِمَنٌ لزَيْنَبَ قَبْلَ تشتيتِ النَّــوى
من ذي الأراكِ بزَيْنَبٍ ولَعُوب
هَلْ تُبْلِغَنَّهُم السَّلامَ دُجُنَّــةٌ
وَطْفَاءُ سَارِيَةٌ بريح جَنُــوب
فسَقَى الغَضَى والسَّاكِنِيه وإنْ همو
شَبُّوهُ بين جَوانِحٍ وقُلُــوبِ

من ساكنو الغضى ... فليت الغضى لم يقطع الركب عرضه ...

أنكرت عليها تكرار كلمة « النابالم » وحدثت علينا ضغوط ....

كتبوا في الجريدة تربرابو تربرابو
ومَعْناها بلَفظِ الإنْسِ هذا المَرْءُ كَذَّاب

كنت ذا سبح رغيب اذ أنت بالشباب شبيب ولا زال من حولك أصحاب القليب

عَدِّ عن ذِكْرهم إلى رَبَّةِ الخــا ل التي ذِكْرها صَبَاحٌ ونــور
أنْتِ لم تُخْلَقِي لِسَمْتِ ذواتِ السَّمْتِ بَلْ سَمْتُكِ الدَّلالُ الكبيرُ
أنت فتّــانة وصَــنْجٌ بكَفَّيْكِ وأعْــوَادُ صَــنْدلٍ وبَــخُــور

قالت هاك صوتي .... أنا أعلم أنه أراد كتمان الحقيقة منذ التوى هــذا الالتواء .... « والذُّلُّ يُظْهِر في الذليل مودة » . هكذا قال أبو الطيب ... لا يلدغ مؤمن من جحر مرتين ... ما أصدق خَبَّرَ الهدهد حيث قال نافع لابن عباس قِف ياوقاف فقال له إذا وقع القدر عمي البصر .... كيف صاروا الى تقديم هذا الوراء ... وكيف انبعثت هذه الرمم من المقابر عليها أكفان العار إعصار فيه نار ... جعل المُبشر الآثم ينظر في فهرست القرآن ليبرهن انه ليس فيه آية تمنع التسول لذلك أكثر الشحاذين في هذه البلاد مسلمون .. وغضب

حين قرىء عليه « لا يَسْألُون النّاس إلحافاً » .. أهذه في القرآن . لا ياأبانا .. هذه في خُطْبة الجَبَلْ .. شيء عجيبٌ بياض جَمَدة اللّبن الصفراء بالسكر وق الشكولاتة المحشوة .. أحيانا يحشونها بالشراب الزاكي العتيق المحروق فيه السكر مثل رحيق الشرتروز أو البندكتين ... وأحسب أصل هذا من كئوس الفُرْس ودنان الخلائف بقرطبة وبغداد

« سَقَتْني بها القُطْرُبُلِّيَّ مـليحـة

على كاذبٍ من وَعْدِها ضَوْءُ صادِق »

أنت ضاوية يا هناة الا تمتلئين شيئا .

قال اللبن طعام الاطفال واللحم طعام السباع ونحن نأكل النبات وكان النباتي من الطعام كثيرا عند جيش سعد بالقادسية الا أنهم اشتهوا اللحم فأخذوا من بقر السواد ... كاوان .. ورمى بالنعمان تحت أقدام الدبابات ولو عُطّلت منها واحدة لاستنفدت كل ما بالمنطقة الصناعية من خبرات كالذي فَعَلَتْ نَاقَةُ ثمود .... يا أيُها الّذين آمنوا أوْفُوا بالْعُقُودِ ... هَمَسَتْ من الأيسكريم قد ذَهَبت الغيرة على الحريم .. هل شربت من ماركة الحَجَل يا بطل .. « كلُّ من سار على الدَّرْبِ وصل » ... هكذا قال ابن الوردي ولا زلنا في الطريق والخُبْث في الناس عريق .

بعضهم له رواء ومَتَبْطَرانيةٌ ومُنْطوٍ على ضعف من عدم الثقةبعيد الاعماق وطموح الامعاء وطمع ومنهما ينشأ داء الحسد الذي ينهك الجسد . وصاحب الحسد أبدا سطحي الافكار يركز ذكاءه في المكر الهادم ويعجز عن إحكام البناء .

لعلك باخع نفسك ألاّ يكونوا مؤمنين .

قالت أريد أذهب الى هونولولو حيث يأكل القِرْش الناس حيث عَشِق المجرم عشقا كفر عنه الذنوب كأنه وقف عند ميزاب الكعبة . قالوا والكعبة تنفي من لا يريد الله أن يرى وجهه والعياذ بالله . قالوا إن الصف الثاني أخطر علينا من الصف الأول ... قالوا لو لم يسترح جُنْد الروم قبل الهجوم على صف هنيبال لكان من أمر زَامَا غير الذي كان ... وفي التيوس زهومة لا تخفى فاعجب كيف كانت تُعْجِب الفينيقيين ... ما أفظع قَذْفَ ذلك الولد في نار مُلُوخ وإطعام أبيه الجائع من لحم الساعور .. كل ذلك قضية جنسية على الارجح ، قصة قابيل وهابيل والغراب والتّراب ومواراة السّوأة التي خصفا من قبل عليها من ورق الجنة . لم يأت فرويد بجديد .

هيا تَسْبَحْ . زعم ذو الرمة ان الرمل كأوراك العذارى ، كان دقيقا باقِعَةً . وكذلك النيل عند أول التحاريق أو أوساطهن اذ يخالطه صفاء الرمل الغريق واذا هبت له ريح الشمال صارت له أمواج بيض الاكاليل .

قالوا نهر المسيسبي أطول أنهار الدنيا.. لو كَتَبَ الجغرافيةَ آنئذ آلُ موسكو لقالوا الفولجا وأضافوا اليه نهر موسكبا رِفْداً لطوله كما أضافوا نهر مِسُّوري. قال هيرودوتس إن نهر الدانوب أطول أنهار الدنيا إلاّ أن النيل أكثر نفعا منه إلا أنّه ليس بأكبر .

« مَقْدُونيا والمُسْلِمُون عَشِيرَةٌ كيفَ الخُؤُولَةُ فِيكِ والأعْمَامْ »

كان شوقي رحمه الله أصدق غريزة نفس من كثير ممن جاءوا بعده من أصناف المتشاعرين والمنسوبين الى الفكر .

قُلْ مُفْرَدٌ قُلْ بائِسٌ قُلْ كَبِير
قَدْ قَبّلتني وعَلَيها العَبِير

طال العهد بهذه القطعة الصالحة Jeny Kissed me

وفي الشعر بدائع .

وقالت الموسوعة البريطانية وهي تطبع في أميركا ان الأمزون لم تتم مساحته بعد وهو نحو من تسعمائة وثلاثة آلاف ميل والميسيسبي الآن دون ذلك ثمانمائة و دونها او دون ذلك وثلاثة الاف والنيل مائة وأربعة آلاف وشيء بعد ذلك قليل . قالت الموسوعة يظهر أن النيل أطول أنهار العالم أخرى الليالي — After All هل قالت ذلك ؟ — وتنتظر ان يزيد عليه الأمزون بعد المساحة كما زاد عليه المسيسبي من قبل كما كان سيزيد الفولجا كما فعل هيرودوتس الصادق بالدانوب ...

« علا زيدُنا يَوْمَ النّقَارَأس زَيْدِكم

بأبْيَض ماضي الشَفْرَتَيْنِ يماني »

ولعل شلالات النيل الازرق زمن الفيضان أكبر وأروع من شلالات نياجرا . الذي كرمل العذارى هو زمن التحاريق . ولكن بعد أن يلاقيه الابيض يكون زخّاراً له حُبُكٌ والشاطيء مشرف كالصخور ... أنا العذراء الربه ... أنا صاهبة ... أحسب المسعدي يُخْطِئُ حين يَجْعَلُ صيغة فعلاء توصف بها الجموع وهذا أمرٌ ينبه إليه حذاق النحاة ... وهو من الوعاة ... انت داعي الدعاة ... انت مكانك كبير خطير لو ينصف المنصف بضم الميم اسم الفاعل من أنصف وبكسر الميم من نَصَفَ القوم يَنْصُفُهم تخدمهم اي لخ سون وهو الولد وإن يَكُ كبيرا ويقول له الانجليز بوي Boy ويجمعها لمستعربة بويين .. إن كتاب الأبْرارِ لفِي عِلّيِّين .... أنت زيتونة :

قالت كَبِرْنا حَنَانُ وهي تُنَــا جينا وكُنّا لها مُحِبِّيـــنا

قالت كَبِرْنا وإنمـا نَصِجَـت لِلْوَصْلِ تحْيَا بـه وتُحْيينا

قال عبيد الله بن قيس الرقيات

« ويَقُلْنَ شَيْبٌ قَدْ عَلاكَ وقَـد كَبِرتَ فَقُلْتُ إنّـه

وإنما ذكرك ابن قيس وزن المنسرح وقلبك له منشرح . . . يا زيد هـل أنت صَيْد أم قَيْد أم عَبْدٌ أم عبيد أين الوليد بن عُبَيد ؟ . . .

« ولَعَمْر الحبيبِ إنّ اقترابـاً مِنْهُ لو تَسْتطيعه لقَريـب
ما أبالي إذا أخَذْتُ بِحَبْـل منه ما أجْمَعَت علي الْخُطُوب »

وكيف تجمع وأنا آخذ منه بحبل من بعد ومن قبل والله جامع كل شمل :

مالك يا فَارِسُ ثَلْجُ الأسـى فَوْق حِجاجَيْك وطَلٌ السّقام
وخَدُّك الشّاحِب ما بَالُـه وردتـه قد آذنت بانْصِرام
يأيُّها الفارِسُ ماذا عَـراك وَخَـدُّك تَسْعى هائماً في أساك
قد حسرت عن غَمْرَةِ الْبِرْكَةِ الْخُضْرَة لا طَيْرَ يُغَنّي هُنَاكْ
لَقيت في الرَّوْضَةِ جِنيّـة كَامِلة الْحُسْنِ فَتاةٌ لَعُوب
طَويلَةَ الشّعْرِ وخُطْواتهـا خَفِيفَةٌ والطَرفُ وَحْشٌ وَثوب
وشّحتها ثُمّ عَلى رَأسِـهـا وَضَعْتُ إكليلا وصُغْتُ السّوار
ونَظَرَتْ لي بعيُونِ الْهَـوى ثُمّ سَمِعْتُ الْعَبَراتِ الْحِرار
وحَمَلَتْني بِقُواهـا الى مَنْزِلها المَسْحُور والْحُبُّ دار
وَقَبّلتني أرْبعاً ثُمّ أغْضى طَرْفُـها الْوَحْشِيُّ نِعْمَ الْخِمَـار
وجَعَلها كيْتس قاسيَةَ لا رَحْمَةَ لها

والْغَادَةُ الْحَسْناءُ ما قَلْبُها بِرَاحِمٍ إني إليها أهِيـم
كم قد رأى جَنّتها طائِفٌ مِثْلي فألفَى نَفْسَه في الْجَحِيم

والغادَة الْحَسْنا بلا رَحْمَـــــةٍ   قد تيّمت قلبي فَقَلْبِي سَقِيـــم

وأحسب أن كيتس أطال شيئا والمعنى الذي أراده هو موضوع بركـــة الاوزين من بَعْدُ .

ويا سَمَكُ يا سَمَكُ هَلْ أنتَ عَلى الْعَهْدْ

ألا أيتها الرِّيحُ التي تَأتِي مـــن الغَـــرْبْ
وقد أيْقَظتِ الْبَحْرَ بتيّاراتِه الْغُلْب
ومن صَوْتِكَ غَوْرُ اللُّجِّ قد أُفْعِمَ بالرُّعْبِ
ألا يا ثَوْرَةً رَعْنَاء يا لَيْتَكِ فِي حِزْبِي
أنادِي فاسْمَعِيني واعْصِفِي نَبْضُكِ في قَلْبِي
تَعَثَّرت على الأشْواكِ من أيامي النُّكْب
وأدْمَتْنِي وَعَزَّاني الْمَدَى من رُوحكِ الرَّحب

قال المستر هارْت وما مَعْنَى ان يَعْثُر على أشواكِ الحياة ويَدْمي .. خطابة .. كان ورْد ثورْث أحب اليه ... ولعله أشعر ...

تِلْكَ فَتَاةُ الْجِبال
نافِرَةٌ كالْغَـزَالْ
وحشيّةٌ في الجَمَال
هل يُسْتَطاع الْوِصال
والله نَخْشَى المقال
ولَوْمَ أمِّ العيال
وزَارَ طَيْفُ الخيال
أحْبِب بذات الدلال

هذا لسان حال ورد ثورث الاّ أن لسان مقاله :

ألا ترنو إليها وحدها العذراء في الحقل
من القوم الشماليين والحسناء في شغل
تغني وحدها فاذهب كذا يا صاح أو قف لي
وقد تحزم بعد الحش من سنبلها الجزل
وقد غنت بشجو لحنه ليس بذي مثل
ألا فاسمع فقد أفعمت الوادي بالوصل
وما البلبل في دار بني العرب يضاهيها
اذا غنى لركب أدلجوا عند فيافيها
ومهما يك ما غنته من كنه معانيها
فقد أنصت والانغام في قلبي أحويها
اذا أصعدت في التل وما غيري يرويها

انه أشعر الرومانتكيين ، اللهم إلا أن يشاركه في بعض ذلك كولردج . قالوا يترجم الشعر الانجليزي بالأسلوب الجاهلي .

وضحكوا الذين يكرهون النحو والصرف وأوزان الخليل ويعجبون بعد لم يذبح اليهود رجال العرب ويستحيون نساءهم وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم . دعني من النفاق فلست من رجاله وما هي من نسائه بنت الملك الغيور . هل قرأت ألف ليلة .. لا ريب أنها كانت أول محاولة جادة للقصة العصرية ثم جاء بوكاشيو وشوسير وفيلدنج وجين اوستين وزولا وزولو وكتشنر وعصفور من الشرق أما أهل الكهف فلا تعجبني والله المستعان ... قالت كل الرجال ذئاب ولذلك لا أركب مع رجل في سيارة لكن أنت حمل وديع . أنا مسكين . أنت مالك مسكين .. الكاف ههنا كقوله أريتك اذ هنا عليك .. وفي القرآن ثلاث ثنتان منها في الأنعام وذكر الطبري بلاك وبعمت وبئسك ولبئسك ثم زيد يا فتى كما يقول المبرد في الكامل فإن المقتضب

لا يستطاع .. بشيء يستطاع .... امرأة جزلة كالحساء الحار وصوتها جزل جهير ... وجاءت دختنوس بشَعْرٍ مستعار ابنة لقيط بن زرارة وفيها يقول:

يا ليت شعري عنك دَخْتَنُوس

إذا أتاها الْخَبَرُ البئيس

يا هَلْ تَشُقُ الْجَيْبَ أم تَميس

لا بَلْ تَميسُ إنَّها عروس

راجع رواية البيتين الثاني والثالث فهي مضطربة ههنا إذ ند موضع الأبيات ، لعلها في شرح المفضليات

زَعَمَتْ دَخْتَنُوس أني أهْـوى   أُمَّ حسان حسٌ للمِغْيـار
وأَبي كان عاشِقاً مِثْلَ عِشْقِيها ويُلْفَى صَدَاهُ في أشعاري

ستيود ينت

ستيود ينت كا . . . أمبيلو أمبيلامس . . . كثرت الدروس ومعها التهامس يا حمامتي . . . يا غمامتي . . . يا عمامتي . . يا أمامتي . . . أجاز الطبري إمامةَ المرأة . . . وأما الزبير بن العوام فكره صلاتهن في الجوامع . . . رضي الله عنه . . .

« إنَّ الأميرَ بَعْدَه علـيٌّ   وفي الزُّبير خَلَفٌ رضيٌّ »

الأمير والله صاحب البغلة الشهباء وأمه لاكت كبد حمزة . . . إعجاب وغَيْظ ورَحِمٌ ماسة . قالوا كانت عند الفاكه بن المغيرة وما كان لشخصيتها بأهْل . وكانت إذ بايعت ذات دخل . أَوَ تَزْني الْحُرَّةُ ، يا رسول الله .. صلى الله عليه وسلم

والذي عفا عن زينب بنت الحارث يحتمل أَوْقَ الجبال ، صلى عليه الله ذو الجلال

أوَما ترَيْنَ القَوْمَ أصبح عُودُهم ... خَرِعاً وأمسى رأيُهم مَسْلُوبا
يتَسرَّعُون إلى المغانم طالمـــا ... هابوا وليْسَ أخُو القِتال هَيُوبا
كانوا لعَمْرُ أبيك مِلْءُ قلوبِهم ... حُبُّ الحياةِ وكان ذلِكَ حُوبا
لا يرْغَبُون إلى الشهادةِ إنّهــا ... كانت كِتابَ العِصْمَةِ المكتوبا
لا يُتْبِعُون اسْمَ النبيِّ صلاتَهُ ... كَمَلاً ولكن لَفْظَها مقْضُوبا
يتشبّثون بسِيرةٍ عُمَرِيّـــةٍ ... سِتْراً لشكٍّ جَمْجَمُوه مُرِيبا
فِعْلَ اليَهُود بأنبياءِ كتابِهِــم ... كَيْ يَسْتَحِلّوا البَغي والتّخريبا
ولقد تَدَرَّعنــا بِحُــبِّ مُحمّدٍ ... وبه نَخُوض إلى النّجاة حروبــا
صلّى عليــه الله مــا فَتَقَ الدُّجى ... فَجْرٌ يُخالُ على الفَلاةِ لهيبــا
أذكَرْتَ إذ كانَتْ حياتُكَ ثَرَّةً ... بالصَّبْرِ إذ كانَ الشبابُ قشيبــا
إذ أسْرع اللوريُّ بين دكادِكٍ ... صُهْبٍ وأبصر ناظراك كثيبــا
والنّيل مُنْصَلِتُ الفِجاج ولم تَخَفْ ... كَيْدَ الدّخيل ولا تزالُ غريبا
أما الفتاةُ فإنَّ قَلْبَك عِنْدَهــا ... وتَعُدُّ ذلك رِزْقَهــا المكسوبــا
وإذا تَزُور فإنّهــا حُورِيّـــةٌ ... وَهَبَ المُهَيْمِن حُسْنَها الموهوبا
والعِطْرُ في الثّوبِ الزّكِيِّ تَشَمُّهُ ... شمّاً إليك وطاب عُمْرك طيبــا
أذكَرت مَنْظَر صائدينَ لِحُوتِهم ... ألْقَى يُجاذِب خَيْطَهُ المَكْرُوبا(١)
والنيلُ مُزْدَحِم الحياةِ بشَطِّــه ... لُجَجٌ تخَال رُغاءَهن لُغُوبــا(٢)
والقارِبُ المنهوكُ في مِجْدافِــه ... لَوْنٌ تَحَدَّر فَوْقَه مَخْضُوبــا
والكادِحُون كأنّهم لم يَعْلَمــوا ... أنَّ الفسادَ طَغَى وصارَ رهيبــا

ألم ألم ألم ألمص ألر ألر ألر ألر ألر حم حم حم حم حم يس ص ألم ألم ألم
ألر ألر ألر ألر ألر كهيعص ق ن طسم حم عسق. اللهم رب جبريل وميكائيل

---

(١) أي المشدود .   (٢) لغوبا ، تعبا .

وإسرافيل وعزرائيل الخ قال البوني إن هذا يكتب على بيضة بنت يومها وتُلّف عليه قطعة من أثر المطلوب وتدفنُها تحْت النار في حرارتها فإن المطلوب يشتعل قلبه بنار محبتك ولا يهدأ له بال ولا يقر له قرار إلا إذا حضر إليك . . .

حضر الرّهق الأسود أعوذ بالله . . .

قال البوني هيّجْ قلب كذا بمحبة كذا وخذ سمعه وبصره وقلبه ولسانه حتى يأتي إليه وألق المودة بينهما . ا . هـ . لماذا لسانه ؟

« إذا أردت ذلك فارسم الخاتم في جام زجاج بمسك وزعفران وماء ورد مع اسم المطلوب واسم أمه ثم امحه بماء واسقه منه إذا أمكنك والافرش منه على ثيابه فانك ترى عجبا . » . . . إذا أمكنك يا سيدنا . .

الله لا اله إلا هو الحيُّ القيوم . . .
مالِيَ . . . كَمْ أحمِلُ عِبْءَ الْغَرَامْ
يا جنّة الخلد ودَارَ السّلام
طال انتظارِها ويا شَدَّ ما يَلْذَعُني الشّوْق وقَالَتْ سَلام
أسْمَعَ خُطُوَاتٍ . . . ألا إنني صَبٌّ بها . . . زَادَ عليَّ الْغَرَام
يا حبّة الْقَلْبِ . . . ويا حبّةَ الْقَلْبِ . . . ويا غايَة نَيْلِ الْمَرام
ما هذا . . من هذا ؟

لعلّك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين . . .
قد أفْلَح المؤمنون . . .

يا حمامتي يا فاتنتي يا . . . وكأنها غمامة مزنة . . . أتسمعني ، قد وجدنا خاتم البوني نافعاً . . . ورأيت موج البحر يصطخب عند رمال لاغوس .

ولقد وَجَدتُ لكي أقبل ثَغْرهـــا   وقتَين لكنَّ الحياء رقيـــب

النور الأحمر قف . ماذا . . مخ العظام ؟

يَغْشَى لَهُ النَّفْسَ كالحُمّى ويُوجَدُ في
مُخِّ العِظام أُوارٌ منه أو وَ

هذا الحب . ماذا قال شكسبير

كَيْفَ الغَوايَةُ في الحُبِّ يا مُتَيَّم تَرْبو
هل في الشؤون من الرأس أم حواها القَلْب
وكيف تُولَد أم كيف رفْهُها يا صَبُّ
منشؤها في سوادِ العَيْنَيْن والطِّفْلُ يحْبو
ثم الرُّنو إليها يَغْذُو الهوى فَيَشِبّ
والحبُّ في مَهْدِ ميلاده ، كما لاحَ يَخْبُو

فمن مبلغ شكسبير

ما حَبُّ ليلى بخابٍ ولا هواها يموت
وقد يَرى القَلْبُ والعَيْنُ ضوؤُها مبهوت
وليس للرأي في الحُبِّ منزل فَيَبيت
ودارَ رأسيَ منهــا أُحبها ما حييــت
سَبْعين أَلْفَ ذِراع في البَحر ثَمَّ أبوك
فعَظْمه المَرْجـان واللُّؤلؤُ المَحْبوك
عَيْناه ما مِنْه شَيء يَفْنى فهل نَسْبُوك
يصيِّر البَحْر منــه فِلزّ شَيْء نَفيس
وأنْتِ يا حِبَّة القلب أقبلي ، خَنْدَريس
يا بِنْت عشرين من بعدها ثمانٍ وعشر
في شاطىء النّيل من رَوْض مُهْجتي لك قصْر

أما سرق شكسبير وصف كليوبترة كله مجازاً وبديعاً وخيالاً وصور؟

بلوتارك . . . حتّى النفس الشعري والوثبات . . . ماذا قال الحريري يا لك من خريج مارق . . . «أصْفَر ذِي لَوْنَيْن كالمنافق» . . . قل ابن الحريري هكذا نسبه ياقوت . . يا . . . قوت . . من أحلى الأسماء قوت القلوب :

أريد أمـــــــــوت   قُرْبك يا حبيبي قُوت

وقد أُوصِدَ النّفق المكْنون

كانت تلك محاولة في النغم . لو التزمت لعدُّوها فتحاً . . . وما عليك ألا يفعلوا فهي كذلك

البَدْر في البستـان   حَبِيبي يُعْجِبني
أصْفَرُ كالزَّعفران   صُفْرَتُه تُطْربني

أنا ميسون الرداح
من رآها قال آح

بعض العطر صارخ يكاد يصيبك منه صداع . ما أثقل فوشيه . وما كرهت إغماد شرلوت كرداي خنجرها في صدر مارا . . . ولا أنفك آسى على مصرع ماري أنطوانيت والحرس السويسري والملك الضعيف . . . إنك لا تدري . . . إنّ السلاح . . . حتّى هو العبقري تردد عن متابعة خطته الجريئة في معركة حياته الفاصلة ففاز دوق ولنجتون يا لبخت الذي أبدا هو مع أهل المكر والدهاء القديم . . . كم طاح من مثل أعلى تحت حبالات الكيد . . . ليم هنيبال على تردده دون رومة ولكل جواد كبوة . . . وهي معركة الإسلام والعرب ما زالت تدور منذ أيام مراثون وسلاميس . . . هذا بعيد ولعل إغ‍ريق زمان بيركليس كانوا بالعرب والفرس أشبه وتِلْكَ الأيام نُدَاولها بَيْنَ الناس . وليس ادعاء أوروبا أصول حضارتها في حضارتهم بكبير شيء إذ علم يونان كله من مصر وعلم مصر من ميراث سابق . وفوق كل ذي علم عليم .

يستفاد من هيرودتس أن معرفة يونان الحروف من الفينيقيين وإنهم أبناء

عمومة العرب وأخذ الروس حروفهم من يونان فعلموها التركمان ليبطلوا بها حروف القرآن . لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . تمد عير ندق . قالوا التاء الترك والميم المهدي والدال الدجال والعين عيسى والياء يأجوج مأجوج فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا . . إلا أن الأشهر أن يأجوج ومأجوج قبل عيسى ويقتلهم النغف وسياق الآية يدل على أنهم قريبون من الساعة . . . . الدال من ندق الدابة والقاف القيامة .

وطاليس وفيثغورس وأضرابهم أخذوا الهندسة والرياضة من مصر وكان ذلك أمراً مدروساً متقناً .

وما خلص ليونان إلا شعرها الجاهلي . . . أو ميروس ومن إليه ثم شعر المحدثين إلى يوربيديز وترجمةُ غلبرت مري لإلكترا جيدة مؤثرة . وقالوا كانت سافوا منحرفة لحرارة توديعها فتياتها . . . زعم المؤرخ المستشرق الدساس أن الإسلام دون المسيحية واليهودية في جوهر القيمة الدينية إلا أن شعره الصوفي أرقى شعر صوفي . . . أي الفارسي . . . أي العرب لا شيء . . . ما أبه الجاهل أن أدب الفارسية الإسلامي امتداد للثقافة العربية . . . واجتهد الدكتور أحمد أمين وأخطأ رحمه الله فله أجر . . . حتى الوزير ظنوا أنه مؤسسة فهلوية كسروية وقال تعالى واجْعَلْ لي وَزِيراً من أهْلي هَرُون أخي . . . كلا لا وزر . . . أرأيتك إن وصلت إلى النتائج قبل التحليل والبحث كيف كيف فكرك مُغْلقاً .

من قرأ شعرك ظن ليليات نسيبك كلهن ماجنات كما ظن جبُّور في كتابه عن عمر بن أبي ربيعة . . . يا ماجنة . . . ووب علي . . .

كاد سعد بن معاذ يسبي هنداً وصواحباتها يوم أحد . . . هلم إليَّ يا بن مُقَطّعة البظور . . وكان ذلك العَهْدَ به .

« لا ألوم النفْس إلا أنّـــــا   لو كَرَرْنا لفَعَلْنا المُفْتَعَــل »

وهو هنا يلوم أبا سفيان وقريشا إذ لم يؤكدوا نصرهم بفتح يثرب واستئصال الإسلام

«ثم خُروج الدّابّة الغريبـــــة من الصَّفا بهيْئة عَجيبـــة»

لم يعجبه منظر غَوْر خائن على صفاء لقاءة مفتعل .. كما فعلت ما لو علمته سينهاها عنه لاعرضت وقد علمت أن سينّهاها لو سألته ... وتهللت من الظلام ببرق لماع من بعيد ... هأنذا أعتذر ...

كتابك هذا عميق .

نيجريا بلد عظيم يا أصحاب الكهف والرقيم ... ما تأويل ما استفتحت به اليوم ... كم أنت صابر وعما قليل ظافر ...

ما أكثر ضروب الحوت فيما بين القلزم وبئر برهوت ...

تجلجل أجراس الكنيسة إنّـــني ليُطْربني صوت الْمُؤذّن بالفجر
وقد جَحَد الأقوام فَضْلي وإنني لأرجو من الرحمن عاقبةَ النصر
ألا بلّغا عني المليحـــة أنّـــني خبَأْت لها تقْبيلةَ العمر في ثغْري
ألسْت ترى هذا البيَان يُطيعـــني ولكنَّ أهْل الجهل ما قَدَروا قدري
سأعلو عليهم بالذي من عطائـه بيَاني ويُلْفى الاسم الاعْظَم في سطْري

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً .

(١١)

روى السّهيْلي في الرّوْض الأنُف

« يا مَسَدَ الْخُوص تعوّذ مني

إن تَكُ لَدْناً ليّناً فإني

مَا شئْتَ من أشْمَط مُقْسَئِنّ »

أما الخوص فما لان من سعف والمسد الحبل المصنوع منه وقائل الأبيات فيما ذكروا أعرابي يمتح بدلو يقول للحبل إن تَكُ لَدْناً غَضاً ليّناً فإني كما ترى شَيْخٌ أشْمط مخلوط سواد شعر الرأس ببياضه مقسئنٌ قديم هِمٌّ بكسر الهاء وتشديد الميم . وفي الأبيات كناية كما لا يخفى وإلا فما معنى قوله : تعوّذْ منيّ . وفي قصة سلمبو أن شيخاً مقسئنا يقذف بفتى غض قربانا للسعير . .

وكذلك زَيّن لكثيرٍ من الْمُشْركين قَتْلَ أَوْلادِهم شُرَكاؤُهُمْ

وأنت تعلم قراءة ابن عامر ههنا إذ بنى الفعل للمجهول وجعل قوله تعالى « قَتْلُ » نائب فاعلٍ مرفوعاً وجَعَلَ « شُركائهم » وهي بالياء في مُصْحف عثمان رضي الله عنه مضافاً إلى « قَتْلُ » فاعترض « أولادَهم » بين المضاف والمضاف إليه وهذا جائز عند العرب وقد نصب ابن عامر الدال من قولـــه تعالى « أولادَهم » معمولا للقتل وعاب ابن جرير هذا من قراءة ابن عمر وتبعه الزمخشري . واعترض جماعة من العلماء عليهما تدينا أن يكون إمام

سبعي موضع تخطئة . ولابن جرير والزمخشري فيما ذهبا إليه وجه جيد إلا أن كلام العرب الفصيح منه ما يُقَوِّي ما قرأ به ابن عامر رحمه الله . . . من ذلك أبيات الشواهد المرويات . . . كقول الآخر :

« فزجَجْتُها بمَزجّةٍ زَجَّ القَلُوصَ أبي مَزَادَةْ »

أي زج أبي مزادة للقلوص . وقول الآخر :

« كما خُطَّ الكتابُ بِكَفِّ يَوْماً يَهُودِيٍّ يُقَارِبُ أو يُزِيلُ »

وقد اقتدى أبو الطيب رحمه الله بقراءة ابن عامر حيث قال :

« حَمَلْتُ إلَيْهِ من لِسَانِي حَدِيقَةً

سَقَاهَا الْحَيَا سَقْيَ الرِّيَاضَ السَّحائبِ

وأبو الطيب في اللغة مجتهد وفي اقتدائه بقراءة ابن عامر استحسان لها . . والبيت جيد . ومذهب ابن جرير في عيبه قراءة ابن عامر جار على أصوله في الأخذ بالأقرب الأيسر في اللغة والأشهر في الاستعمال . وكان حق الزمخشري ألا يتبعه لأنه كان رحمه الله ذا كلف بأصناف من وجوه فصيح القول هذا منها بلا ريب . « ولكلٍّ وجْهَةٌ هو موَلّيها فاسْتَبِقُوا الْخَيْرات . » يذكر منذ عهد الصبا أن هذا وقف لازم . ألم نَشْرح لَكَ صَدْرَكَا . . هكذا كان يقرأ تلاميذ معلم خرشي الثاني . . . يترنمون بنور الإسلام ترنما . . .

شدت على يديك بمعنى قُبْلَةٍ خَضْراء الجبين . . .

توسلنا بالحبيبِ إليك يا مُجيب . . . هل رأيت النِّيل عند السد العالي . .

ذَبِيحَ الماءِ كالْوَدَجِ الْمُذَكّى ترى في هَدْرِهِ الغَضَبَ التليدا

قلَّ أن يسلم الطَّبْعُ هذه الأيام من الأخطاء .

هل القمح مر . . .

كُرٌّ وأنْتَ حُرٌّ . . .

والجناحان يرجُفان من الفُولاذ كالرّيش والشّباب يَغُرُّ
ورأينا مَدَى مَدينَة تَشْقَنْدَ وفيها الدُّخان والآجُرُّ

إنها من العجائب . هل سمعت بها . لا تمزح مع هؤلاء الذين يزنون كُلّ كلمة بميزان الذهب وهي بهرج . . . أنتِ ماجنة وللطّيب تحت رجليك عاجنة مثل جواري المعتمد بن عباد في نفح الطيب عند معلم جنيد

« كُلُّكم يَمْشي رُوَيْدْ   كُلُّكُمْ طَالِبُ صَيْدْ
غَيْرَ عَمْرِو بنِ عُبَيْدْ »

قالوا كان أبو جعفر المنصور يتمثل بهذا وسيفه يقطر دما

« سامِحِي أم خالد »

لم يَقُلْ سامحي . . . « ربَّ ساعٍ لقاعدِ »

« إن تِلْكَ الّتي تَرَيْنَ سَبَتْني بواردِ »

وغابت . . . وطابت . . . وهابت . . . وثابت

سرعان ما يشيخ القِشّاء

« إذا جَلَسْتُ على الأَنْمَاط مُتّكِئاً   بِدَيْرِ مَرّانَ عِنديَ أمّ كُلْثُوم
فَما أُبالِي الّذي لاَقَتْ جُموعُهمو   بالقَنْدَقُونَة من حُمّى ومن مُوم

قافية علقمة بن عبدة على اختلاف المجرى . . .

لقد كبرت حقا بنت الريعان ما أعجب أصناف الانسان ولا زالت صاحبة ابن الحطيم بهنانة . . . قال أبو الذيّال من يهود في طبقات ابن سلام

« دَارٌ لِبَهْنَانَـــةٍ خَدَلّجَـــةٍ   تَبْسِم عن باردٍ من البَرَدِ »

قال محمود محمد شاكر في الهامش امرأة بهنانة طيبة النفس والأرج حسنة الخلق ، لينة المنطق ، ضاحكة الثغر . امرأة خدلجة : ممتلئة الذراعين والساقين

ريا متثنية في لينها . والبرد حب الغمام . وبارد البرد جامده . فهو ناصع متلألىء ، ورواية أبي الفرج « جامد البرد » وكنت أحفظه قديما ، ولعله مختلط على ناصع البرد . ا . هـ .

وما أشبه أن يكون قوله بارد أي عذب المقبل بارْده خصره يروي ذائقه ـــ فالبرد جامد لا يخفى فينبغي أن يكون في قوله بارد زيادة معنى والله أعلم . والشرح بعد واف جيد . وصاحبة ابن الخطيم عمرة بنت رَوَاحة أخت عبد الله بن رواحة وفيها يقول :

« وعَمْرَةُ من سَرَوات النّساء تَنْفَحُ بالمسْكِ أَرْدَانُها »

ويقول :

« تَراءتْ لنا كالشّمْسِ تَحْتَ غَمامة
بدا حاجبٌ منها وضَنّت بحاجب »

« ولم أرها إلا ثَلاثاً على مِنىً وعَهْدي بها عَذْراء ذاتَ ذوائب»

ذلك عهد بعيد ... قالت ثابت ويزيد ... ماذا صنع هتلر في ليلة السكاكين الطوال

رأيت جِبالَ الألْبِ وهي كأنّها سكاكِينُ في نَحْرِ السماء نَوَاحِر

يأيتها السمكة أنت كثيرة الأضراس . . . أنا تمساح . . . أنا ثعبان بأربع أرجل سام جداً . . سام أبرص . . . هل تأكلون أم حُبَّين هذا من أسئلة الجاحظ لتَهْنِ أمّ حبين العافية . . . نحن وفد التهنئة . . . انظر إلى الباب . . . انظر هنا . . . انظر هناك . . . مسكين الملك لير ، والدمع عليه غزير . . . ما يَجْسُرَنْ مِنْ رَجُلٍ أَجْسَر

تَقَدّمَنْ كالأسَدِ القَسْوَرِ
كالدُّبِّ في رُوسِيَةَ المُصْحِرِ
كالنّمِرِ النّكاسِرِ واسْحَنْفِرِ

كُنْ كَيْفَمَا شِئْتَ على أيّما هَيْئَةٍ مَرْهُوبٍ من المَنْظَرِ
ولا تَكُنْ لي شَبَحاً هكذا يَذْعَرُني من قَبْلُ لم أذْعَرِ

لعلّ قِصّةَ مَكْبِث أجود مآسي شكسبير . في أوثيلو خطابة كثيرة . . . . خطابة بليغة ولكن ثم جهد

لَقَدْ كان بلائي حَسَناً والقَوْمُ يَدْرُونَــه
ألا دع ذا وفي السِّفْرِ الذي سوف تَخُطُّونَهْ

ثم أخذ في الطعن على تُرْك المسلمين ، وقال تعالى « ولا تَسبُّوا الّذين يَدْعُون من دون الله فيسُبُّوا اللهَ عَدْواً بغير علم » فقد انتهينا ولم ينتهوا . . . ما الزبانية . كأنّ سفينة بشراع . هل رأيت الزورق في حمرة التيار . زعمت الدكتورة نعمات أحمد فؤاد أن أصداء النيل لا يصف النيل حين يلبس الجبة الحمرا لأن أهل السودان يعتمدون على المطر . . . وصف الدميرة في الأصداء كثير

أحِبُّ النِّيل في الصَّيْف وقد زَمْجَر واهتاجــا

وليس أحد أكثر اعتماداً على النيل من السّاكين به بين سوبا القديمة ودنقلة . . . أو دمقلة كما قال ياقوت . . . وفي عيشهم شدة . . . « وليس كُلّ النّوى تُلْقِي المساكينُ » . . .

لا نفتأ نتحسر على الماضي إذ لا يرقا دمع من بكاء الشباب والأوطار الذاهبات . قالوا سنة الكلب عشر من سني البشر فكم سنة الخنزير يا ممسوخيه ؟ كم اليهود شاكرون لافتراق أصابع الدجاج حتى لا تحرم ولذلك يهيئونها مطبوخة وتباع لتؤكل . . . صوصيم حلال . . أي سجلك حلال من الفرنسية « سوسيز » والعربية « وإيم » علامة الجمع في العبرية ومنها الاسم القبطي « صاروفيم » . . ودعا الإمام في خطبة الجمعة للمسلمين والمسيحيين معاً ، لعله يحسب أن المسيحيين شيء آخر غير النصارى إذ لا يعقل الدعاء للنصارى

من على منبر المسجد: « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء » . . « وقالت النصارى المسيح ابنُ الله » . . . فالمسيحيون لعلهم شيء غير النصارى . . . هم أهل الكتاب . . . فلما أحسّ عيسى منهم الكفر . . « عيسى سبيلُك رحمةٌ ومحبّة في العالمين وعصمةٌ وسلامُ »

ولكنّ شوقيا لم يتصبّر على ذلك كثيراً . . . « يا حاملَ الآلامِ عن هذا هذا الورى ؟ »

والضحية والصليب والخبز والكفاف والحمل وهذا الذي من عند الرب أتى وهو المنحمنا . . . بضاعة الشعر الحديث لأن كارل ماركس من بني إسرائيل تحمله الملائكة . . . تمد عير تدق . . . الراء رفع القرآن من الصدور فيصحون فلا يجدونه في السطور ولا في الأشرطة المسجلات . . وقوم من القرّاء يبالغون في الألف بعد الطاء والقاف فيجعلونها فخمة أعجمية وذكر ابن الجزري رأيَ من قال لا ألف مفخمة في القرآن تنبيهاً على أنها إنما تُفَخّم شيئاً بنطقها على الطبيعة التي لها مع المفخّمِ قبلها وترق مع الرقيق ؛ قَوْلُك لانَ غَيْرُ قَوْلِك طَالَ . . . وإنما الألف المفخمة حقاً هي ما ذكر سيبويه من لهجة قريش في الصلاة والحياة والزكاة وأشار إلى ذلك الزمخشري في التفسير وهي في المصحف بواو بعد اللام والياء والكاف ، علامة ذلك فيما يبدو والله أعلم . . وقوم يقرأون يلوكون ذلك كأن في افواههم برقوقة كما تقول العبارة الأفرنجية اللاذعة تنتقد التقعر والحذلقة . . . ونغم الشيخ الحصري لطيف فيه من الخشوع والشجو . . . وبعض رتابة ولاسيما عند رؤوس الآي وفي بعض الألفات مَضْغٌ وهو بعد عمل مفيد إن شاء الله فجزاه بذلك خيرا . . وقوم موهوبون في القراءة كأن أصواتهم مزامير . . . وزعم القاياتي في قصيدة على الياء أن أصوات آل رفعت كالقمازيّ . والنون نار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس . . . هي نار بركان أو لعلها نار البترول وهي ترحل الناس قولاً

واحداً . . . والدال ذكرناه آنفاً وهو خروج الدابة تكتب على جبهة الكافر كافر . . . واتفقوا على أن طلوع الشمس من مغربها من أشراط الساعة رواه البخاري عن أبي هريرة في تفسير الأنعام : يَوْمَ يَأْتي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إيمانُها لم تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ . . . » قالوا ذلك حين طلوع الشمس من مغربها . . . . تخرج بعد ثلاث ليال وينقطع أمل الغفران . . . كَثُرت العراقِيل وعند الله الْفَرَجُ القريب يا سميع يا مجيب . . . قبليني قبلات . . . هذا كثير في الغناء الأفرنجي آبِدَةٌ عند العرب :

«حَجَّ وأوصى بِسُلَيْمى الأعبُدا
ألاّ تَرَى ولا تُكَلِّمْ أحَــدا
ولا يَزَلْ شَرَابُها مُبَرَّدا »

وما كان مبرداً جداً هذه المرة وكلهم مستعدون لخروج . كان أصيلا . كانت أصيلا . وأين العطر . صاحبتك هذه تتبرج . قالوا واختبأ لها وغمزها إذ مرت تريد المسجد وهو بعلها فامتنعت من ذهاب المسجد بعد ذلك لفساد الناس . كانوا يُصَلُّون معاً رجالا ونساء وفسروا على هذا « ولَقَدْ عَلِمْنا الْمُسْتَقْدِمِين منكم ولقد علمنا الْمُسْتَأخِرين » وفتح الكتاب وإذا « ادْعوهُم لآبائهم » وإذا بالتلفون يدعوه إلى أبيه واستفتح « ويَدْعُو الإنْسان بالشّر دُعاءه بالخير » فما يدري أشرٌّ هو أم خير . . .

« لَعلّكِ إن صَرَمْتِ الْحَبْلَ مِني كَذاكِ أكُون مُصْحِبَتِي قَرُوني

لست أنا مُهِماً يا هذا . . . . وتَعِظُه بإيقاظِ الضمير . . . . إنني أكْرَه خيانة الثِّقة والخداع . . . سامعةُ الأغنية العميقة فتَفَجرت في قِصَص ده ـ لورنس القصار ولا زال طَيْفٌ من ذلك الزمان البعيد يُلِمُّ في هذا العيلم الْمُدلَهِم . . . بيننا العهود وعنك الوِرْدَ نَذُود وعسى أن تجود وأن نسود ثم نعود . . . يا وَدُود

جاءَتْ إلينا بابْنِها وبتَفَلْ

ذاتُ الوِشاح والجَبين والكَفَل
وشفتاها زَنجَبيـــلٌ وعَســـلْ
وقد تراءتْ بحِصَانٍ وعَطَلْ
وقد رأينا طَرْفَها فيه الكَحَلْ
قد حَذِرَتْ من أن نُبادِرَ القُبَلْ
وأن يَكُونَ الحُبُّ بينَنا اشتَعَلْ
كادت لنا بكَيْدِها ولا عَذَلْ
وكلُّ من سارَ على الدَّرْبِ وَصَلْ .

مذكرات بوثويل عن خويصة نفسه أجود من ترجمته الدكتور جونسون على جودة ما هناك إلا أن ثقل الجد حلية عيب . . . . ما يقول أهل النحو في هذا . . . . مُزَّة إوزة . . .

« عُومي يا ألْ وزَيـــن
خَلّسي حقُوقُـــــهْ »

يجعلون الصاد من خلصي سينا . . . . وأريد منك المسَّ والتقبيلا . . . والعرب تقول وزينة في لإوزة

يا أُمَّ حسّـــانَ أنْتِ وزِّينـــــــه
يا أُمَّ حَسّانَ واشتَهيْتُك من أعماقِ نَفْسي وأنتِ وزِّينَــه
يا أُمَّ حَسّانَ لا سَــبيــلَ إلى السُّلْوانِ إنَّ النُّفُوسَ مَقْرُونهْ
والحُسْنُ حُرِيّةٌ وأنتِ بــه فاتِنَةٌ لِلقُلُوبِ مَفْتُونَـــةْ
رَبّةُ تاجٍ أبْهَـــى من العَـــاجِ في اللّوْنِ ومِثْلُ السِّراجِ والتِّينَهْ

لدى شاطىء اسكندرية ورمال البحر يخفق من وراء عهدهن النخيل . . . تضرب لك الأمثال بالإخراج الماهر . . . . « كَمِ العُمْرُ باقٍ والمَدى مُتَطاوِل » . . .

لو كان في العُمْر مَدَى أو مجَالْ
فالْخَجَلُ الْبِكْرُ سَبِيل الْوِصَالْ
لكنّني يا مُشْتَهَـاةَ الْعَبِيرْ
أبْصِرُ طَيْرَ الدَّهْرِ هَذَا يَطِـيرْ
والْوَقْتَ لا يَلْبَثُ حتى يَسِيرْ

مَرْكَبَةُ الأيّـامِ تَـدْنُوألا تَسْمَعُها تَدْنُو بِوَشْكِ الرَّحِيلْ
ثَغْرُكِ قَد طَال دُعائي لَـهُ سُلاَفَةٌ مِزاجُها زَنْجَبِيلْ
هاتِيه . . . دَمْ . . . دَمْ تُبْتُ يَا سَلْسَبِيلْ

قد كتبت لي حُرَّةٌ لَفْظُها
أعْذبُ مِن كَأسِ بِيرا بَرُود
تَشْربها في رِحْلَةٍ عِنْدِ رَمْلٍ فيه أُنْسٌ حضرتهالسعود
ما هذهِ الدُّنْيا بدارٍ ولكنيّ بذاتِ الْخَالِ حُبي شَدِيدْ
شَدَّت يَدي جَارِيَةٌ نَهْدُها نَهْدُ كَعابٍولَدينا مزيد
لكنَّ حُبيِّ للّتي حُبُّها تَيَّمني لا زال فيها يَزيد
قد سايرتني ذَاكَ لي آيَةٌ يالَصِراعٍ يا لَهذي الْقُيودْ

يـأيهـا الْفَـارِس مـاذا عَراك
وحْدَكَ تَمْشي في شُحُوبٍ تَهِيم
والغادَةُ الْحَسْنا بلا رَحْمَـةٍ
ما قَلْبُها فاسْلُ بقَلْبٍ رَحِيـم

قد كَسَفَتْ شَمْسُ الضُّحا حِينَما أشْرَق من لَيْلَى سَوادُ الظَّلامْ
ويُوسُفُ الصِّدِّيق في السِّجْنِ قَدْ علّم أهْلَ السِّجْنِ دِينَ الْكِرامْ
وإنَّ قَـلْـبي لبهـا مُغْـرَم إنَّ الحجا يَكْبَحُ هَذا الْغَرامْ

أتشتهيهــــا إنهــــا مُشْتَهَاةْ
وأوّلُ الْحُبِّ التقـــاءُ الشّفَــــاهْ

لقد رأينا بياض العسل مع حمرة الكميت السمراء ذلك هو اللمى . . .

يا من حام حول الحمى . . . . يا إلهَ السما

يا إله السّما منّك – بتشديد النون – يا عكاشه همشري . هكذا كان يقول طيب الذكر أزرق أفندي رحمه الله . . . طابور الساعة أربعة بالضبط . كان ذلك زمان المدرسة الابتدائية التي هي الآن الوسطى . . . . ولو شاء ربك أعطى .. . استفتح : « وإنَّ الْيَاسَ لمن الْمُرْسَلين » . . . . يأسٌ مرسل . دع هذا ووطّن نفسك له .. . أتدعُونَ بَعْلاً وَتَذَرونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِين اللهَ ربّكُمْ وربَّ آبائكم الأولينَ » – برفع الله وربّكم قراءة أبي عمرو والْقَلْب من حب لَيْلى جمر .. ماذا قال امرؤ القيس : الْيَوْمَ خَمْرٌ وغداً أمر .

لك عندي مَكَانَةُ الْفَضْلِ والْعَدْلِ ووَمْضُ الفؤادِ بالتّذْكار
ولعَيْنَيْكِ أريحيّات سَبَحْجَاء وفي ثَغْرِكِ المليـــحِ الدّراري
ولكِ السَّمْتُ والذّكاء وميراثُ دَهاءٍ وأنتِ ذَاتُ وَقَـــارِ
وَوِدادي إلَيْكِ مَحْضٌ وإكراميك من بَعْدِ عَهْدِ طُولِ اختبار
طاب لّبي إلَيْكِ طيباً وحدّثْتُك أشْهَى الْحَديث في أسماري
والإنَاثُ الْمُهَذَّباتُ شِفَاءٌ لصدُورِ الْمُهَذَّبِينَ الْكِبَار

دَمْ . . .

هذا شعر جيد . . . هبيني فُسْتُقَةً يا فُسْتُق .

هل أنت في هذه المجموعة ؟

هل كلموك . . .

« كلمون هدّ ركني » . .

هكذا روى الطبري ، زعموا أنه من أصحاب يوم الظُّلّة . العلم الحديث يؤمن بالتحليل . حلّل هذا الأمر ولا شك أن هذا الأسلوب الموضوعي سينتهي بك إلى نتيجة حاسمة . حيّاك من خَلاَ فوه . . .

هؤلاء بناتي . . .. لقد كان يَأوي إلى رُكْنٍ شديد . . نسينا . . اعذرينا . . قالوا اعترفت سيراليون ببيافرا وأكثر أهل سيراليون مسلمون إلا أن التبشير يحارب معركة القرن الثالث عشر في القرن العشرين . . . دا . . . قد استعملنا الكراس . . . تيتراس . . . ولمسنا قدم النّاس . . . مَدْراس . . . مَدْراس شيكنْ مدراس أي دجاجة بالشطة والقرفة والزنجبيل وزبد البحر . . . إن شاء الله . . . وال . . . كذا وكذا . . . تَجِدُ عَجبا . . صَحيح مجرب . . . بإمضاء الديربي نيابة عن جالينوس والحارث بن كلـدة وفرويد وماري ستوب جميعاً . . . حدثنا قال حدثنا قال حدثنا . . . جميعاً . . . مسكين جعد بن درهم . . . أنوار التنزيل للبيضاوي . . . نسيت . . . نسيت الحوت وما أنسانيه . . . هي . . . هو . . . قراءتان . قالت أخاف أكثر من مرة . . . أحترمك . . الخوف والاحترام . . نخاف الله . . . نحب الله . . . نحب النبي صلى الله عليه وسلم . . . لا هكذا في الحرير الصارخ يا بنيّتي . . . وعلى الصدر رمانتان . وعينان نضاختان . . . القرآن أبلغ كتاب وَيُمْنٌ فيليب حتي على المسلمين بمدح القرآن أن فيه تجويداً وأن محمداً في مستوى أنبياء التوراة . . . . «فيها هُدًى ونُورٌ يَحْكُمُ بها النّبِيُّون الذين أَسْلَموا للذين هادوا «صدق الله الصادق . . . قال تعالى في الأنعام : « ذلك جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِم وإنّا لصادِقُون » . . هل الصادق في الأسماء الحسنى . . . هو اسم الله الأعظم ولو قُذِفَ قِدْحه . . . بكسر القاف وسكون الدال أي الخشبة (• أحسن القدح هو سهم لا نصل له) الـتي هو مكتوب عليها — كما فعل عبد الله بن الثامر في النار ما احترق . هو أنا . ونزل من المنبر فذبحه . . . خروف العيد جدا

ابن درهم إنه لسعيد .. . وجاءت بينطلون مُظْهِر وهي مُسْفِر بلا تاء كما تقول حائض وطامث ولاهث في الّذي انسلَخ عن آيات الله وإن يك قد كان أُنثى .. وما كان غير أمية بن أبي الصلت، ودعوى يهود أنه بلعام تأتّ إلى الطعن في نبوة من لم يكن من قبيلتهم . . .

« مَهْلاً بني عَمّنا ظُلامتَنا إنّ بِنَا سَوْرَةً من القَلَقِ
لِمِثْلِكُمْ تُحْمَل السُّيوفُ ولا تُغْمَزُ أحْسَابُنا من الرِّقَقِ
بِيض سِباطٌ كأنّ أعيُنَهُم تُكْحَلُ يَوْمَ الْهِياجِ بالْعَلَقِ »

يا لك من حوار . . . بالعطر وبالتّفَل وبالعَطَل وبالسّوار .. . وبالجار بالدّرْدَق الصغار . . . خَلَيلا . . . هذا معنى فيه قَذَارة . . . قَذِر . . شَرابٌ كَدِر ... أعجاز نَخْلٍ منقعر ... ووضع ذُؤاب في صَدْرِ ابن داود سَهْماً لكيلا ينجو . . . وانتحب داود يا وَلَدي يا ولدي . . . وخرّ راكعاً وأناب . . . وقتل سليمان أخاه لمّا طلب امْرأةَ أبيه . . . . قال له موْتاً تموت هكذا قالت يهود . . . واشرأبّت كما تشرئبُّ الفهود . . . إنها لصَيُود . . ألا بُعْداً لِمَدْيَنَ كما بَعِدَت ثَمُود . . . أمّا مدين فمن بني إبرهيم . . . يا بن الكرام يا كريم

لا بأس بوجهك يا هذه لولا هذه الآفة في أسنانك . . . كأنّه طِلاءٌ من قَار . . . وعينا هذه الفتاة الجميلة لولا عيناها ، حقيرتا النظرات تتلفتان بخبث صغير . عليك بصاحب الطيب إياك وصاحبَ الكير . . . خبْزٌ مَخْبز كذا جيّد . . . وكذلك مَخْبز كذا . . . الرش من *Rush* الكلمة الانجليزية بمعنى شان الْ كُوالِتِي . . . أي النوع . . . أي الصنف . . . . وقعَت عَلَيّ دَعْوتْ . . . أي ضُغُوطْ جَمْع ضَغْط . . . الضّغْط الْجوي بمعدّل كذا رطلا على القدم المربع . . . . اللهم غَفْراً القدم من مقاييس الاستعمار . . . القدم المربع . . . هو أيضاً من مقاييس الإستعمار ولكن الاستعمار رقم

اثنين كلا استعمار بالنسبة للاستعمار رقم واحد والاستعمار رقم ثلاثة استقلال ونهضة وانتقال وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال . . . تماماً على الذي أحسنَ بفتح النون قراءة الجماعة . . . هل قال من النحاة أحد إن أحسن بدل من الذي كما قال تعالى : لنسفعاً بالناصية ناصية كاذبة خاطئة . . من نعم الله إشراق ذلك المحيا . . . فتأمل . . . قفْ يا وقافُ ، سورتاً الأنعام والأعراف . . لو صرنا من رجال الاعراف فذلك نجاة . . .

رشيقةٌ كصفاء الشمعدان لها ... تفتّق الرّوضة الغنّاء بالزّهَرِ
خفيفةُ الرّوحِ كالصّهباء جاريةٌ ... تُريد منْزِلَ ذي جاهٍ وذي خفَرِ
مجدولةٌ مثل تمثالِ الرّخام سرتْ ... فيه الحياةُ بلا هُوتٍ من البشرِ
مثلُ الفراشة يختالُ الرّبيعُ لها ... بزركشاتٍ على ألوانه الخُضُرِ

وهي لا زالت خفيفة الروح وقد كبرت وبدّنت يا للأسف مع الشغف .

هلاّ طربْتَ خليلي للغناء فلي ... لحنٌ مزامــيره للشوْقِ تنتصفُ
أوتارُهُ من تفاعيلِ الخليلِ وفي ... أصْواتِه الجِدُّ والأفراحُ والأسفُ
ان ابتسامة ذات الخال تُعجبُني ... كأن نُونتَها من طولها ألِفُ
سبحْلةٌ عبْلةٌ خوْدٌ مُبتّلــةٌ ... بلْهاءُ تُوشِكُ للمشتاق تُقتطَفُ
أذكرتني من كنُو صبْحَ الخريف بها ... يا هذه بل غزالٌ أنْتِ يَشْتَرِفُ
والتّوروا في فِجاجِ الأرْضِ زيّنها ... كأنّ دوْحاته من نُبْلِها غُرَفُ

وانحنت تشكرك بسواد الجمال ولله وحده الكمال .

زكاةُ جَمالٍ بفتح الجيم ... هل أنْت من أصحاب الكهف والرقيم .

لماذا أنتم معنا ... نريد أن نكون وحدنا ... نُريد أن نكُون في الخلْوة

لقد زارتك في « خلوتك » العبْهرة الحلْوةْ
وقد همْتَ بها حتّى لقد رُمْتَ بها الخلْوةْ

الأولى خلوة القرآن والثانية خلوة المعروف والإحسان يأيُّها الانسان .

ألا أسهرَني خوْفي من حُبِّك يا ليلى
وقد قلت لنفْسي منه يا وَيْلاه يا وَيْلا

* * *

وقد باحتْ لكَ البَوْح بما تكتم يا هذا
وقد زُرْنا سمرقَند وتشْقنْدَ وبغْداذَ

* * *

لقد أرّقني تأريقةً ذِكْرُك يا حُرّةْ
وأنتِ البانةُ العذْراء والمكنونةُ الدُّرّةْ

* * *

وأقْسمتُ يمين الله ما مِثْلُك في الدُّورِ
وإنّا بك في الجنّةِ إذْ أنتِ من الحُور

* * *

وستْرُ الله يا حسْناء في أمْرك من فوْقي
وإني لدقيقُ الحِسِّ يا مُرْهفَةَ الذّوْقِ

* * *

أُغنّي لكِ يا زَيْنبُ يا هيلين يا هند
وأخْفينا غرامَ النفْس حتى بك لا يبدو

* * *

ولمْناها على حُبِّك في وَهْنٍ من اللّيْل
ولا يجْدي ملام النفْس يا طاهرةَ الذّيْل

* * *

ومِنْهن التي أدْعُو لها سبْحان سبحان

* * *

ألا تَسألني عَمْرَةُ عن ذاتِ الفَراشاتِ
وأشْهى أنتِ يا عَمْرَةُ من كُلِّ البُنَيّاتِ

* * *

وَأشْهى أنتِ يا عَمرَةُ من شيلا ومن يُونا
ومن أنجيلَ في غابَة مَسْكُوفَ وهيلينا

* * *

ومِصْباحان من مِشكاةِ نور الله عَيْناكِ
وأهواكِ بِيَمينَ الله يا حسناءُ أهْواكِ

* * *

لقد جاءكِ بِرُّ القوْم من بَرْنُو ومن هَوْسه
وقد زارتك ذاتُ الخالِ بالدَّمعِ فلا تَنْسَه

* * *

ولَمْ أنْسَكِ لما ذُقْتُ من تُفّاح لُبْنانِ
وحين اهْتَزَّ من طيّارَةِ الروس الجناحان

* * *

ولو خُيِّرْتُ ما كُنتُ سوى حبِّكِ أختارُ
وفي سابِقِ عِلمِ اللهِ لي عِنْدكِ أسْرارُ

* * *

عرفت الحبَّ في وَجهكِ لي والنَّظر المغْضي
وما أشْهاكِ يا لَيلى ويقضي الله مايقضي

* * *

وصلى الله على سيدنا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصَحْبِه وسَلّم تسليما .

* * *

(١٢)

أمّا الْفتَاةُ فهوَاها عِنْـدي   وثَغْرُها رِيقَتُه كالْقَنْدِ
عرَفْتُهُ وَهْماً ومـا من بُـدّ   مِنْه ولو صارَ بأرْضِ الهِنْدِ
« والبَرْقُ قدَ لاح بأرْضِ السُّغْدِ »

إني بها يابْنَ الكرامُ مغْرَى   والصَّبْرُ لو قدَرْتُ كان أحرى
أما ترَاني أتحَـدّى الْعَصْرا   وَأرْتجِي من الإلـه النّصْرا
وقـد حمِدت بِهوَاك الْعُمْرا

لقـد تَراءتْ لِي بِخُصْلَتيْنِ   وقد لمحت كُحْلها في العَيْنِ
قد طال من وَصْلِ الفتاة بَيْني   اللهُ بَيْنَ بَيْنِها وبَيْني
لَمْ يبق إلا الأخذُ باليَدَيْنِ

ماذا قالَ بشار :

« واهـاً لاسماءَ ابْنَةِ الأشدّ »
تَقُول عُدْ ذَاتُ الْمُحيَا الْوَرْدي
مِثْلَ الْبَنَاتِ لأبٍ بالْوُدّ

البنات اللاتي في قصة « اخدر عزاز في قزاز » هل قرأت كتاب الاحاج
قرأوه في المجتمع الاشتراكي وقالوا « فولكلور » أي علم الشعب ... « لا =
حَافِرْ مُقَعّبِ وحَافِرْ وأب » هذا دفاع ابن الرومي البرجوازي عن
تمام ... وأتلعتَ جيدها سَلْهَبَةُ النْحَيِّ تريك الضمور ... « إنّ اللهَ

كُلِّ شَيْءٍ قدير » ... « عَرُوسُنا الْمُنَفَّقَةُ الْمُتَكَلِّجَةُ » ... ما أحلى براءة الصغار ... وغناء الصغار بأصوات تأتي بالنغم بلا تكلف ... وبصناعة الطير ... هل سمعت العندليب يرِنُّ بأوتار التعذيب ... قولي انما يتغنى بالشكوى من البلوى ... هل أحزنك حريق المسجد الأقصى ... «تمد عير ندق » ... « اللهُ بَيْنَ بَيْنِها وبَيْني » هذا مِثْلُ « وقَبْرُ حَرْبٍ بمكان قَفْر » ... وما أرَقَّ الأدب الزاكي إذ يهدي اليك التحيات ... الطيباتُ ... بِسم الله الذي لا يُضرُّ مع اسمه شيءٌ في الأرضِ ولا في السماء وهو السميع العليم ...

« مُتَكَلِّمٌ ثُمَّ صِفَاتُ الذَّاتِ ليْسَتْ بِغَيْرٍ أو بِعَيْنِ الذاتِ»

هذا من جوهرة التوحيد يا بيت القصيد . حتّى في أعلى الجو القيظ شديد وعزمك بعون الله من حديد ... عد بنا إلى برتقالة علقمة ... الأترج ضرب من الليمون وهو كبير ببلاد النوبة فيما ذكر ياقوت ... وهي أتْرُجَّة .

« يَحْمِلن أتْرُجَّةً نَضْخُ الْعبير بها كأنَّ تَطْيابها في الأنْف مَشْموم
كأن فَأرة مِسْكٍ في مفارِقها للباسِطِ الْمُتَعاطِي وَهومَزْكُوم»

سكر منها أخو تميم وفاح العبير من لدن انفضح ... هل ما علمت وما استودعت مكتوم ... وبكى كالطفل الصغير لتُعْطيَه أُمُّه حلاوة ... أم قلبه ... تعال ... عد هذا أهم شيء ... وذراعي كثلج قصص السويد ونقطت نقطة الدموقالتأريد بنتاً ببياض الثلج ونقرتا دم في خديها...وهيسمراءكالبيرة الميلوتي في فندق هيلتون الذي من الدرجة الرابعة ... هل دفنت البيضة بنت يومها تحت النار ... حم حم حم ... أمين ... يراه يكتب بالعربية ويتكلم معه بالانجليزية لانه مضيف في الطائرة والجو كله غير مسلم والقمر غير مسلم .. قد انشق ... شقته أقدام الناس ... نصفه فوق أبي قبيس والجانب الآخر المظلم الذي لا يواجه الارض فوق رأس كندي الذي هو جنوب كندا ... دا ... انسيولا انسيولاي ... انكولاي ... يقذفون الحراب قذف الحبشة ... كنا نجلس معاً في المطعم قرب التيوب ... لا بأس بالدرس في مسكفا ولكن ذهب

الشباب ... تراتس كدنداش شمهورش وروحانيات أخر ..

« لنـــا سِباقٌ ولكم سِبـــاقُ قد عَلِمَتْ بذلك الرِّفاق »

دعه عندي أحتاج اليه ولا يزالون يبحثون عن الوحش الذي في بحيرة لُخْنِس ... كبرى بحيرات بريطانيا ... أيُّها أكبر متشجان أم بيكال أم تسانة ... تسانة يا حبهانة ... يا رمانة ... يا برتكانة .

« أم هَلْ كبير بكى لم يَقْضِ عبرته إثْر الأحبة يَوْمَ البين مَشْكُوم »

من شكمته إذا أَعْطَيْتَهُ ... انهل دمعه من الْبَيَيْتِ الأوّل وهو الدَّهماء الجاهدة حاركها بالقتب محزوم وهي العصيفة التي زالت ... وهي تناهي الروض وهو العلجوم الذي يُنْقِض إنْقاضاً بعد أن صَيّره الْحُبُّ وَبَيْنُ أُمِّ جُنْدُب أنْقاضاً ...

«بل كل قَوْمٍ وإن عَزُّوا وإن كثروا عَرِيفهم بأثافي الشّر مَرْجوم »

قالت توطدوا وهي المتوطدة ، وهي النابغة والمتجردة ...

« كالشمس يوم طلوعها بالاسعد » ... فرح العينين غلام بشوش أفاق النفس مولود سعادة سعيد ... بعض النساء كالرغفان الغليظة ولحم على وضم .. « إن الله يَدْفَعُ عن الّذين آمنوا » ... سلام على إل ياسين يا آل يس تعال نقرأ الدعاء .

وقد ذَكَرْتك في جَوِّ السماء ومن بَيْنِي وبَيْنك إصعاد وإهْواء

وقد أرى ثَلْجَ بَيْروت ويُسْكرني صَحْبٌ بمصر لدى قَلْبي أَعِزّاء

يـــا أُمَّ حَسّان أنت النـــار والماء وَبيْنَنا الآن أسرارٌ وأعْباء

ماذا أصنع مع القلوب ... قلوب الطير رطباً ويابساً ... كانت أجود أيام هايلاف منذ أحد عشر عاماً ... رانا أي الشمس بلغة هوسة ... كأن ثغر المليحة ليموناته بيضاء ... ميراندا .

« هل تذكرين فندقاً مِرَنْدَهْ »

لَمّا جَلَسْنا نَحْنُ في البَرَنْده
وهُزِمَ القَوْمُ بِدَابي رُنْدَه

رُنْدَةُ هذه فتاة قالوا أرادها رجل على نفسها وكان يحفر قبراً لماذا ؟ قالوا وصنعت له شراباً بارداً — «آبريه» — وجاء ثعبان ويقولون له الدابي في السوداني لأنه يدب ... وكانت رندة قد ندهت «يا سيدي الحَسَنْ» ... فشرب الثعبان من «الآبريه» ثم جشر ما شربه في الاناء مرة أخرى ... فجاء رجل السوء فشرب فمات نفعنا الله بدابي رندة رضي الله عنه . يابا هاشم .

«يابا حُسَيْنٍ لو شراة عِصابَـــةٍ نَصَرُوكَ كان لِوِرْدِهِم إصْدار
يــا با حُسَيْنٍ والجديــد إلى بِلى أوْلادُ دَرْزَةَ أسْلَمُوكَ وطارُوا»

أولاد درزة هم الاشرار والكفرة وقود النار ... رششنا على الثوب من ماء الورد والزعفران إذ ما أمكننا أن يَذُوقَ المحبوب من المشروب فنفوز بالمطلوب ... هذا هو الاسلوب .

الطائرات قرّبت المسافات . جو السودان حار . «يوم السبت نصف النهار» هذا من سجع الصاحب بن عباد فيما زعم التوحيدي ، ذكر ياقوت في ترجمته أو ترجمة الصاحب نقلا عن مثالب الوزيرين قال يريدونني كَبْشَ فِداء وقضية يملأون بها الفراغ وأنا لن أبرح حتى أبلغ مَجْمَعَ البحرين أو أمْضِي حُقُباً ... تَسْأَلُ عن سيدنا خضر وأوشك المعري في بعض كفرياته أن ينكره وقتلُ سيدِناً خضر الغلام رمز بعيد إذ هو قد أوتي غُصْنَ البقاء الدائم فمهما يقتله يكن حيا يا خضراء ... إيّاكم وخَضْرَاء الدِّمَن أنَهْيٌ ام إغراء ... فقد وقف زهير عند دمنة خضراء بحومانة الدراج .

في معلقة عنترة حلاوة وإشراق ... وجاءتْك عناق ... في المثل «عَنَاقُ الصَّدِّ مِنْ بِيقُولَها تَكْ» ... قالوا كان أحد ملوك بربر اقتنى نعامة فكانت ترعى الجروف وتفسد زرع الناس إفساداً وضجروا منها ولم يقدروا من أمرها

على شيء لأثارتها عند الملك وخافوا أن يذكروا اسمها هيبة لـه وخوفاً منه فقالوا عَنَاقُ الْمَلَكِ أي عَنْزُ الملك الصغيرة من يقول لها تَكْ ، أي من يزجرها . وتَكْ « اذهبي » بلغة النوبة . والعناق هي الشابة من المعزى والظبـاء وكانت عناق أول بنات آدمَ باغَتْ فصارت مومساً وهي أم عوج بن عناق فيما زعموا وهو الذي كان يأخذ السمكة من البحر ويشويها في الشمس فيما زعموا ... هذا قبل زَمانِ أبولو الحادي عشر . . . كان عَشَنَقاً أي طويلا جداً . . . فائر العجينة بالحميرة عريض الوجه جأبَ الحنك والعنق تِلْقامة المنظر مثل شَبَّة بن عقال . . . هل تَحَفَّظ شعر جرير . . . . وقال لها كُلي هذا واشربي هذا واحذري من خُرّاج الْمُخِّ فانه قاتل . . . . ينبثق الخُرّاج من طريق الأنف وشعب الرأس وتحـدث الوفاة يأيها المتأخرون ولولاه لمِتَّ . . . هاكَ هدِيَّةً من أغادير عِنْدَ حَجْرَةِ الغدير . . .

يأيها الْمُتَعَجِّبون تَعَجَّبـوا مني وأُحْسِن في قَريضي وصْفَها

هاتيك الاهرام . . . هل قرأت الذّخيرة لابن بسام

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة

ومَسَّ ثَوْبَكَ من أثْوابِها نَفَس من المودّة والاشواق مقتصد

ها ذاك بُرج عثمان . . . . وليس بسرقسطة بعد عهد المسجد من أحد . وأنت حِلٌّ بهذا البلد . شعورك ببرد الثلج من حولك وهو ركام والجبل أصهب الصخر . . . هذا عبره عبد الرحمـن الغافقي . . . وعبره هنيبال من قبل ... الذي ذكر الاستاذ محمود في عمله المتقن « تَمَط صَعب » من أنَّ الأوتاد أصولٌ دَقيقٌ . . . والمديدُ تَمَطٌ صَعْبٌ . أحسب أبا عبيد أراد النغم . . . نغم المديد عند تأبط شرا

لَيْتَ شِعْرِي حين أصْبو إليهـا هَل تَخَطَّيْتَ إليها الغيوبـا
إنَّ هذا الْعُمْرَ قد كاد يَخْطُـو نَحْوَ سِتّين ويَدْني الْمَشيبا

ما الذي نرقبه بعد خمسين إذا ما نحن هبنا الرقيبا
يا رنين الشعر يا صيحة الطائر يا سلواي فرداً غريبا
يا أماني وآهات صبي وصلاتي وقتالي الحروبا
ودعائي آخر الليل لله وقرآني لساني رطيبا
طال هذا الليل يا خالق الليل وإنا قد وجدنا اللغوبا
أعطنا الإصباح يا فالق الإصباح إنا قد سألنا مجيبا
وحنيني للقاءات سعداي أراني ضيق دهري رحيبا

وسعداه بكل دار . . . . وهذا النيل النبيل ينساب عليه شعاع القمر الرخيم دون القنطرة ما بين هلتون وسميراميس . . . والقوارب كن عليه أصيلا فوقهن الشراع . . . وهب النسيم فتدافعت أمواجه بينهن الظلال عاد إلى الأستاذ محمود حيويته وهو عربي جلد يمده بقواه من القلب الشباب . . والذي رجح من أن لامية تأبط شرا ، أم هي لابن أخته يرثيه ؟ كأنه صحيح

زار الحبيب وفي الفؤاد جروح ولقد تحن إلى الحبيب الروح

كان ذلك قبل أن يبوحوا

إن قلبي يحبها علم الله وعندي مع الحياء استقامه
وتحب الفتاة ذات الفراشات التي عند أمرها قوامه

من ذات الفراشات ؟

لعل الله يهدينا في ليلة كما في الحديث عن المهدي واسمه كاسم نبينا صلى الله عليه وسلم واسم أبيه كاسم أبيه وليس ضربة لازم أن يكون محمد ابن عبد الله ، فمن أسمائه صلى الله عليه وسلم أحمد وهو قرآني وفي الحديث

« أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب »

كما قالوا : يحملن عباس بن عبد المطلب

يعنون ابن عباس رضي الله عنهما

سألوا عثمان بن فودي: أأنت المهدي فقال لست بعربي فضلاً عن النسبة إلى آل البيت والأسباط خاصة ثم اسمي عثمان وما ذلك من أسمائه صلى الله عليه وسلم كَمَلاً بلا اختصار . . . ذكرى ألمث وطيْف وقَلْبك يا بن الاكرمين خفّاق والمودة أرزاق . . . تعال يا صاح هل رأيت الإجاص فإني قد رأيت التفاح . . . عَمَلٌ متقن . . . . هذا خطّي أنا كتبته . . . وهذا «يا مَسَد الخُوص تَعَوَّد منّي» . . .

ما أحسن ما استشهد الطبري . وما أدري ما حمل القرطبي على ذكر شَرْحِ قريش نساءها عند «يَشْرَحْ صَدْرَه للإسْلام» و «حَرَجاً كأنّما يَصَّعَّد في السّماء» . . . آية الانعام . أحسب أن الفقه هو الذي دار به هذه الدورة . . يَمُرّان بنَجِس يَبَس يَطْهُران بما بَعْدَه . . يا لطيف . . . والذي لقي الغيث عند الغدير صار مثل ماذا ؟ هذا قالته إحداهن تعيب بَعْلَها

أتريد منا تضحية جسيمة . . .

صاحِ أحْبِبْ لَيْلَى ولا تَخْشَ فيها أحَداً واقْتَحِم إلَيْها اقتحامه
واغْتَصِبْها اغْتِصابة ولك العُذْرُ فإنّ الْجَمال منها مُدامَهْ

ـ أنتِ يا مدام تحِبّي تتكلمي مع المدام

ـ أفون ، عِطْرٌ جيد

ـ ثلاثة جنيهات لأشتري عطرا

ـ ثلاث ساعات أمام المرآة لأصنع الفراشات في عيني

ـ أهي أجنبية ؟

ـ أنت أجنبية ، والسّلام على الأجنبية حرام

ـ تحب المسرح . . . تحب القراءة

ـ يا إله السما منك يا عكاشه همشري

وبردت الدعوة بعد أن سبق بها عكاشة . .

ذَكَرَ المليحةَ والغيوبُ حجاب وعسى إليَّ من الفتاةِ مآب
ولقد أبوحُ وقد تبوحُ وحبّذا شرخُ الشبابِ وإنّها لشبابُ
كنّا بعيديْ دارِنا ومزارِنا زمناً يقرّبُ بيننا الإعجابُ
تاقت إليها النفسُ حتّى حاولت بتَّ العلائقِ والهوى إغراب
وقدعتُ نفسي أنْ تروم ودادها بالعزمِ إنَّ المستحيلَ يُهابُ
والحبُّ أمرٌ ليسَ يُدرَكُ سرُّهُ فيهِ التناقضُ والنفوسُ رحابُ
عهدي بها في دارِها وتفضّلت في درعِها الشفّافِ وهي كعابُ
وقفتْ تريني من كعوبِ قوامِها تحتَ الحريرِ وقلبُها وهّابُ
لما استحيتُ من التي هي عندها وخشيتُ أنّيَ إنْ نظرتُ أعابُ
بسمت إليَّ تقولُ لا تحفلْ بها إنَّ النسيمَ بمثلِها هبّابُ
وتقولُ زُرْ إنَّ المكانَ لقدْ خلا والبيتُ ناءٍ والطريقُ يبابُ

– لو قُتِلَ إنسان ههنا ما علم به أحد

– دَمٌ . . . . والدم بالدم يا حبش

مسّي بخدِّكِ حرَّ خدّي إنّني عيشي إذا ما غبتِ شيءٌ باردُ
مُدّي إليَّ يديكِ إنّي جاذبٌ بيديكِ إنّي في سواكِ لزاهدُ

ولكن ماذا أصنع بهؤلاء . . . هاؤم اقرأوا كتابيه . . . . يسمع النّاس بهذا الكتاب ولا يقرأونه . . .

مولاي لَنْ أخونه
النّاسُ يحمدونه

قال الآخر :

« أطارتْ من الحسنِ الرّداء المحبّرا »

هو الشماخ وابن أبي ربيعة يقول : « وجوهٌ زهاها الحسنُ أن تتقنّعا »

وذاتُ الجبينِ المعجبِها ألْقَت عَنْه الخمار . . . ضَرَبْتَ من الزار

يا بِتْ . . . وَوَقَفَتْ زِنهار

أذن المؤذن في البرلمان التركي فأنصتوا وخرّوا للأذْقان . . . .

هكذا خبرني الاحباء .

إنا أعطيناك الكوثر

سَبْعَةٌ يظلُّهم الله بظله . . . أتراهم هربوا . . . . و « أناس أنْكَروا الشِّعْرَ عليَّ . . »

هذا الفندق قد احترق بعيداً عن النيل . . . كانت تلك بداية النهاية لابن الأثير في كتاب أبي كثير من مُتَطَرّفي علماء السنة أخذتُ عليه تردُّدَه في تفضيل عليٍّ على جعفر . . . وأعتذر له بطيران الجنة وشهادة جعفر فمثلها يوجب التردد عند فضل الشيخين وعثمان . . . لا زال الإسلام ببلد محمد بن اسمعيل يمتنع من كيد الدخيل وفي ذلك شِفاءُ الغليل . . . تقاتلون الدَّجال يا أولاد الحلال . . . أعوذ بالله من شجرة الخبال . .

غَـــادِرٌ آثم فــاســقٌ زَان
إنّي مُفْرداً أكتـــب الآن
إنَّ قَلْبي مُفْعَمٌ وهو نَشْوان
وحبيبي طَيْفه كَيْف قَدْلانْ

أما الشطر الأول فمن هامليت قصة شكسبير والنون في روي المعلقة الخامسة وأعجب كيف قدموها على ميمية عنترة . . إلا أن يكونوا قد كرهوا توالي ثلاث ميمات – زهير . لبيد . عنترة – ككراهية نحو البصرة تَوَالِيَ أربع حركات فقرأ أبو عمرو رُسْلنا رَسْلكم رَسْلهم بتسكين السين والله أعلم .

قالوا وفي القاهرة يرسل الطبقيون أطفالهم إلى سنت فرانسيس كما يصنع

النّحْوُ طَبَقيّين بالخرطوم . . . ويحتفلون إلى الآن بإخراج المسلمين من يوغوسلافيا وهم التّرك . . الذين في تمد عيرندق يُراد بهم الأفرنج لأن الحكم التّركي جاء بهم . . . وصمويل بيكر بغيض الشخصية وإيان سميث زِمر المروءة في رقّة تكشيرته حقارة من بُخْل يعبر عن غور أعماقه بعنصرية اللون فرق ما بين نحو هذا وعنجهية وكيع بن أبي سود وصرامة عقيـــل بن عُلّفة .

« أيُتْرك لاهينا ويُلْحيّن في الصِّبا وَمَا هُنَّ والفِتْيانُ إلا شَقائقُ »

لعلّ هذا أول تعبير عن حقوق المرأة في الشطر الأول من القرن الأول الهجري وينبغي أن يُعْطين المساواة الكاملة في حقّ التصرف . . . سوء التصرف . . . الخلقي.وهَلْ هُنَّ والفِتْيانُ إلاّ شَقَائِقُ يَاكَلْبُ ورَماه بِسَهْمٍ أدْماه.

فشكاه إلى أمير المؤمنين عند الجوسق المتهدم . الذي صنع الناس من عدم مساواة الجنسين من أجل الحفاظ على المفهومات الخلقية هو المذهب العملي إذ المرأة بطبعها نَوارٌ صبور ، فمتى اتفق مع ذلك الضعف والاستضعاف كانت أصبر وأشدّ عن الرجل نفوراً . . . أريد أكون خليلة الملك وإلا فاني سأصون عرضي ولا أخون زوجي . . . قالت مدام دي بومبادور . . . وطاح عرش لويس السادس عشر فوق مخادع لويس الخامس عشر وانتقم الناس بلؤمهم من الرجل الطيب بعد أن أعياهم الرجل الخبيث ... قالوا كان خجولا ثم فسد وهكذا يغلبك الجسد ... جلدك ناعم شفّاف إلى مُخّ العظام

ــ شفّاف ، ضَوْء ، هذا كثير في شعرك

ــ هل شربت الْخَمْر الحرام التي يشربها الصّعاليك والسفهاء ويترنحون ويتلفظون بالكلمات الْخَشِنة بِشفاهٍ منهدلة وعيون نائمات الجحوظ الفظّ .

ــ يا قِطْعة حضرية ترفعين أنْفك بِشفاهٍ جنسية مثل وقاحة الماخور . . يا قطعة حضرية ماذا قال البدوي في ألف ليلة.وسكتت حتى أدرك شهرزاد الصباح .

بعض شباب البنات فظ غليظ

قالوا وهناك مراهقة ثانية

وهاج البحر وجاء البحارون وأغلقوا شبابيك الحديد وقاية للزُّجاج ... وللدُّوار حركات بين ثلاث وأربع ، التواءاتهن هي التي يَحدُث منهن أرَبُ القَيْء والسقم فاضطَجِعْ واصبر بالنسيان وإذا تمت كان ذلك نجاة ... مساكين كلُّ زوجين اثنين الّذين كانوا مع نوحٍ إذ دوار البحر طبقة من طبقات جهنم ... لعل الذي أوى إلى جبل جَزِع من هذا وآثر الغَرَق ونسي أن وراء الغرق جهنم أمداً طويلا ... « إلا ما شاء ربُّك » قالوا ما بين الساعة إلى القيامة إلى انتهاء الحساب وقيل حين يَخرجون من السعير إلى الزمهرير ... والمعنى خالدين مدة دوام السموات والأرض ويستثنى بعد ما شاءه الله لأن السموات والأرض تفنى ويبقى وجهه هو الأحد الدائم فالاستثناء منقطع كما ترى وليس بمنقطع عند بني تميم لأنهم يجعلون الحمار إنسان الدار لَيْسَكَ في هذا شكٌّ وستكون رسالتكم ممتازة

أنا والله ممتازة وذهبنا للاجازة
بُسْني حُلْواً بُسْني طَازَج
بُسني خَمْراً ثَلْجاً مَازَج
زُرني داري فَوْقَ الرَّبْوَةْ
قد زُرْنا دارَكِ يا حُلْوَةْ
هذا النِّيلُ يَشْجي قَلْبي
إني أرْعى ذِمَّةَ صحْبْي
هذا النّيل ذَكّر نيها
كم أتمنّى قُبْلَةَ فيها
ماذا يا فَارِسُ في اللأمَة يَشْجُو قَلْبَكْ — (اللأمة يعني الدرع

وَحْدَكَ تَمْشي شَاحِبَ لَوْنٍ تجْهلُ دَرْبَكْ
إن الْخَوْدَ الْحَسْنَاءَ الشَّخْصِ بِلا رَحْمَةْ
قد أَدْنَتْني ذَلِكَ عِنْدي أَوْجُ النَّعْمَة
قد أَهْواها قد تَهْواني وَهْيَ الْقِسْمَة
ضُرِبَت كُرَةٌ بصَوالِجَةٍ فتَلَقَّفَها رَجُلٌ رجل
وَتَلَقَّفَت الْكُرَة امرأَةٌ ولَهَا كَفَلُ
واخْتَلَطَ الأمْر وما نَدْري وَتَمَشّينا فوق الكبري
وعَجِبنا من رُوح العصر
إنَّ الإنْسان لَفي خُسْر
ـ رَنْ رَنْ .. مُزعج صَوْتَ التلفون
ـ يَبْدو أَنّنا هُنّا على الله .
واسْتَعَنّا بالصَّليب . يا عجيب . يا غريب
يا فيليب .
اسباسيب .
هكذا بالتّرخيم ولعنة الله على الشيطان الرجيم
والْتَقَيْنا بِباب إحْدى الْوزارَاتِ اتّفاقاً وثَوْبُها دَمّور
وسَرَى من مِساسٍ أَنْمُل كَفَيْها إلى مُهْجَتي ضَنىً وحَرُور
وأَراني من حُبِّها أَحْمِل الْعِبْء ثَقيلاً والْحُبُّ يا صَاحِ نير
ثم ودّعتها وقَد يَعْلَمُ اللهُ الّذي أُودِعَتْ هُناك الصُّدور
What can ail thee renight - at - arms alone and palely loiternig ?
والضّبابُ الْمُلَوّنَات تَساوَرْنَ حِقافاً ولِلْمَدِينَةِ سُور
وكأنَّ الصَّحْراء من دُون دَارْفُورَ إلى غَرْبِ أَرضْ شَادَ حَصير

وعُيون الصَّحْراء يَنْبِضْنَ بالماء وَقَوْمِي لَهُمْ هنالك بِيرُ
وجُفُون الشَّقْراء لما أَرَدْناها إلى اللّهْو دَمْعُهن غـزير
والزُّجاجات في كَدُونا عَتيقاتٌ وفي الْبِرْكَة الصَّغيرَة حُور
وإبَادَانُ حَوْلَها نَقَدُ الْمِعْزَى وجَوٌّ السّحاب فيها مَطِير

والنّقَدُ دِقاقُ المعزى وقماءها

وَعلى الرَّمْلِ عِنْد لاغُوسَ لِلْمَوْجِ منَالْعَيْلَمِالْمُحيط خَرير[1]
وأُناسٌ لَهُم طُقُوسٌ من السِّحْرِ وفيهِمْ كَنيسَةٌ وكُجور

والكُجور كالقسيس والكاهن عندنا في الجنوب وذكرها صاحب « نار المجاذيب » في « لزيم الجور » [2] إذ قال :

« وحيّرني الْكُجُورلَهُ ادّعَاءٌ كما يُدْلِي بحُجّته الْعَلِيـم
هُما عندي وكَم جَهَدا سَواءٌ وقد أعياهما الْقَدَرُ الْبَهِيم
وفي سَمْعي الأذانُ له انْطِلاق وللشّيْطانِ عارضه رَزِيم »

عنى الكنيسة ثم عطف في نوع من تردد أضفى شيئاً من إبهام على هذا الصارح الواضح من قوله :

« وللنّـاقوسِ أَنْفـاسٌ طِوال تَخَشّع تَحْتها زَنْجٌ وروم »

وما يتخشعون وإنما هو التبشير الذي لا يبشر إلا بالتمرد ...وخطف العرب الولد وباعوه في السوق ... وهم باعوا العرب والغضب ولغة الأدب واستباحوا فلسطين ... وجاء الْخَرِعُ معه قَلْحاء[3] ... أما أنت فثناياك عذاب

وهي تَرْنو إليّ إذ أقرأُ الشِّعْر وفي وَجْهِها الفَتَاة النّفُور

(1) العيلم : البحر .
(2) نار المجاذيب ، ٢١ - ٢٥ .
(3) أي صفراء الاسنان .

والزّمان الذي أحاط بنا ضاعَ ومن حوْلَ صَوْتِنا الدَّيْجُور
قد تركْتُ القَريضَ واللهِ لوْلاها ولكِنْ صفا بها التّعْبير

واللغة العربية خندريس ، قال الاستاذ محمود محمد شاكر :

شَيْخُنا لَمْ يزَلْ يُديرِ علَيْنا الرَّاح دَاذِيّةً بغير كؤوس (١)
خَنْدَرِيس تُضيء غَاشيةَ اللّيْلِ بمَسْرُودةٍ دِلاصٍ لَبُوس (٢)

أي درع وهي توصف بأنها مسرودة وبأنها لينة للين صنع حديدها فيقال دلاص ولبوس نعت القُرآن للدروع « وعلّمناه صَنْعَة لَبوس » في سورة الأنبياء .

وهي غادة ذات دلال من اليمين والشمال شمسها في الآفاق من الشام إلى العراق ... أسجْعاً كسجع الكهان وفي السينية التي لشاكر :

« فأضاءتْ ما بَيْن نَعْمـــان والشّحْرِ ومَا بَيْنَ آلِسٍ وألُـــوس
وترَامى شُعَاعُها لؤْلُؤآنَ الزّفِّ مِنْ غَانَةٍ إلى نِقْليسٍ » (٣)

واذكرني عند ربك يا هذا .

واذكريني يا هذه ونَوّليني من الأسرار أنت اللؤلؤ والمَحار والسّوميت الحار ... قالت أنا السوميت وشَفَتاها لك هيتْ بكسر الهاء وهي قراءة .

ايت ... فعل الأمر من أتى مع الوقف يا شَذَا العرف وغَاية الظرف وأُوتينا علم الحَرف وبعض الكَشْف وننتظر المعجزات وإلى الله تصير الأمور .

في الظاهر وفي اللاشعور .

---

(١) داذية : إشارة الى بيت الكامل « شربنا من الداذي » .

(٢) تضيء غاشية الليل بضوء درع لها بريق إذ هي حصينة والمسرودة والدلاص اللبوس كلهن : الدرع .

(٣) الزف بالزاي المعجمة مكسورة ، فيه تشبيه الشعاع بالريش اللين والزف ريش أفرخ الطير . والرف بفتح الراء المهملة ، الرفيف واللمع ، ونسيت بأيتهما صحة الرواية والراء المهملة أشبه أي شعاعها لؤلؤان الرفيف ، رفيفة كاللؤلؤ .

انك لا تسمع من في القبور منذ آلاف الشهور .

عندي لك زهرة . عندي لك نبقة . ذهب عقل أو فيلْيا . تعال نَقْرأ كتاب الصيد . نفعك علمه مفكر هو ابن خلدون ، هذا بيته الذي ولد فيه وهناك زاوية الامام الشاذلي وهذه سفاقس صاحبة غيث النفع وقرطاجنة أطلال .

يونس في تونس ومرعي قتله عبيد الجنائن .

يا مية أين بنو أمية ويا جاز ذهبت الحقيقة وبقي المجاز ولا يعجبني عبد القاهر ولا دلائل الاعجاز ... ثرثرته أكثر من صحة استشهاده ... وأصباغ البديع ليس لها عندك من شفيع إلا ما كان من العزيز الرفيع .

يا خيوط العنكبوت مع السلامة .

وأمس قتلنا أبا نعامة وسجد الحجاج ... قالت الافرنج كان إدارياً قوياً .

«والنّاسُ من يَلْقَ خيراً قائلون له ما يَشْتَهي ولأم المُخْطِىء الهبل»

لقد اكتسب صحة وشباباً بعد أن جاءه السلطان .

صَبْراً على مجامر الكرام ...

فوق كل ذي علم عليم ... هو في الدور الثلاثين يصعد إلى غرفتين وهذا طين الله فوقه دجاج بلدي وكانون وقال الاستاذ البارع ان آخر رقبة قطعت من المماليك فصل لنا عن تاريخ وتراث ... وتلك شجرة من الطّرْفاء تَنْتَظِر أن يصلها مدُّ النِّيل ونظروا جميعاً إلى القميص الذي فوق الركبة بنصف قدم ... يا قِطْعَةً حَضَرِيّةً — لماذا غابت السكاسك والسكون ولم تَعْصِر الغجرية الليمون .. الغَجَرِيّة الفنجرية ... تعال قف ننظر إلى نسج الريح أمواج النيل وفوق الشاطىء النخيل ... لا زال جانب من شاطىء الجزيرة لم يفسد ... قال الاستاذ البارع مولعون بالكورنيشات ليضعوا مكان خضرة النيل مواقف للسيارات . وبعض الجهلاء مغيظون من تُوتي وعُشَرْها وسنْطها من الزينة الغالية . وإصلاح بوّابة عبد القيوم بالأسمنت أفسد عتقها . وهذاك سجن أم

درمان حيث مات الزاكي عطشاً قيل سمعوا صوته ضعيفاً يطلب الماء ..

رحم الله عبد المنعم حسب الله .. كان ذا ملكة في العربية ... وكاد يصل فسارعت اليه المنية قبل الأمنية فالدمع عليه سفوح ..

ما سمعت أن العلماء أرخص منهم في دار منهم في هذه البلاد ... وما أكثر دخان العادم في المدائن . لو أوصدوا ما بين العتبة إلى الأزهر عن السيارات كان ما بينهما من أجمل ما يرى المرء مدينة ... وهذه الكتب ... أنا متعب .. ماذا قال برنارد شو ... سأموت وكان يأمل أن يُعَمَّر عُمْر الحسل وقصته عن جان دارك فيها أسى وما خلا من تعصب لقومه فقد كان بروتستنتياً . ولا داعي للذَّيْل الذي ألحقه وزعم أنه لا بد منه فهو محتوىً معناه كلُّه في الذي تقدم من صُلْب الرواية . ولا يعجبني وَبِستَر وفي نظمه كزازة . ومارلو منساب ، عنه أخذ شكسبير غير قليل وفي قصة فينوس نفس من هيرُولياندَرْ . وفي ملتون عُسْر شديد ... تَمَطٌ صعب ... ومنه قول عمر بن أبي ربيعة ...

« قال لي وَدِّعْ سُلَيْمى وَدَعْها فأجابَ الْقَلْب لا أستطيع »

ألا تحس ههنا تَقَطُّع عَبرات ونحيج بكاء ... حكاية ذلك .

« فَتَتَارَكْنا على غَيْر شيءٍ رُبَّما أفسد طُول التَّمادي »

ودَّ صاحب المرشد لو يرجع عن هذه المقالة إذ كاد يمضي عليها سَبْعَةَ عشر عاماً منذ أن خطت ... كان ذلك بعد الأبيات .

حَبَّذا لَنْدن سِحْراً وفَنّاً

ونمط صعب قول أبي نواس :

« تَتَأَيا الطَّيْر غُدوته ثِقَةً بالشِّبع من جَزَرِهْ »

إلا أنه دون ذلك . ودونه : « تَقَضَّم الهنديّ والغارا » وجمعت لامية تأبط شرا مع المديد التشديد ... وتراءت لنا بضفيرتين وجيد .

والأوتاد تثبت بها أرض العَرُوض وكل وتد سبب ونصف سبب فنصفُ السّبب نحو ب و ل و خ وكل حرف متحرك حركة بسيطة محاولة نغم . وعلى الأنغام المدار ..

ودع ذا ولنمض إلى علماء الآثار ... الآثاري ... ياء حمراء ... وأنا الشمس وأنت القمراء طعنوه في العَقب بمُدْيَة حادّة ورفع صاحبُه يده بزُجاجة بيرة أو نبيذ أو شَري فحطّمها على رأس الذي بيده السكين وساقهم البوليس في اللّوري الّذي فيه البغايا سَهِرْنَ ليلة البارحة فلسن يركضن أكسية الأضريح وحام بين دُورِهن اللاتي هن بعناقريب غير العصمة ودهن الوحشة والضياع ... ورفع يده الجلف بسكين تلمع بمقبض فضة وإذا بلكمة يغمى لها من مُسْتَعِدٍّ الكف للقتال وهربا اللّذان يكرهان عُنْفَ السباع بأقدام بَيْنَ الأرنب والسِّنّوْرِ ... يتلفتان نحو الحي .. « وَجِعْتُ من الإصْغَاء ليتاً وأَخْدَعا » ... وكنّ جميعاً في سجون العرق هؤلاء اللاتي طاف عليهن الشرطة في عناقريب غَيْرِ العصمة بالجلابيب السِّرية يَقْرُصُون الأوراك بين شارع فاروق ومعمل سنة المظاهرات ... لم يكن أخيل حقاً كريم الشمائل عند مقتل هكتور ..

« تَخَيّرها القَوّاسُ من فَرْعِ ضَالَةٍ لها شَذَبٌ من دونه وحزائز »

كالحرجة التي نعت المدلجيُّ لعمر بن الخطاب . . . أحسبها كان أبوها فارساً يُعلمها ركوب الخيل ونظر القاضي إلى سليل الحَبْر يَقُودُ مُهْرة تعطو بجيد غزال وتقول دَمْ يا صُوصِيمْ حلاَلْ ... قالوا في الصوت والضوء: أَرَاكَ ، خَيْرٌ لي من الطّعام والشّراب...يَنْبَغِي ألا يطول هذا الكتاب حتى لا يصلح للطّبع واعْلم أنه لا يحاكي جيمس جولير وقد سمع « أنا ليفيا بلورابيل » فأعجبه صوته ولم يفهم شيئاً أما يوليسيس ففيه قطع صالحات وكان بنحو من هذا الاسلوب مولعاً منذ عهد الصبا الأول وأطلعه الاخ الذي لا تزال عليه شآبيب الرحمة ساكبة — تجوز الجملة الانشائية في صلة الموصول — عبد الرحيم الأمين ، على كلام شيخ الشونيزية والتوزة رواية عن أبي حيان في

ياقوت وفي أبي حيان على براعته ظلمات ... ظلام ما .. وهو يُحبُّ الصفاء ... ورأى القبلة التي في الهواء .

قال الفقير ما كنت أعلم أن بعض الجنس الآخر ينظرن بشغف إلى هذا الجنس . ما عندهن نفس مقاييسنا للجمال . هل يجدن مثلاً نَفْرتيتي بين الرجال . جمال أدونيس مقتبس من نوع مؤنث إلا أن يكون قد صدق أبو تمام « مَنْ كانَ أشْبَهَهُمْ بِهِنَّ خُدودا » وكانوا هو والحسن بن وهب جماعة من الظرفاء وما كانوا منحرفين وربك أعلم بالسرائر ... هذا الرجل عالم يا بهائم .

لماذا آثرت توديع محبها بهذا الابتعاد وهي محبته هل قرأت قصة الوارثة فالرجل كان يريد مالها دون جمالها . آخر القصة وَحْدَه فيه لفتة وسائرها تطويل . وعكس أحد العصريين خبر المتنازعتين في الطفل عند سليمان وهي قصة الْحَرْثِ الذي نَفَشَتْ فيه غنم القوم يا أبا اليَسَر . وكم حولك من أعمى البصيرة والْبَصَر وإن شاء الله نصر ... وقد خانوك فما بالَيْتَ وانطووا على أنفسهم وما انطويت.. لأنت أهون علي من هِرَّةٍ أو كَلْبٍ من الْكلاب . قالوا كَتَبَ أوّلا من كِلاب الحرّة ... هل نظر بعين الغيب إلى صنيع مُسْلم ابن عقبة الشَّيْخِ الدموي الْمُسرف « اسْتَعْدِ ربّك في السّماء » هكذا نسبوا إلى يزيد أنه قال ليس ببعيد عنه ذلك فقد سفح أزكى دموانتهكقداسة الحَرم .. يا حَمَامةُ يا حَمَامةُ هل خُنْت بَيْعة يزيد ... عثمانيون أمويون وزبيريون وقُتِلَ نَجْدَةُ بن عامر ... وصدق مَالِك بن يُخَامِر

البحر عند الادرياتيك دافيء أخضر أزرق حَسَن احتِضان الْجِسم السّباح

كأنك يا مَلِيحَةُ حُوتُ بَحْرٍ على كَتِفَيْكِ من حُبُكٍ وِشَاحُ

هذه ذات الفراشات ثلاث ساعات يا ثمانية أزْواجٍ من الضأن والمَعْزِ والإبل والبقر. وأبواب الجنة ثمانية. وأبكاراً قبلها واو الثمانية ويَحْمِلُ عَرْش

رَبِّكَ فَوْقَهم يومئذ ثمانية ... أَضْرُبُ والثّامِنَةَ جيمْ .. وكان قد مضى على عدم ترقيته دهر عام المظاهرات وهو سنة أربع وعشرين وكان يلعب الطاولة . واستمر تَوفيق صالح جبريل رحمة الله عليه نائب مأمور حتى أُحيل إلى المعاش وزاراه في أسابيع حِمامه فتهلّل كمصابيح وأنشد شعره في سُوقِ عابرات القاش . ولَعْنِ الجحاش . ورأى رتينةً لعلها كانت مضيئة قد انكسرت فتيلتها فصارت داخل بياضها بَيْضةً حمراء وخفت ضوؤها وعما قليل تتَهافت... قال لصاحبه هذا توفيق يموت وذهبا إليه فإذا لون وجهه حائل وهو إلى شخوص مشاهدة الموت مائل ... هذا تأويل رؤياي

أما الشمس المتلهبة فحين رأى إطفاءَها بلَطْمَة أنْفِ جِزَعاً جَزَعِ فردَّها الله عليه كما ردَّها على يوشع بن نون ... قالت له لولاك لكان ولكان ... « ورَضِي اللهُ وفَرِحَت الأمْلاكْ ، وَظَهَرَتْ أسرارُ لَوْلاكَ لَوْلاكْ » ...رُوحي فِداكْ .. « فدًى لَكَ من يُقَصِّرُ عَن مَدَاكا » ..هكذا قال أبو الطيِّب ، يأيها الْحُبَيِّبْ ، بتشديد الياء على التصغير هكذا في الأغنية البلديه .

« القلب أهو راضي
مِنَ الْهُمومْ فاضي
يا لِيلْ يا لَيلْ يا لَيلْ »

الرافعي من السابقين إلى تضمين فن الشعب ، أصيلُ أصنافِ البيان . وهذه الأشطار من قطعة له رائعة نشرت في الرسالة ومن بعد في وَحْي القلم ... ورحم الله الزيات ورحم الله زكي مبارك.... ورحم الله الوالد كانا يتسايران هو وأزرق أفندي أحمد بعد العشاء من عند جرف النيل ويتذاكران الغناء فاتفقا أن عبد الله الماحي برّز بكلمته « نَظْرَةْ نَظْرَةْ » وترنما بها في وقار ذلك القفر المقمر تلمع فيه أشواك الطّلْح ... وها ذاك النيل يلمع إلى ثلاثة الأهرام وعبدتها في القرن العشرين بالمينيجوب وادّعاءاتِ الْحُب ... كم انفسحت بكَ

يحابُ الحياة .. يا هناة ... هناة هذه جميلة على قلة استِعْمال الشُّعراء هَذَا للفْظَ

الملفوظ والملحوظ ضربان من التمييز

جاء الْفَتَى وقرأ هَلْ أتى

لا زال الوطن الْمُسْلِم بِخَيْر فلا تبتئس . قال قد ماتت اللُّغة العربية .
ندرس علومنا بالإنجليزية فهي لغتنا السوفيتية ونفكر بها ولا يوجد أدب يخبرني
الحقيقة عن نقد الذات ولذلك أقرأ القصص الأميريكية لأسُبَّ نفسي بها بعد
أن أصبح أميريكياً ولا يوجد أدب علمي باللغة العربية لأن الكلتش والكلكس
والفتيس والكوتش والسوتش كل أولئك غير مُعْرَبين والشَّمْسَ والقمر
رأيتُهم لي ساجدين شيء عجيب .

هذا الرجل خرف والذي يذهب إليه عنا منصرف

ما بَالُ دَمْعِكَ أم كَفْكَفْتَه يكف أم أَنْتَ لَسْتَ عَنِ الأشْواق تنصرف
إنَّ الْفَتَاة الَّتي أَبْصرتَها سَحَـراً طَيْفاً فُؤادكِ منها شَفَّه شَغَفُ

هذه في بانات رامة

هل قرأت الجريدة اليوم ونظرت حظك الذي يكتبه الفلكي الذي درس بالأفرنجية فلا يعرف أسرار النجوم ودخائلَ الْحَرْف الْمَرْقوم ... ودادُهم هَلْ يدوم ... يَدُوْم لا يدوم ... يدوم يدوم ... حَيْ قَيُّوم ... حَيْ قَيُّومْ ... أنت تصوم وأنا أصوم ..

كانوا يعومون تحت القنطرة والتيار شديد له دوائر وينفرق من جنوبي أعمدة القنطرة إزاء كُلِّ عمود كأنه عَقْدٌ في كنيسة من الطراز الغوطي تريد عقودها أعاليهن أن تبلغ السماء ... وكان الشباب قويَّ الساعد ... كان يُصارع الْمَوْجَ الأحمر الْمُحْتَدِم ... كان شبابهُ كأبيب ذي الدّبيب وكَمِسْري.. وكان الجمال في قلبه وكان ساذجاً طازجاً مثل الخيار .. طاح سباع بن عبد

العزى ووحشي يُهزُّ الحربة يا اسماعيل صدقي ... ما هو السر الدفين في زيارة صدقي لفلسطين في هذا الشتاء القارس .

— يا فلسطين

هكذا تغني فتياتُ العروس لها أي هي الفتنة وعنها القتال

— يا فلسطينْ حَظَّكْ مِتَينْ   حَاجْبِكْ هِلاَلْ جُوزِكْ رِيَالْ

يعنين زَوجُ عينيك . كأنها — أي عينك — في السعة ريال ؛ رويال .. أي منسوب إلى الملك وهو شيء عند الافرنج مُقَدَّس ... الرَّجُل الذي وُلِد ليكونَ مَلِكاً تاجه الشَّوك وما سَعِد عبد الرحمن الناصر من ملك خمسين عاماً إلا بِيَوْم أو يَوْمَيْن .. ومَسْجِد قرطبة من البدائع المتقنة سَمِيرَ اللّيالي

كأنَّ السلاَّ نِهَايَة في ذُرَاهُ   تَهُمُّ إلى عُيونك باستِباق

قال تعالى : « وكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمين بَعْضاً » .. قال عبد الله ابن الزبير أبو ذِبّان قتل لطيم الشيطان ... قال أنا من باكستان

.... يا مُشْكلاَ مَرْيَمْ جُونْ

أي يا مشكلة وهذا من أغنية فارسية وسأل عن جون هل هو اسم أبيها قالوا لا هو تحبيب وتصغير ... يا مريماه ... يا مريموه ... يا مريم ترخيم تصغير ... غَيِّر الموجة ... لن تموت هذه اللغة وأنا أكتب بها ونتلو كتاب الله وبه نستجير ... قد نظر القلب فوق السحاب .. هذه دومة

لا تغضب . ستر الله على ذات الكمال ... هل شاهدت إفعام الضَّوْء صَفاء الرُّخام ... قالوا في الجنة شَجَرَةٌ تحرّكها الرِّيح بخَفيف كأنْغام كلّ لَهْو والحور العين يغنين يقلن نحن البَلُّور ... قالت الفقهاء غناؤُهن تسبيح كتكبيرة الفقير الذي ذكره الغزالي ... كالتسمية والصلاة على النَّبيّ قبل أن يَرْزُقك الله وَلَداً صَالحاً ... ورووا للشاعر المهشري في الصَّلاةِ على النَّبي

« فَتَاةٌ مِنَ القِبْطِ فَتَّانَةٌ   تَجيءُ وتَمْشي مع المغرب

بِصَدْرٍ عَلَيْهِ صَلِيبُ المَسِيحِ وقَعْرٍ عَلَيْـــه صَلاَةُ النّبي »

فكاهة خشنة رخيصة معاً ... جميعاً ... في خزائنك جَميعاً من سَجَعات مثالب الوزيرين .. المنيو في الجَنّة زيادَة كبد الحوت أولا ... ثم نبيذ أبيض من سلسبيل ... ثم إسْتيكْ قالوا يخرّ لهم ثور الجنة... فالمطاعم الافرنجية كافرة تريد أن تعطيك طعام الجنة الآن لأنها لا تعتقد في الجنة غداً وإذا أجبت فكتمت فعففت، وفعل آخر مثل فعلك ... فمن نصيب الفقيرة الصالحة يوم الخلود؟ واذا كانت مُحْصَنَةً من مُحْصَنٍ ومعها ثلاث ...قالوا وإذا تزوجت بعده أزواجاً صارت لخيرهم خُلقاً فهل لها اختيار ...« إنّ الرَّجل من أهْلِ الجنة ليتكيءُ سبعين سنة » أي سبع دقائق أي سبع ثوان أي كلا زمن « قبل أن يتحوّل ثم تأتيه امرأة فتضربُ في منكبيه فينظر وجهه في خدّها أصْفى من المرآة » ... رأينا هـــذا يا سيدنا .... مطموس بنات آدَمْ ما هِنْ كدى !!

أكثر أهل النار النساء ... خلاصة من الصحيح ... قال الفقير ابْنُ كثير «قد يكُنَّ أكثر أهل النار ثم يخرج من يخرج منهن بالشفاعات فيَصِرْنَ إلى الجنة حتى يكثر أهْلُها والله أعلم » ... يا مَرَةْ ، وأرادت أن تَنْضمَّ إلى الحزب الشيوعي احتجاجاً على هذه العنصرية الجنسية ... قال البخاري رضي الله عنه ونفعنا بجاهه وأجاب دعاءنا إذ نتوسل به - يرويه ابن كثير في النهاية - « ولو أنَّ امرأةً من نساء أهْلِ الجنة اطَّلَعَتْ إلى الأرض لأضاءت ما بينهما ولنَصيفُها على رأسِها خَيْرٌ من الدنيا وما فيها » ...نَحْنُ نعلم ذلك وهي كذلك . وفي الأثر فيما ذكر « ولو أنَّ حوراء أخْرَجَتْ كفّها بين السماء والأرض لافتَتَن الخلائقُ بحُسْنها» - هذا دون الأول - « ولو أخرجت نَصيفها لكانت الشَمْس عند حسنها مثل الفتيلة» - أحرقتنا بالأنوار يا سيدنا « ولو أخرجت وجهها » هذا في مستوى الأول يضاهيه شيئاً - « لأضاء حُسْنها ما بين السماء والأرض » ... دون الأول ورأى شمسها كأنَّ قُرْصَها وَهَجٌ ذائبٌ يدور ..

– وإنّا بكِ في الْجنّةِ إذ أنْتِ من الْحُورِ –

قالوا إن الحجاج بن يوسف رأى في منامه كأن جاريتين من الحور العين نزلتا من السماء فأخذ الحجاج إحداهما ورجعت الأخرى إلى السماء فبلغ رؤياه ابن سيرين – يا سيدنا أرسل إليه يسأله يا غلامُ اذهب إلى ابن سيرين فاسأله فإن لم يجب ضربنا عنقه – فقال رضي الله عنه هما فتنتان يدرك إحداهما ولا يدرك الأخرى فأدرك الحجاج فتنة ابن الاشعث ولم يدرك فتنة ابن المهلب .

« لاقى بَنُو الأشْعَثِ الْكِنْدِيِّ إذغَدَرُوا

وابنُ الْمُهَلّبِ حَرْباً ذَاتَ عُصْوَادِ »

هذا جرير ... ذات عُصْواد تجعلهم عصيدة ... قال الولد الكبير للولد الصغير اسكت قال الناس المدارس الجديدة ستخسر أولادنا ... وبناتنا وأطفالنا الطبقيين وأمهاتِنا الكاشفاتِ الرءوس ويضع ربُّ العزة قَدَمَيْه في جهنم فتَتَخْسَأ والتفتت امرأةُ لوط فصارت عمودا من ملح ... شيئا رمزيا صار حبيب الساحرة حَجَراً ... نصفه حجر وهي تَبْكِي وتضربه بالسياط وذبح محمد علي جميع المماليك وهو من ألبانيا وهم من روسيا ووقفنا ننظر الى الاهرام يا بَلَحَ الشام .

قالوا كانت الملكة بدور بارعة الجمال وكان زوجها قمر الزمان يعبدها وكانت أمها من الجان وكان ولدها ضوء المكان غلاما زكيا ذكيا وكانت تحبُّه وتشمه مثل الريحانة وكان في قلبها تمرُّدُ الجن . فخرجت ذات يوم الى صحراء العربِ فوجدت من بني الشيصبان وهم أخوالها عفْريتا يقال له شمعدان فقالت له إنني أريد أن أخَلِّصَ قلبي من تَمَرُّدِ الجان فقال لها سيري الى بحر الروم وتجدين هنالك قُمْقُماً فَخُذيه وادفنيه في بستان الدار ولا تخبري بذلك أحداً الا ضوء المكان فلا تخبريه به ولكن اذا عرف محله فكلّميه عنه وقولي له هذا هدية من شمعدان يا قمر المكان لأنال به قلب انسان.

وفتحت القمقم فخرج منه عميانوس صنم الجاهلية المعبود فأحبته بدور بكل تمرد قلبها وكان حَجَراً فتحركت فيه الحياة والخلود ودنا منها ونظر إليها وجاء ضوء المكان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح . وفي الليلة الثانية بعد الألف قالت بلغني أيها الملك السعيد أن عميانوس أسلم وصار اسمه عبد القادر وجاءت بدور فلبست ثوب الريش وسقطت من جفن ضوء المكان دمعة كبيرةٌ فوق قدمها فضمته اليها فابتسم ونزل المطر فلم تستطع أن تطير وقالت أنا وِزِّينة ورأت قمر الزمان في الماء ومَعَهُ بكر بن وائل « وعُجْنَا صُدُورَ الْخَيْلِ نَحْوَ تَمِيمِ » .

« فَوَاكَبِدا مِنْ غَيْرِ جُوعٍ ولا ظَمـــا
وَوَاكَبِدا مِنْ حُبِّ أُمِّ حَكِيـــم »

وجاء عنترة بن شداد فقذف نفسه في البحيرة وأنقذ قمر الزمان وجاءت بدور فقالت أنا عبلة وقال قمر الزمان أنا قيس وأنت ليلى هاتي الشاي قبل أن نموت من البرد فجاءت بفراولة ووضعت فيها كلونيا وجلسوا في الحديقة ... هل تعجبك مسرحيات شيهوف ... قرأت بستان حب الملوك فلم يعجبني ... حب الملوك هو السيريز الذي يقولون له الكِرِيْز والكَرَز وللتُّنْضُب ثمر يشبهه يقال له « الْحُنْبُق » وهو إن شاء الله من طعام أهل الجنة لأنه على شجر مسلم إذ كل أشجار العضاه الا الغرقد والمسكيت إسلامية حنيفية ... أما الغرقد فيهودي وأما المسكيت فنصراني .

نَحْنُ زَرَعْنا النِّيم في مَنْقَـلا — نَحْنُ زَرَعْنا المِسْكِيـتْ
نَحْنْ صَنَعْنَـــا الْبِيـرا — نَحْنُ صَنَعْنا النَّبِيـتْ
نَحْنُ زَرَعْنـــا الْمَنْقَـا — ومــا أَكَلْنـا الرَّبِيـتْ

قال ذو شناتر للذي نواس رأسي المقطوع الى الشرفة يقطر منه الدم يا زرعة يا ذا نواس ... وجاء أصحاب الأخدود في أرجلهم أحذية النار ... وسُبْحَان

الله ما أصغَرَ رقعة هذا العالم . وبين القلوب النداء ، لو سكنوا في واق الواق لالتقينا عند جزائر الكافور ... انظر كيف تغير هذا اللّوْن ... هل تذكر قصة الولد الذي هرب من المجوسي ولقي الفتاة الشريرة وأخذت السوط فضربت صاحب الدار المملوك الغني ولما شهرت السيف تريد تقطع رأسه أخذه منهـا وقطع رأسها ... أهي نقطة ضعف في القصة أم هي شريرة جدا مثل المرأة التي آذت زوجها المسكين في قصة ستاينبك وقد نظر فيها الى قصة موباسان « بلامي » وموباسان من خير ما يقرأه المبتدئون في الفرنسية وقيل الفرنسيون لا يحبونه و فرنسواز ساغان في « بسمة رجل » منحدرة جدا ولا زال ألف ليلة وليلة في القمة يا ذا الرُّمّة .... القاهرة نـحـمـلكَ من مدينة وويل لكل مدينة من المخططين العمرانيين والمدن تنمو ولا تُـحـمّـل تصميماتها على الناس حملا والراجح أن الساعة قد اقتربت ... ولعل الناس لا يحتاجون الى أكثر من نصف قرن ليرووا الصحراء بثلوج البحر المتجمد وليعمروا كُلّ اليابس ويستخرجوا خبيء البحار وليزيدوا به الزُّلال ويقمعوا السرطان وقال أبو الطيب :

« سُبِقـْنا إلى الدُّنْيا فلو عـاشَ أهلُهـــا
مُـنِعْنا بها من جيئَةٍ وذُهُـــوب »

والسفر بين هذه الأرض الى إحدى أخواتها السبع يطلب التفوق على سرعة الضوء والتفوق على سرعة الضوء يعني اللاّتَـجَسُّد وهذا معناه الخلود بَعْدَ كمال الشهود . وأغلب الظن أن شيئا من هذا لا يتيسر قَبْلَ يَوْمِ الحساب ورجّحوا أن القرن الخامس عشر لا يتم ... أهلا يا ظَـمْـياء في قلبك لي ركن ناعم ... ننتظر المعجزات ... قال ابْنُ جلجل في كتاب الأطبة يرويه عن ارسطو طاليس ... هل أنْتَ من غانة أو من تفليس ... أنا سوميت ... انا بَلَـحَةْ وتقول لك إيتْ Eat مثلما يكتبون على بلح الجزائر وهو جيِّد في كوفر « ومبي » ... نزلت قطرات من آخر مطر الصيف .... هل تذكرين وعيناك مصباحان وثوبك أحمر وشعرك حرير وخدك نضير ومسُّ شفتيك إثْم

صغير .... فتحت نبيلة الظرف بعد أن تأملته مرارا .... هذا الصمغ الذي كان ناشفاً قد رطّبه ناصف بدمع عينيه ثم وضع عليه دمغة بقرش فوق الطابعة.. قالوا دمغة اشتقاقها من « تامبغ » الكلمة الفرنسية لطابع البريد الذي نقول له طابعه وتامْبغْ من طابـع ويونس في تونس ومرعي قتلوه عبيد الجنائن . وكانت جدّته طويلة جليلة وتقص حكاية أبي زيد الذي قتل المعلم في رواية عرب « الشوا » وخطف منه حصانه الابيض ... أعني خطفه من ورثته ونساء الشوا في سوق مايدغري شعورهم نواعم وثغورهن بواسم ووجوههن جميلات واذا رأيت في المنام جارية عربية أدماء لا تعرفها فتلك نعمة ... هكذا نقلوا عن ابن سيرين وهي أيضا فتنة يا سيدنا .. وفتنّاك فُتُونا .. وقال ناصف لنبيلة في الرسالة المجهولة .... هل أحسستِ نسيم الساعة الاصيلية عند عدوة النيل وأنا أنظر اليك من سفح المقطم مع أبي الطيب وليس بيني وبين الطيار الا الريف الاخضر الذي هو أنت . هل تذكرين عندما رأيتك في المنام كأنك في اليقظة وكل جارية حسناء في المنام مال غير دائم قالوا لأن الجمال لا يدوم على ندرته كما قال الشاعر الانجليزي وأخطأ لأنّ جمالك النادرَ دائم اللهم إنيّ صائم . وكلّ مجهولة أفضل من كل معروفة . وأنت جمعت النعمتين . هل لا تزالين تفكرين بفكرة واحدة . أما بدا لك أن التقاء الحب قد يعصف بمسئوليات الدنيا . أما المجازفة من المعلوم الى المعلوم فلامعنى لها . ان الوجه هو الصعود الى الفكر والثورة والمفارقة الأصيلة . حقّقي غَيْبَ نفسك بالشعر . ترَنّمي مع الطير الصوادح . تهللي بالاشراق . اللقاء القصير تغيير كالحلـم المزعج يَصْحُو بعده الذي قد نام بلا راحة . ههنا في هذه الخلوة النادرة نرتفع فوق بني آدم الى أوج الحب مع الملائكة المطهرين ... ان هذا الفيض هل يغيض . لا يمكن ان يغيض . لقد جاء طيفك الذي هو أنت وهو حازمُ الوجه هذا بمنزلة النقاب ثم أسفرت ثم جلَست الى اليمين وجاءت جاريَة أخرى

فجلست إلى يمينك وجاء فتى فجلس الى يمينها وهو غير شاب ليكون عدداً
وهو بعينه أو رمز له وانتهى الحلم والنفس به متعلقة والشمس والقمر رأيتهم
لي ساجدين ورأيت على خدّيك وهجا هو وَهَجُ الغرام الذي في مخ العظام.
وكتبت نبيلة الى ناصف في الرسالة المجهولة قد انتظرتك يا محبوب إلى نصف
النهار وأنا أحترِمُك جدا واليوم أنا مريضة فلم تحملني على هذا الانتظار وقد
هربت من منزل أبي وهو غيور اليك ومن منزل زوجي وهو مشهور إليك
ومن بنتي حَبّ الرمان ومن الترامائي كلها وحضرت لديك عاريةً من كل
شيء الا الملابس والشرف . وسَقَطَ التّصيف وأنت عنيف وعفيف وعندي
أيضا أنتَ لطيف ... انظر الى وجهي . انظر الى عيوني هي جميلة هي مثل
أمواج الأصيل وأهداب أجفاني مثل خَيْطِ الرمل الأسود عند طرف الماء
الصافي في الجزيرة التي وسط البحر عليها الظّرْفاء وقد هبّت ريح الشمال
نِصْف النهار في شتاء النيل الدافىء جنوب مدار السرطان .... أنت تُبْقِي
على نضارتي وانا كعاب في أوج الشباب وفي قدمي خضاب ... وفي يدي سوار
من ذهب ... أنا لا أستطيع أن أكتب اليك بصراحة لأنهم سيفتحون رسالتي
في البوسطة ولا بد أن أتكلم لك بكل ما في قلبي وهو أنّي أحترمك جدا ...
بقي موضوع واحد ... بقي موضوعان ... المخلصة نبيلة مع الحب العميق .

ذلك هو بحر الأدرياتيك وقد صَعِدنا الدرج . فُتِح المصحف ... إنما
حَرّم عليكم ... غير واضح ... فتح ... لا يملكون الشفاعة ... غير واضح .
فتح : أرْحَم الراحمين .. أوضح وفيه غموض ... برقية مات فلان
جنازتُه بالطائرة ... يَرْحَمُكَ الله وَجَبَتْ يا رسول الله .. صلى الله عليه
وسلم وإقبال السعيدة بجمالها سَعَادَةٌ لا تنتهي يا فتنة ابن الأشعث .. هذه
الندوة فيها خير كثير ودُنْياكَ ، فلتلطف وأنت الامير ، ذات ألوان .
المجهولة أفضل من المعروفة لأنك تحزن لذهاب المعروفة فيكون الحلم مشوبا .

الضَّغط الاقتصادي شديدٌ جداً ولن نجد من ذلك بُدّاً .. سامحتك . لأنني غير ذي وضع رسمي . هَبينا هيبة . زعم مطية الكذب . اسكت يا ولد . دعني أفكر . أحسب الروح المعنوي للانسان تابع لحالة المعدة . وشرابُ الخمور في دارِ الاسلام علناً من بِدَعِ إسمعيل باشا الخديوي ويقال من بدع محمد علي باشا ويقال من بدع غوردن أو كلية غوردن على الأصح .. وقالوا واتفق رجلان على ان يدفنا حمارا ويزعما أنه وليٌّ صالح ويقولا تُرْبة أب أضان : أي أبي أُذُن وجمعا مالا صالحا واعتقدوا في أبي الاذن أنه صالح حقا . قالوا وغاب أحدهما فلما عاد وجد صاحبه أكلَه أكْلَ التُّراث أكْلاً لَمّاً فأنكر وقال له تَحْلف عند تربة شيخنا فجاء الشرطيون وألقوا عليهما القبض وأمرا مصلحة الآثار ومصلحة الصحة أن تكونا لجنة تنظر في نُذُور التربة ومحتوياتها وضَرَبت اللجنة صيوانا فجاء الناس أشتاتا للعَزَاء وجاءت الْجَسّاسة وهي دابة لها شعر كثير وانقلبت سيارة مصفحة وطارت في الهواء وقعدت البنت تبكي فجاء الولدُ الصغير وقال له الولد الكبير تعال هنا ... اقعد قم ... ارقد قم .. خَطْوَةْ تَنْظِيم ... تمرين الأرض ... تتكلم في الطابور تعال لمكتبي .. ثلاَث تيلات ... طُلُبَةْ الساعة ثلاثة غداً ... الطليان في أمبا ألاجي ... خط ماجينو يتحدّى .. نحن الآن في مذبحة سَمُولَنْسْك ... غرقت السفينة بالبَرَاشُوت .. قالوا إسقاط اسمه ستمائة وخمسة وثلاثون وهي أرقام سيّدنا ادريس وَرَفَعْنَاه مكانا عَلِياً الراء مائتان والفاء ثمانون والعين سبعون والنون خمسون والألف والهاء ستة والميم والكاف ستون والنون خمسون والالف واحد والعين سبعون واللام ثلاثون والياء عشرة والالف واحد والواو الاولى ستة والنون التي بعد كاف «مكانا» واحد فالحاصل خمسة وثلاثون وستمائة . راحْ نبيعْ راحْ نْكَسّبْ وكان وجهه قد فقد الرضا والصفاء واعتكرت فيه الأهواء وحب الدنيا شُرد وفزع الناس في مدينة أتبرا لما سقطت فيها قنبلة الطليان وكانــوا جالسين

للامتحان ... أعرب عَمْرَكَ اللهَ ، أنا وضعت هذا السؤال من أجل الذين يحسبون أنهم عباقرة رَبْرَ مرَا .. قنبلة في المطار وهرب المراقب وترك التلاميذ الذين لم يخافوا من القنبلة فبصّ بعضهم في أوراق بعض فأُلْغي الامتحان .. والذين يَبصُّون في الامتحان دائما يُنْتَخبون للسيطرات والإدارات « والباقياتُ الصَّالحات خيرٌ عِنْدَ رَبِّك ثواباً وخيرٌ أملاً » قالوا لأنهم متوسطون ونظر ابن خلدون أن الأذكياء لا يصلحون للسلطان لأن بُعْدَ نظرهم يجعلهم يحملون الناس بقسوة على طريق الصَّواب والناس يكرهون القسوة لأن نظرهم قصير ويحبُّون العاجلة وأن الأغبياء لا يصلحون للسلطان لأنهم بِعَدم فَهْمهم يضيعون مصالح الناس ، ولكن يصلح للسلطان المتوسطون بين الذكاء والغباء أو بين الغباء والذكاء وفي أوقات الأزمات لا بدَّ من العباقرة وأحيانا فوق العباقرة وهم الأنبياء ولأن الانبياء خُتِموا بمحمد صلى الله عليه وسلم فالخلاص سيكون على يَدِ المهدي وإذا كان هذا قد كان فعلى يَدِ عيسى تَمُدُّ عيْرَ تَدُقُّ ... صلوات الله عليه ورأينا الرؤيا يا بقرة ... بقر السودان طوال القرون واجتمعوا في منزل جذيمة الوضاح وقالوا نحن حاقدون لأننا من الأغلبية الحاقدة الجاحدة ونكره الأغلبية الراقدة أو اللابدة الذين هم يكرهوننا الذي ناه الحاك وقالوا لا تصاحب العبد « وعبادُ الرَّحْمَن الذين يَمْشُون على الأرْض هَوْناً وإذا خاطَبهم الجاهِلُون قالوا سَلاماً » ... وضحك بهستيريا فجأة شخص بَصَرهُ نحو الجدار لأنه رأى الشبح وقد لاحت في شَعْره شيبة طويلة ومعها شعرات سود فقصَّهن بمقص تقصيرا مع السنة وأرسلنا التلغراف.

ينساب النهر التالد من فوقه منارات المساجد .. وجاءوا بالفليت والمطهرات يَبخُّوا بَطْن الطائرة لأنها جاءت من بلد الزنوج الذين عندهم الناموس الأسْود والملاريا السوداء وكان الأوروبيون يبخُّون كل ما يخرج من بلاد الزنوج ليقتلوا ناموس الملاريا الذي هو موجود في إيطاليا وفرنسا والقطر

السوداني السناري أبيض بالمجاز أسود في الحقيقة ولذلك عندما تهبط طائرة حلفا في أسوان يَبْخُونها وعندما تهبط في جدّة من بور سودان يبخّونها ومن أسمرا في عدن واذا طارت مباشرة من الخرطوم الى الفوبحا لا يبخّونها لأن البرد القارس يبخّها نيابةً عنهم « وقَضَيْنَا إلى بني إسرائيل في الكِتَاب لتُفْسِدُنَّ في الأرْضِ مَرَّتَيْنِ ولتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً » قالوا كلتاهما مضتا ولعله إنما مضت واحدة وهذه الآن الثانية وقوله « ليسُوءوا وُجوهَكم » نحن المرادون «وليَدْخُلوا الْمَسْجِد» اي ليدخلوا هم أي اليهود في المسجد الأقصى « كما دَخَلُوه » أي كما دخله أولئك الذين جاسوا خلال الديار أوّل مرة وهم من أخربوا المسجد والقدس آنئذ جمعوا كلهم معاً من عهد بختنصر إلى عهد طَيْطوس أو هم جُنْدُ طيطوس « عَسَى رَبُّكم أن يرحمكم » وَعْدٌ حق إما بالنصر وإما بالشهادة إذ عسى في القُرْآن حتم ما دام الفاعل رب العزة تبارك وتعالى . لا تزال تذكر الليبية صاحبتها ذات الجبهة ولا زالت رقيقة دقيقة وتقدمت بها السن وتحب ذاتَ الجبْهة بحُب المرأة للمرأة وهو شيء فيه إفراط إذ الغالب بين النساء فقدان الثقة واذا رأت امرأة امرأةً في المنام فهي عدوة لها ... وينبغي أن نتأول الطائرة وإذا صارت حمارا وإذا احترقت وانقلبت امرأة وطارت السيارة ووجد السائق نفسه في « هُوفَرْكَرَافْتْ » عند محطة بكاديلي يهبط السلم المتحرك وقال له العسكري عند صهريج بُرّي قف بالسونكي لأننا مشغولون بحرب حلائب ...

« سُوداً كَخَافِيَةِ الْغُرَابِ الأسْحَم »

وفي هذا الفندق جرسونات مُجَلْبَبٌ ومُبَنْطَل واذا ضربت الجرس لطعامٍ مثلا حضر المُجَلْبَبْ ثم المُبَنْطَلُ ثم جاءا بالطعام يحمله المجلبب ويكون المبنطل مثل القاتل الثاني في روايات شكسبير زعم رئيس المخابرات أن هذا الثاني أخطر :

قَدْ كَشَفَتْ عن بَطْنِها في النَّدْوَةْ
وَأَحْدَثَتْ في الحاضرين النَّشْوَةْ
رُومِيَّةٌ سُرَّتُها لِلْخَلْوَةْ
وَالْعَيْشُ لولا الْجِنْسُ فيه قَسْوَةْ
وأنْتِ يَا ذَاتَ الدَّلالِ حُلْوَةْ

قال الهندي هل رأيت الزي الفاتن الذي جاءتْ به تلك الفتاة قال هو زيٌّ هندي لأن الهنديات كن يَلْبسن الساري إزاراً ثم اصطنعن للنُّهود غطاء فترك ذلك بين الجَوْزِ واللَّوْزِ صَحْناً للمتأملين . والبنطلون الأحمر يذكرك بلاجات البحر حيث جاءتِ العوان الألمانية في شاطىء بُورْتز في « مايُوه » أبيض شَفّاف من قطعتين يَخْصِفان عَلَيْهما من مناديل وَرَقِ الجنَّة ويقرآن سورة الاعراف ولا تَحْرِمونا من هذه الألطاف الخفية بالفاتِح لما أغْلِق والخاتم لما سَبَق سيدي ومولاي ووسيلتي إلى الله تعالى يا نَاسْ شُوفُوا الْبِتْ دِي عيونها كُبَارْ كَيْفْ أبوها كَانْ لَنا أخاً في الله ، جِيبْ الشّايْ يَا وَلَدْ هَاكَ . التَعْرِيفَهْ دِي جِيبْ لَنا سَعُوطْ من الدُكان : يَخْسِي يعني اخْسَأُوا فيها ولا تُكَلِّمُون أنا الحجاج بن يوسف يا رأسَ سعيد بن جبير عن مجاهد عن أبي الزناد عن كعب بن سعد الغنوي عن أبي المغوار عن هاتا روضةٌ وقَلِيب يا أصحاب القليب يا عُتْبَةَ بن ربيعة ويا شَيْبة بن ربيعة ويا مِنْ هنا نَبْدأْ والذي آتيناه آياتنا فانْسَلَخ منها وهُمْ كثير وما يَمْلكون من قِطْمير بَعْد أن أكلوا الزَّغْلول ولَعَلّه جيء به من سِلْجِماسة الذي قُرْب جَبَل مَاسَةْ وأخطأ صَاحِب كتاب المهدية سعد محمد حسن إذ زعم أن اسم المهدي مُحَمّد واسمه مُحَمّد أحمد وأن في وجهه أخاديد عرضية مثل سائر الدناقلة فالدناقلة لهم شُلوخ (أي خطوط مشروطة بالجرح على الوجه) طُولية عراض وكان المهديُّ له رشوم وهي دون الشلوخ عرضية دقاق في أحد خدّيه طولية

دقاق في الآخر قالوا اختصار « كافي » من أسماء الله نقلا عن الطلاسم القديمة الموروثة من سحر هاروت وماروت ببابل قبل أن تُخَرِّبها القنابل .

الاستاذ حسن فتحي واسع آفاق العلم شديد الحب لأعماق الفن قال حق الحمار والحصان والبائع المتجول في الشارع أسبق من حق السيارة وقال إذا رَأَيْتُ الْحِمار أَهُمُّ أن أرحمه بكفي على كتفه وعليه الزينة وليست تَهْوِية الْبُيوت ضَرْبَةَ لازم من الشّارع فإن القوم قد اكتشفوا كيف يجيئون بالتهوية من آفاق السماء والْعَتَبَة الّتي في جامع السلطان حسن من العجائب في الصناعة والذوق ... قال الأستاذ حسن فتحي تأملوا عَاشِقَ مَعْشُوقٍ الذي من تحت ومن أدق شيء تمكنهم أن يركبوا هذه العتبة بهذه الزخرفة فيها من تحت ويظهر أنهمأزلقوها على مَيَلانٍ بدرجة ٤٥ (وهي درجة المثلث المتساوي الساقين لو تذكر) ومن قوانين العمارة عدم زخرفة العتبة وهذه جعلتها أقوى ... شيء عجيب ... واستحسن الأستاذ الفرنسي عبارة عاشق معشوق في تركيبات الخشب ... فن ... قرأ الإمام إنا أَعْتَدْنا للظّالِمين ناراً ... اللّهم لا تجعلنا منهم ... قالت الْحَنَفِيّة لقيت الغَجَرِية هل قرأت البؤساء ... هل سَمِعْت لأبوهيِم ... والسِّكين تقطر دما ... نَعوا الرجل الصالح الطاهر بابكر وكأَنْ قَدْ رأى طيف الْمَوْتِ فسارع ليرى أحِبّاءه وهو إن شاء الله ممن سَيُظِلُّهم الله بِظِلِّه يَوْمَ لا ظِلٌّ إلا ظِلُّه ... أنكر أخواتك السُّنِّيّان الْبَرَكَةَ وقالا هي نَفَسٌ دخيل على الاسلام ولم تعرفه العرب ... وقال تعالى إنّ الله اصْطَفى آدَم ونُوحاً ... وذكر تسعة عشر نبياً في موضع ... واجْتَبَى من اجتبى. وساق أصحاب السيرة النّسب الزكي وقالوا خلا من كُلِّ سفاح ... ما أشد حياءكَ يا فتى وقد جَاوَزْتَ حَدَّ الأربعين ... سُبْحانَ الله ... يا غجرية ... يا قطعة حضرية .. يا فتاتي يا حمامتي عيناك حمامتان يا زرقاء اليمامة يا يمامة يا

مُدامة يا غمامة في شَفَتَيك على اللّمى شَامَةٌ وخَنْدَريس بين آلس وآلوس..
قرأ الامام ... ضاعت النظارة ... غدا تجيء ذات الفراشات وهي رخيمة الحواشي جداً .. قالت لها قلت لَهُو، له باشباع ضَمّة الهاء عُدْ سَالِماً قالت هذا تمرين في اللغة .. كَتَبَ لنا جواباً باللغة .

مُـــزٌّ طَعْمِـــي كَالزَّيْتُونَـــةْ
لَكِـــنِي لَـــوْنِي لَيْمُوْنَـــةْ
بُسْنِي بُسْنِي فَـــوْقَ النُّونَـــةْ
أنَـــا مِـــنْ حُبِّي لك مَجْنُونه

أريد أن أجازف ... أريد أن أخرج إلى الهواء الطلق تحت القمر فوق أمواج النيل :

اضْمُمْنِـــي ضَمّـــاً كَـــالنّارِ
واعْصِفْ بِي مِثْلَ الإعْصارِ
مَزِّقْني واهتِـــك أستَـــارِي
عِنْـــدِي أصْنَـــاف الأوْطَـــارِ

*

دَوَّخْنِـــي نَفْسِي عِرْبِيــدَةْ
أنْقِـــذْنِـــي إنِّـــي موؤدَةْ
غَـــرِّدْ لي إنِّـــي غِـــرِّيـــدَةْ
أنْشِـــدْنِي أرْجوكَ قَصِيـــدَةْ

*

طَـــوِّقْنِي بِـــذَرَاعِ الحُبِّ

وافْتَحْ صَدْرِي واكْشِفْ قَلْبِي
قَبْلَكَ لم أَعْلَمْ مَــا خَطْبِي
حُبُّــكَ كَفَّــر عَنِّي ذَنْبِي

*

عَــانِقْنِي واحْمِــلْ أوزاري
غُصْ فِي نَفْسِي خُذْ أَسْراري
خُنْتُ لأجلكَ ذِمَّــةَ جَــارِي
إني في أَحْضَــانِكَ داري

*

دَمْ ... يَعْنِــي خليلــة
مَــالِي في حُبِّك مِــن حيلــة
لَكِن لَسْتُ أَكُون خليلــة
أَوْجِــد لِي فِي الــدِّين وسيلــة
قَبِّلْنِــي أَحْــلى تقبيلــه

*

دَمْ ... دَمْ ... دَمْ ... دَمْ ...
طِفْــلُ الْحُبِّ إليَّ تَبَسَّــمْ
فِي عَيْنَيْكِ الْفَرَحُ الأعْظَــم
بــوحي إذ حُبِّــي لا يُكْتَــم

*

قَــدْ زُرْنَــا دار الْمَحْبُوبَةْ
أهْــواء الأَنْفُس مَكْتُوبَــة
والأعْــداء غَــداً مَغْلُوبــة

ويا عزّ الفُراقْ بيْ طالْ

وسالْ سيلْ الدّمعْ هطّالْ

في الأنغام البلدية شيء عميق الجذور كالنّخل المشرف على النيل ومن ورائه العتمور ... قال تعالى : «ولقدْ كتبْنا في الزّبُور من بعْد الذّكْر أنّ الأرْضَ يرثُها عبادي الصّالحُون» ... صدقَ اللهُ العظيم وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما ..

* * *

(١٣)

كأسٌ من البيرةِ عندَ الشّاطىء
وسَنْد وتْشَاتٌ من الدمْياطي
ولا أُحبُّ جَشَعَ الأقْبَاطِ
وأنْتِ يا مَليحَةَ الأقـراطِ
في هَذِهِ الدُّنْيا بِكِ اغْتبَاطي

وجلسنا معاً بعد زمان طويل ...

انظر إلى ضوء القمر من عند شاطىء الجيزة هناك يتلألأ على نهر النيل إلى برندة سميراميس . لو هدّموها وما حولها إلى ميدان التحرير وجُعِلَ كُلُّ ذلك جرْفَ نيلٍ أخضر وهدَّموا الكنيسة الأنجليزية والجامع الذي بالشّاطىء الآخر وبناء المجمع والكنيسةَ التي وراءه ... رحم الله فاروقاً ... إن الموت يَمْحُو السّيئات . قالُوا كانَ كُلّما سَمِعَ بِكَنيسَةٍ مُشْرِفَةٍ على مَرْأى البصر حَجَبها إمّا بمَسْجِد وإمّا ببناءٍ آخر . وكذلك فَعَل ببُورسعيد وتَمَّ الْمَسْجِد بعد خلعه أو قَبْله بقليل. وزَعَموا أنه فُتِح له الْقَبْر الشريف بيثْرب فتَمَرَّغ في ترابه . وما استُقْبِل أَحَدٌ بمثل الْبَهْجَة التي استُقْبِل بها اعْتلاؤُه عَرْش مصر وكَتَب في ذلك الزّيات . . . . ثم أَذْهَبَ جَميعَ ذلك الشّبابُ والجِدّةُ وسَمِن رَحِمه الله سِمَناً فاحِشاً. وهو دمُ المماليك عادَ على آل محمد علي بالتّلف . وقَصْر محمد علي وجامِعه

بالقلعة كلا ذلك غير جميل إلا أن الموقع نفسه رائع ... وقال كان بعد صلاة الصبح عند العيد لما جاءه خبر الإفراج عنه ولم يصدق ذلك أول الأمر

إن الشوق من جماليات هذه الدنيا الزائلة وقلب المحب إنما يحيا بالشوق ... والمتصوفة أهل ذوق ..

اعلم أن صفوف الصلاة من أهم ما تأثر به تصميم المساجد أيام أوج حضارة الإسلام . وفيهن الخضوع والتواضع لله والقوة والتماسك والتجرد إلى السماء ونوع من نشاط كنشاط المطر المنهمر ... وفي المساجد التي بناها المعتصم وجنده بساطة وقوة تماسك ركن شديد . ومن طرازهن جامع ابن طولون والجدار ذو الكوتين الذي أمام ملويته شيء زائد خارج عن حاق البنيان الأصيل كالقبة التي في وسطه ، والجامع الأزهر من أجمل مساجد القاهرة تزينه حركة الطلبة فيه وهم يقرأون المتون وبها يترنمون ، وجامع قرطبة لا يزال كأنه معمور . وزعموا أن شكيب أرسلان استأذن – أحسبهم استأذنوا كنيسة البابا أو البابا نفسه ليصلي فيه – ولقد اجتهد فأخطأ إذ ما كان ولا يكون للكافرين «أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر» والصلاة عمارة . ولو صلى بلا إذن كان ذلك أيضاً اجتهاداً مع خطأ إلا أن تكون معه قوة تسند فعله إذ بلاها يكون فاعل ذلك كالداخل في حيز قوله تعالى : «ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم» ... بغير علم تأكيد وبيان لقوله تعالى «عدواً» أي ظلماً وجهلا وعدواناً . وقالوا إن أخت الأمير الصغير ركبت السيارة فضلت الطريق فلم تصل إلا بعد أن عجز دارتنيان وأصحابه الثلاثة عن إنقاذ شارل الأول . ومحاكمتهم « «لماي لادي» بورقة رشليو

غير مقنعة وهي أيضاً محاولة أنثى كاملة الشر كالذي صنع استاينبيك من بعد .. مؤثر جداً منظر التي ولّى عنها شبابُ البغايا وهي بأصباغ وكَرْمشة أديم وجليسها صُعْلوك كان يُحِبُّ فتاة فآثرت عليه امرأً محترماً وقلبه ما فتىء بها مُتَعلّقاً وهي تعلم ذلك .... قال للفتى المحترم دَعْها ولكمه فألقاه على الأرض وقالت له أنت صعلوك بنظرة عَيْنٍ فاضطر إلى الانسحاب وولّى زمن الشباب والضائعة شبابِ الأصباغ تُحبه وهو بلا قلب ... كان الفيلم مؤثراً وضوء السينما يتعب العين وأشد منه إتعاباً للعين ضوء التلفزيون ... ولا حاجة بمن ينظر إلى إشعاع اللؤلؤ نفسه إليهما ... اللؤلؤة التي تُربك كُلّ شيء وأنت على الصخرة التي فوق ظهر الحوت ... ماذا عراكم ففتّت عراكم وأصبحت نُبُوءاتُكَ كواذب ... مهلا عما قليل ترد العطاش ... هلُمَّ يا فَراشْ إلى نارِ إبراهيم

ذاتُ الفراشاتِ التي نَوَدُّها
جاءتْ وأعطاكَ الشِّفَاه خدُّها
من حَسناتِ دَهْرِنا نَعُدُّها
وبالقُوَى من نَفْسنا نُمِدُّها
ثم قَليلٌ في النِّساءِ نِدُّها

تعالَيْ معي نقرأ الشعر ... نَتَعَلّم الشعر

فيأيّتها الشُّرْفَةُ تَدْنو مِنْكَ للأُفْق
ويأتينا الّذي نَعْبُدُه الْخالِقُ بالرِّزْقِ
تَعالَيْ نَقْرأ الشّعْر فإني فيه ذُو ذَوْق
وقلبي مُفْعم بالْخَير والْعِفّةِ والشّوْق
وقد أعْجَبَني جيدُك ياجيِّدَة الطّوْقِ

وفي الشِّعْرِ كالأرْضِ قِطَعٌ متجاورات

ألم تَغْتَمِضْ عَيْنَاكَ أَمْ أَنتْ سامع

نَشِيدَ غِنَائي والدُّمُوع سِجَام

عَلى ساقِها اللّدْنِ الْخَدلَّجِ نَفْحَةٌ

من الحُزْنِ لَمّا أَنْ مَضَتْ وسَلام

الخدَّلج أي الْعَبْل الممتلىء الجيِّد .

قالوا كانت لأهْل لاغوس رَبّةٌ يُضَحُّون لها الأبْكار عَبَدةُ الْحُوت والبحر يطعنونهن بالحراب ليزيد ذلك من خصوبتها وهنَّ بذلك يفخرن فَرِحات قال ابْنُ بطوطة إحْراق المرأةِ عندهم مندوب غير واجب ولكن من أحرقت نفسها بَعْدَ زوجها كان ذلك لها ولهم تيها ... وفي رمل لاغوس يزعمون دودة تنفذ من الأطراف إلى الفم ثم تصحب الطعام وتنشب بكلاليبها في المعي ... فعسى السابحات حيث يأمن تيّار الجزر وغارة القِرْش وأخيه بالماء العذب التِّمساح الذي يَلْقاك بَعْدَ قليلٍ أو بَعْدَ حينٍ أن يلبسن أحذِيَةً من النيلون عليها الشرابات الشفّافات الألوان كالعسل ويكون بهذا لِذّاتِ القطعتين ثلاث قطع ومع النّظارات أرْبع ومع غطاء الرأس خَمْس والصالحات يَغْضُضْن أبصارهن بالبنطلونات وذلك تَبَرُّج الجاهليةِ الأولى

لا تُحَدِّثا يا شَفَتَيْهـا شَكْلا

لُوذا بِصَمْتٍ إنَّ ذاك أحلى

ولا تَقُولا مِن نَعَم لي أوْ لاَ

إن انْطِباقاً مِنْكما إستِسْلام

يَنْطِقُ ما لاَ يَنْطِقُ الكلام

إن النُّفُوس بينها بُغَام

بِالْجِنس والحُبُّ لـه أنْغـام
وحَـرَّم المـلاهِـي الإسْـلام
لكنَّ ركـن الشِّعْـر لا يضـام
وأنـتِ يأيَتُهـا العُيـون
غُضِّي كمـا في البَحْر قد يكون
في الظُّلُمات الصَّدَفُ الثّمين
وحَشْـوهنَّ اللؤْلؤُ المكنـون
وهو ضياءُ الأزَلِ المكين
والحركـاتُ خَيْرُهـا السُّكـون
وأنْتِ يـأيتُهـا اللّهـاةُ
أعْطَتْك عِلْمَ طَعْمِها اللذّاتُ
لِمَنْزِل الشّهْوَةِ أنْتِ ذَاتُ
فلْتَتَرَبَأي أنْ تَغْسِل الْكـاسَاتُ
بِخَمْرِهـا طَعْمَكِ يا جَنَاةُ
فأعْذَبُ الْكُوبِ الّذي يَقْتَاتُ
مِـن الْهَـوى فإنّـه الْحَيـاةُ
ومِلْؤُه الصِّيَـامُ والصّـلاةُ
وسُبُحاتُ الشّـوْقِ والْجَنّات
يا حبّذا هَاتِيكم الْهَنَاتُ
أنْتِ كإشْراقِ فِجَاج الأرْضِ
بِالشّمْسِ في صَيْفِ أوربا الْغَضِّ
وأنْتِ زِدتِّ بالشّبَابِ الْبَضِّ

عَلَيْـــهِ يا ذَاتَ الْجَمال الْمَحْضِ
وقَدْ كَبِرْنَ حَوْلَكِ اللِّدَاتُ [1]
وأنـــت عَذْرَاؤُكِ مُشْتَهـــاةُ
وحُسْنُـــكِ الفذُّ بـــلا انتهـــاءِ
وصَيْفُـــه مُتَّصِـــلُ الضِّيـــاءِ
مُبَرَّأٌ مـــن ظُلَـــمِ الشِّتَـــاءِ
وعاديـــات رُسُـــلِ الفَنَـــاءِ
خَلَّـــدَهُ في نَغَمِي غِنـــائي
خُلُودَ تَاجُوجِـــكِ يا حَسْنائي
ولا يُصَوِّح الزَّمـــانُ زَهْـــرها
والنَّيرات قد شَمِمْنَ عِطْرَهـــا
وعَرَفَ التَّاريخ كِلْيُوبَتْرهـــا
وقَبِلَ الْبَيْتِ الْحَرام عُـــذْرَها
وحمَّلَتْكِ بالْغَرام إصْـــرهـــا
فاهتِكْ ولا تَخْشَ رَقيباً سِتْرَها
إنَّ لديك لو عَلِمْتَ خِدْرَهـــا
وقد رَوَيْتَ يا أَدِيبُ شِعْـــرهـــا
وزُرْتَ أَمْسِ بالشكاةِ وَكْرَهـــا
وحَجَبَتْ عنك فَفَاحَ عِطْرَهـــا
فاذْكُر فُدِيت شَمْسَها وبَدْرَهـــا
وقُصَّ للنَّاس جَمِيعـــاً أمْرهـــا

(١) اللدات جمع لدة بلام مكسورة ودال وهاء التأنيث أي اللواتي من سنها أي الأتراب .

وأمر رؤبة بن العجاج وهو أشعر من أبيه ومن أبي النجم على عذوبة ما في هذا ... قال الاستاذ محمود ينبغي أن يكون لهذا الكتاب مفتاح كما ليوليسيس مفتاح وبين الأمرين فرق إذ هذا كما قال كما يتحدث الناس إلا أنه حديث قلب واحد يتردد بين المعابد والمعاهد ماذا قال البحتري :

« أُخفي هوىً لكِ في الضُّلوعِ وأُظْهِرُ
وأُلامُ في كَمدٍ عَلَيْكِ وأُعْــذَرُ
إنّي وإن جَانَبْتُ بَعْضَ بطالتي
وتَوَهّمَ الوَاشُــون أنّي مُقْصِــرُ
لَيَروقُني سِحْرُ العُيُونِ المُجْتَلى
ويَشُوقُني وَرْدُ الخُدودِ الأحْمَرُ »

في البحتري تدفق سلاسة ودماثة وأحسنت نعمات أحمد فؤاد في نظرتها النافذة إلى بعض ما كان من هذا ... من قال فيه بداوة ، هذا خطأ وإنما هو أمر كان ينظر به له المتظرفون ينسبونه بذلك إلى صحة الطبع دون أبي تمام ... وهو أطبع في حاق الطبع بحاق الملكة لا ببداوة وقد يتفق لبدوي ألاّ يكون صحيح الملكة كصحته ويتفق لحضري أن يكون ذلك اللهم إلا أن نقول إن نَفَسَ صِدْقِ الافصاح بدخائل النفس من خُلُقِ البداوة دون الحضارة . ولعل الوجه أن نقول إن صدق الإفصاح من خُلُقِ البداوة الأولى قبل أن يمازجها الانسان بنفاق تَقْوى أخيه الأنسان . والبدو لا يختلفون في حقيقة التَّقِيّةِ نفسها عن الحضر وإنما يختلفون عن الحضر في طريقة أداء هذه التقية وأساليب التعبير بها عنها ... قال تعالى « الأعرابُ أشدُّ كُفْراً ونفاقاً » ... فلم يخرجهم عن النفاق وزاد المنافقين منهم في نفاقهم إيغالا لما يخالطه من خشونة المذهب وجفاء الأسلوب ... واعلم أنه لم يتفق لبدوي ما يزيد كل الزيادة على رقة القائل

« تَغلْغَلَ حُبُّ عَثْمةَ في فُؤادي فَليم هُناكَ فالتأم الفُطُور
تَغلْغَلَ حُبُّ عَثْمةَ في فُؤادي فباديه مع الخَافي يسير
تَغلْغَلَ حَيْثُ لم يَبْلُغ شَرابٌ ولا حُزْنٌ ولم يَبْلُغ سرور »

وقائل هذا حضري فقيه .

وقد فطن التوحيدي إلى أن العرب كانوا في بداوتهم متحضرين أي آخذين من المدنية بنصيب وهذا باب .

تذكَّرْتُكِ في الجيزةِ عِنْدَ الهَرَمِ الأكْبَرْ
لَدَى الصَّوْتِ مع الضَّوْءِ ولَوْنِ البيرةِ الأصْفَرْ
ولما أنا في الفُنْدُقِ أسْتَأنِسُ بالدَّفْتَرْ
ولما وقَفَ التَكْسيُّ في مَكْتَبَةِ الأظْهَرْ

ولفتك الفيلسوف الفرنسي إلى وجهٍ ناضر من أوجه الجمال البلدي ، هذا كباب النحاس في مسجد السلطان حسن ... لا بأس عليك من مرض العافية ... هذا من الحساسية لعلك لا تحب لحم الجمال لأنهم يضعونه في كفته الكباب أحياناً ...

« زَكاةُ جَمالٍ لا جمالٍ فإن تَكُن زَكاةَ جَمالٍ فاذْكُري ابن سبيل »

تعال ههنا نجلس في شرفة إيوان سميراميس المشرفة على بَحْر النيل ... تعال أكون معك رقيقة ... تعال نتأول الأحلام التي رأيناها ... أنا بِنْت الأوزة التي كانت في بركة السّاحر ... كانت هي أميرة أحْلام شمعدان التي جعلها في القمقم فكانت صنَماً صار مَلَكاً ونَجى من حَصَبِ جَهَنّم

يأيُّها الفارِسُ في الدِّرْع ما تَألم فَذاً في شُحُب تسير
قد صَوَّح النَبْتُ الذي في الغَدير
والطَّير لا يُلْفى لَه من هدير

يأيهـا الفارس في الدرع ما تألم مغموماً كئيب الفـؤاد
قد أفعم الأجران بالغلـة السنجـاب وانجاب أوان الحصاد

أرى على حاجبكم فلـة بها ندى الحمّى وطل الشجن
وقد أرى في خدكم وردة يا ويح ما أسرع ما تذبلن
لقد لقيت امرأة في الرياض كاملة الحسن ومن نسل جن
طويلة الشعـر وأقدامها خفيفة الخطو وقلبي يحن
ونظرات الطرف وحشية وسهمها في كبدي مستكن

جعلت إكليلا على رأسها غاراً وسوّرت ومنطقتهـا
ونظرت لي نظرة كالهوى ثمت أنت حلوة صوتهـا
وقبلتني أربعاً أربعاً
يأيها الذلفاء ما أبرعا

والغادة الحسنا بلا رحمـة قد تيمتني أمس كنا معاً
والغادة الحسنا بلا رحمـة قد رشحت من طرفها الأدمعا
وشعرها الليل وأنت الصباح
وذلك الفجر على الأفق لاح
والغادة الحسنـا علينا عسى تخفض بالرحمـة منها الجناح
يأيهـا الفارس ماذا عـراك
لا شيء يا حسناء إلا هـواك

جارية في كفها مزهـر في حلم أبصرتها تنـير
من حبشيات الجواري اللواتي لونهن الذهب الأصفـر
ولحنها غنت بـه عبقـر يا ليتني أنغامها أذكـر

هَلُمَّ يا صَاح نُغَنّي كَمَا غَنَّت ونَبْني قُبَّةً في الْهَوَاء
والْغَادَةَ الْحَسْنا بِلا رَحْمَة قد تَيَّمَتْني وأراد الْقَضَاء

تقول هل عِنْدكَ شَيءٌ جديد
يا صاحبي هل أنا قلبي حديد

وإني رَغْمَ الصُّخور التي تَبْدو على السَّاحل قلبي سعيد
سأرْقب المَدَّ فإني به سَوْفَ قريباً أستطيع الصعود

أجْعل حَبْلاً فوق ذاك الحَجَرْ
أنُوطه حَوْلَ جُذُوع الشَّجَر
ثُمَّت أرْقى وأُصيب الثَّمَرْ
رُبَّتَ مِثْلي بالْجِهاد انْتَصَرْ

والغادَةُ الْحَسْنا بلا رَحْمَةٍ قد رَحِمَتْني وأرادَ الْقَدَرْ

يا صاحِبي إني أُحبُّ القريض
إن فؤادي بغَرامي مَريض

والغادَةُ الْحَسنا بلا رَحْمَةٍ جناحُها حقاً إلينا مهيض
طائرُها لا يَسْتَطيع النُّهوض

والْوَحْش في الْعَيْنَيْن منها لَقَدْ رَوَّضه الحُبُّ وقِدْماً يَرُوض
والْمَوْجَةُ الْحَمْراء فَاضَتْ وقد تَصْفو صَفاءً وسواها يَغيض

هيّا مَعي نَقْرأ شِعْرَ الْعَجَمْ
علّمناه رَبُّنا بالقَلَمْ

قد كَشَفَتْ عن جَانِب اللِّيتِ واللَّبّةِ للعابِد وهْيَ الصَّنَمْ
تَقُولُ زُرْنا عن قَريبٍ ويا ذاتَ الْفَراشَاتِ فُؤادي كَتَمْ

وقالت الحُلْوَة لما أردفاها إلى شيء من اللّهو دَمْ
تمدّ عير فلق ...

نَعَوْا إليك الطاهر بابكر .... ولقريباً ما رَأيْته عليه الهيبة وعُمْق الصلاح ونهض إلى الفجر مع المؤذن إذ قال حيّ على الفلاح ... الصّلاة خير من النوم رحمة الله عليه في الذين يُظِلّهم بظِلّه يَوْمَ لا ظِلّ إلا ظِلّه ....

« قل أعوذُ بربّ الفلق »

حَمَلْتها فَوْقَ جَوادي بِها يَخْطُو ولا شَيْءَ بِسِواها أرى
إذ أنها مالَتْ على جَانبٍ وأنْشَدَتْني اللّحْنَ من عَبْقَرا
وَوجَدَتْ لي من عُروقٍ شَهيّاتٍ وحُلْوات وقَالَتْ كُلِ
والعَسَلَ النّبريَّ جاءَتْ بِه والمنَّ يَغْشاهُ نَدى السّلْسَلِ
ثُمّتَ قَالَتْ بِلسَانٍ غَريْبٍ إنّني أهْوَاكَ يا وَيْحَ لِي
ثُمتَ صارَتْ بِي إلى كَهْفِها المَسْحُور ثُمَّ بالدّمُوعِ الغِزَارْ
فيه بَكَتْ وَانْتَحَبَتْ وَقَرِيحٌ طَرْفُها بالعَبَرَاتِ الحِرَارْ
أغلقتُ جَفنَ العينِ من طَرْفها الوَحْشيِّ ذي الوَحْشِ الشّديد النّفار
بِأرْبَعٍ من قُبُلاتٍ صغار
بقُبُلاتٍ أرْبَعٍ كالسّرَارْ
ووسّدتني ساعِدَيْها وغنّت لي إلى أن نمْتُ في حِجْرِهَا
حَلَمْتُ فِي نَوْمِي ويا حَسْرَةَ النّفْس على ما كَانَ من أمْرِها
آخِرَ حُلْم كَان لِي ذَاكَ في جَانِب سَفْحِ الجَبَلِ البارد
آخِرَ حُلْم أبْصَرْت مُقْلَتي من بَعْد ذَاكَ السّكْرِ الخَالِد
ثمّ مُلُوكاً شاحِبِي أوْجه رَأيْتهم وأمَرا مِثْلَهم
وَبِشُحُوبٍ كَشُحُوبِ الرّدى فُرْسانَ حَرْبٍ أخذوا قبْلَهم

جَميعُهم قالُوا مَعاً إنّها الْحَسْنَا بِلا قَلْبٍ رَحيم سَبَتْكْ
والغادَةُ الْحَسْنا بِلا رَحْمَةٍ يَا وَيْح مَا نَفْسِك قد أحْرَزَتْك
رَأيْت في ذاك الضِّياء الضَّعيفْ تِلك الشفاهَ العطشاتِ الْجِيَاع
فَاغِرَة تُنْذِرني هكَذا ثُمّ انْتبَهت وفُؤادي يُسَرَّاع
بِذلك السَّفْحِ البَرُود الرِّباعْ

من أجْلِ هذا قَدْ تراني هُنَا ياصَاحِبي مُوحِش نَفْسٍ أهيم
والْغادَةُ الْحَسْنا بِلا رَحْمَةٍ قَد مَلكَتْنِي فَفُؤادي سَقِيم

من أجْلِ هذا هَا أنذا أسِير
من بعد ما جَفَّ نَبَاتُ الغديرْ
والطيْر لا يُلْفَى له من هدير
من بَعد ما وَلّى أوانُ الْحصَاد
وأكَلَ العامَ الْجديد الْجَرادْ

والغادَةُ الْحَسْنا بلا رَحْمَةٍ قد ملكتني ولَدَيْها الْفُؤادْ
فبلّغا كَعْباً بأنْ طالما أنْشدتُ في المَسْجد بانَتْ سعادْ
وقد نَعَوْا لي صاحِباً طَيِّبا والدَّهْر فيه النّكبات الشّدادْ
وربّما سالتْ دُموعي لَه واكتأبَ الخاطِرُ والحُزْنُ زادْ
أنْشِدْ مَعِي يا صاحِبي إنّني بالشّعْر قد أبْلُغ بعضَ المُرادْ
ما ذكَروا عن سِبْطِ خَير الوَرَى حِينَ مَضَى وَهوَ يُريد الجِهادْ
أنْشَد إذ أقْدم مُسْتَشهدا مُسْتَبْسِلاً للموت وهو الجَوادْ
« شَرَّدَهُ الْخَوْفُ وأزْرى بِه كَذاكَ من يَكرَهُ حرَّ الجِلادْ
مُنْخرق السِّرْبال يَشكو الوَجى تَلْدَعه أطْرَافُ مَرْوٍ حِدادْ
قَدْ كَانَ فِي المَوْتِ لَهُ رَاحَةٌ والمَوْتُ حَتْمٌ في رقاب العباد »

يَأيُّها الفارِسُ ماذا عراك
لله درُّ الحسن لما سبَاك

هَلْ تَعْلَم الغادَةُ في سَاحِلِ البَحْرِ بأن الدُّرَّ خَلْفَ الأرَاك
وَأن لَمْيَاءَ التِي تَشْتَهِي قَدْ زَوَّدتني شَفَتَيْهَا هُنَــــاك

ذكر ابن يامون أن التقبيل في العيون يذهب بالمحبة وتعقبها الجفوة وموت الهوى وأخطأ كيتس إذ أغلق أهداب الوحشية النظرات بقُبلات على عينيها وأخطأ على هذا التأويل العقاد رحمة الله عليه في اليائية حيث يذكر تقبيل العين والعرب تقول قَبَّلَهُ بين عينيه وهذا موضع الجبهة وقد يَجُوز أنْ يراد به الخَدُّ والفَمُ والعين تَرَى والله أعلم . وجَيِّد الشعر نادر وبُدْلير فيما بَلَغنا يَصُوغ بمجهود وعناء فِكْر وفي بَعْض كلمة كيتس هذه من العَقْل مجهود ولا سيما بعد أن صار إلى الحلم وفَغَرت الشفاه الجائعة بالنذير والأبيات الاوائل فيهن حاق الشعور لا كَأنْ يقول للشرفة يَا أُمَّ الذكرياتِ يا سيدة السيداتِ ، أسهل شيء التحامل ومن جَهِل شيئاً عاداه .

الــدَّهْر مُكْد ولَهُ عَيْبَسَــةٌ — يَجْمَع فيها صَدَقَاتِ الضَّياع
غُولٌ وقد صُوِّرَ من كلِ صِنْفٍ — من جُحُود وضُرُوبِ الْخِداع
يَاسَيِّدي واعْلَمْ بأنَّ الشَّرَفْ — يَدُوم إن ثَابَر فيه الشَّرِيف
وذِكْرياتُ الْمَجْد لِمَا مَضَى — لِلْكَيِّسِ العاقل فَخْرٌ ضَعِيفْ
فــانتهِزِ الْفُرْصة إنَّ الشَرَفْ — في حَرَجٍ مَسْلكُهُ ضَيِّق
لاَ يَسَعَنْ أكْثَر مِنْ واحِدٍ — ومن تَوانَى سَيْرُهُ يُسْحَقُ
قَدْ سَقَطَ الطِّرْفُ الجواد الكريم — فَهْوَ لَقىً في دَرْبه لا يريم (١)
ثُمَّ مَشَوْا من فَوْقه كُلُّهم — حَتّى استوَتْ جُثَّتُه بالأديم (٢)

---

(١) لا يريم : لا يذهب أو يزول عن موضعه .
(٢) بالأديم : أي بأديم الأرض أي بالتراب .

ثم ستَقام الـدرب من بعده   والطير لا تلفى عليه تحوم
والعين لا تحمد شيئاً إذا   غاب ولكن تحمد الحاضرا
وصاحب الحان بشوشاً تلقانا   وقد ودعنا فاترا

ومنصب الوزارة والسفارة والوفادة وضروب موقوتات السيادة من خير وسائل السكن في كبريات الفنادق وأسوأ شيء فيهن وجبات الطعام إذ هي ولائم رسمية بلا جَمْع ولا نَشْوة زحام ولا سرور أُنْس ولا جَوْدة سخاءِ طاهٍ ومضيف وأحياناً يكون قد بات الرغيف ... يا قطعة حضرية اكوى هذا القميص ... الذي قد كان هنا منذ ليلة جاء على ثوبه بَبقّة ... أو قملة : قال محمد الأمين أمير المؤمنين لأحد الحاشية ما هذا ... دويبة بتشديد الباء يا أمير المؤمنين ... أية دويبة والبائسون يلعبون النرد بقطع الطين الناشف فوق الحصيرات الباليات القديمات وهو في سأمِ أوائل الهزيمة ينظر اليهم بعجب وشَغَف ... مسكين أمير المؤمنين ابن زبيدة الحلوة التي كان بها متيماً هرون الرشيد وقال لا أبالي ما دامت هي معي ألاّ أنال ولاية العهد عندما همّ أخوه بخلعه ... قملة يا أمير المؤمنين .. أرنيها فقد والله سمعت بها .. نحن نُغَيِّر الملاءات ونضربهن بالفليت والجمكسين وليس فيهن شيء من الشكْوين يا شْنيلْ نَمْبر فايفْ ... ونظروا إلى الملاءة فاذا رأسان لفتاتين حلوان ... كانتا بارعتي الجمال ... نظر ندماء أمير المؤمنين موسى الهادي بن محمد المهدي بن عبدالله المنصور بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس بن عبد المطلب

« صَمّجْن من كاظِمة القَصْرَ الخَرِبْ »

رضي الله عنهم أجمعين ... وإذا بالرأسين يشخبان دماً ... قال أمير المؤمنين كانتا منحرفتين ... يا غلام اضرب عنقهما ... يا غلامّ علي بالزنادقة.. يا يعقوب بن داود هاك السيف فتقرب بدم ابنك إلى الله وسقط الشيخ مغشياً عليه وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم .

أيتهـا الحسنـاء لا تَنْظُري إليَّ إلا نَظَراً فـاتـرا
أيتهـا الحسنـاء رِفقـاً فما أستَطيع حُسْناً هكذا قاهرا
لا أرْهـب الإثـم ولكنني أخاف نَفْسي أن أرى غادرا
رَغبْت عن هـذا لِميْسُوره ورُمْتِ مَعسُور الْهوى نادرا
لَفظْته إذ ذَلَّ حُبّاً فهـل تَبْغين هذا الْقمر الزّاهرا
أنْت تُريدين من الْعَيْشِ مـا يُثْمِل منك الْخاطِر الثّائرا

وأنا أيضاً . ماذا قال برتراند رسل حين استشهد بشعر شيلي في كتاب الزواج والاخلاق ... كان ذلك في العصر السالف ... ماذا قال ملتون حين تقمص شمشون وقد سملت عيناه :

ظُلُمـاتٌ ظُلُمـاتٌ في وَهَجِ الْهَجِيْر
ظُلُمـاتٌ ظُلُمـاتٌ وكُسُوفٌ كَبِيْـر
وانْقَطَـع الرَّجَـاءُ مِـن ضَوْءِ النّهَـار
مَملوك لغيْري أوْدى كُلُّ خيْري حَوْلي شَرٌّ دارْ
إني نِصْفُ حَيٍّ نِصْفُ مَيْتٍ في رِقِّ الإسَارْ

كان ذلك زمان الشباب عنفوان الشباب إذ كنت تتوق إلى التجارب فقد جاءت التجارب ماذا قال أبو الطيب :

«فَما الْحَداثَةُ من حِلْمٍ بمانِعَـةٍ قد يوجدُ الْحِلْمُ في الشُّبانِ والشيب»

صدق أبو الطيب . الحلم صِفَةٌ أصيلة وقد يُوجَدُ في الأطفال الأصَيْبِية الصِّغار . لماذا يَنْتَصر الاغبياءُ على الأذْكياء وعِنْد هؤُلاء زيادةُ العقل وبها غَلَب ابْنُ أدم الأسد والثُّعْبانِ معاً .

ألا فَالْحُبُّ عِلْم اللهِ ذُو عَلّمنا قَبْلا
ألا فَلْيُحبِبنَّ بَعْضُنا بَعْضاً وذا أوْلـى

ألا تَلْمس يا وَيْحَكَ شَفَتيَّ بشَفَتيْكَا
ألا تَنْظر في عَيْنيَّ يا حبُّ بعَيْنَيْكَا
وهَلْ تَخْجَل قَبِّلْني فَما مِنْ أحدٍ يدري
بنا لن يَشِي الزَّهْرُ بنا إلاَّ إلى الزَّهْرِ
الا فانْتَهِزَنْ غَفْلَةَ هَذا الدَّهْرِ يا دَهْرِي
ونُوارُكَ لَن يَذْبُل فاجْعَلْه على صَدْرِي

ألا إن الشعر لعزاء . قالت هل من جديد . نعم وبك القلب سعيد ..

وتراءتْ بمُقْلَتيْن وجيدِ
ونَرهتْها مَوَدّتي وقصيدي

كم سَلَبْناكِ بالخيَال ورُمْنَاك مَراماً وأنت أحْلى الغِيْد
زَوّدينا من حُسْنِ وجهك مَا دَام سَيبْقَى وأنْت ذَاتْ خُلود
قَبِّلينا بِقبلتَيْن على خَلْسٍ وأُخرى طويلةٍ كالنشيدِ
أنْت كَأس وقد حَسَوْناك في الوَهْمِ وهذا اللّمى يُنادي ونُودي
قد رأيْناهُ كَالبَنَفْسَج قد ذَكّرني والدي وأوْرق عُودي
ذاك عَهْدٌ مضى وأهواكِ يا حسناء بالقُبْلَةِ الصغيرة جُودي
ورأيناكِ مَرّتين وأعطتنا وِداداً فالقلبُ جِدٌّ سعيد
يا أنُو باريَسُ الذي وَصَفَ الْحرّاقة العبقريّةَ التمجيد
وكلوبترةُ التي هام انْطُونيُو بها وهْي ذَاتُ سِحْر عتيد
جازِفي مِثْلها إليَّ سأُعطيك حُسامي ودَوْلَتي وجنودي
وَقَفَت رَبّةُ اللّواء وَعَيْنَاها بِطفلَيْهما سُرورُ الوليد
وهي أبْهَى من أفْرديت الْحُسْنِ حَبَتْها الْمَزيدَ بَعْدَ المزيد

لَقَـــدْ أبْصَرْتُها تَخْطُو بعَيْنَيَّ عَـــلى الدَّرْب
ولـمــا انْبَهَرَتْ أنْفاسها يـــا عَجَبَ الرَّبِ
تَوَهَّمْتُ بـــأنّ الْكَوْنَ قد حيز إلى جَنْبِـــي
لكي يَخْفِق في أنْفاسها بالنّبْضِ من قَلْبي
«ومنْ يَكُ أمسى بالمدينة رَحْلُـه   فإني وَقَيّارٌ بها لَغريـــبُ»

هذا ضابىء البرجمي . « إن الشّقِـيَّ وافدُ البراجم » .
طال الانتظار فهل يقوم القطار ولا تبالي أين سار .

تعالي نقرأ هذه الأبيات معاً . انظري ههنا .. ماذا قال هامليت .. ماذا قالت هيكوبة ...

« لَبِّثْ قليلاً يَنْزِل الهَيْجا حَمَل »

جاءت عطرة بعد تَفَل . جاءت بخُبْز وعسل . جاءت ببارقة من أمل . حيَّ على خير العمل « واعتزِلْ ذِكْرَ الأغاني والغَزَلْ » « يَمُران بِنِجسٍ يَبِسٍ يَطْهُران بما بَعْدَه » . اللهم لبيك . نَوَيْتُ أطوف سبْعة أشواط . « ربنا آتنا في الدُّنيا حَسَنَةً وفي الآخرةِ حَسَنَةً وقنا عذَابَ النّار» .

نحن الآن فوق جبل الرحمة والناس كالجراد عند السدرة التي في جبل الرحمة هنا وقف خير البشر وكُلُّ عرَفَةَ مَوْقف ...

« خَلُّوا بَني الْكُفّارِ عَــنْ سَبيلِهِ
خلُّوا فكُــلُّ الْخَيْرِ في رَسُولِهِ
نَحْنُ ضَرَبْنَاكم عَلَى تَأْوِيلِــه
كمـا ضَرَبْناكم عَـــلى تَنْزِيلِـه
ضَرْباً يُزِيلُ الْهَامَ عن مَقيلِـه
ويُــذْهِلُ الْخَلِيـــلَ عن خَليله
أوْ يَرْجِــعَ الْحَقُّ إلى سبيلـه »

وصلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليما .

(١٤)

رقد الغول شمهران على العُشب الأخضر ورجله كجذع كافورة ولكن سائره تبلدية. هل تذكر شجر الدليب في طريق ما بين بـرنين كُدُو وكَنَنُو.. نيجريا بلد خصب عظيم.. وهؤلاء شبان نيجريا مؤدَّبون مهذبون . وهؤلاء رجال الدول ينقسمون فريقين ... فريقٌ في الجنّة وفريقٌ في السّعير ... جاءتْ لِلْحُبِّ لا شيءَ إلا الحُبّ . هو الدافع وهو الوازع . رحم الله الدكتور أحمد رحمة واسعة . كان جيِّد التلاوة كثير القراءة نافذ نظرة عين قلب نفسه إلى الشعر . كان يُحِبُّ رجال الفكر هم أوجه ، هم أفقه ، هم دَوْلَةُ روحه . كان يَودُّ أن يَنْفَصِم إليهم . لقد نشأ في بحبُوحة الدَّرْس والفكر لقد تحطم الدرس والفكر يا ويحنا على أيدي أفندية كلية غوردون الذين لو قدروا لحفظوا أثمان القرآن بالتكتلات والمؤامرات ... اقعد قوم ... ارقد قوم ... خطوة تنظيم ... طابور الساعة أربعة بالضبط ... كل الأساتذة يقولون إنك مغرور ... المستر غريفث رَجُل عادل حكيم ... عدله وعقله شهد به كل السادة والقادة وأهل السقاية والرفادة .. حتى اغتر وحسب أنه يحسن شيئاً ولعل أضعف فنونه كان علم التربية التي انبرى يصنع فيها معهداً يعلم فيه أبناء قُرى النيل النُّوبي كيف يتخشّنون وقد ذكر ياقوت في مُعْجَمه أنّ في عيشهم شدة ... « السُّكُوْن مِصْرًا » ... هكذا بالفتح كما هي في النصوص المتلوة ... لو أنّ لي بِكُمْ قُوَّةً ... تَعالَيْ يا بِنْت ... يا بِتْ والتمعت عَيْنا بَبْرة .. أَنْت يا بَبْرة

حبيبتي ... هل أنْت السُّكْسُكة ... لا ... أنا السُّوميت وتركت السُّكْسُكَة. سُكْسُكَةٌ من السّكاسك في العربية ... هل من جديد .

وجْهُكَ يا حبيبي عِيدٌ .. ضاع العلم بين أفخاذ النساء .. وأول أفخاذِ هِنَّ الحديثُ إليْهِنَّ ... وَدَاعاً هكذا جاءَ مَكْتُوبُ الطّيارة .. يا حَفِيظ ... أريد إذْناً ... هل أكلت اللُّقْمَةَ بمُلاح الرّوب عليه خَيْط من المسلى الممتاز. جَلَبَ تاجر ثمانين صفيحة من المسلى ... المملوء ... مَلْيانة يَعْني فُنُقٌ ... أنت من الْفُنُقِ اللاي ذكرهن نابغة بني ذبيان .

« والسّاحباتِ ذُيولَ الرّيْط فانَقها   بَرْدُ الهَواجِرِ كالغِزْلان بالجَرَدِ »

ماذا نريد ... ماذا تُريد مني وماذا أُريد منك ... الأرواح جنود مُجَنّدة.. لماذا لا تكون شيئاً غَيْر جنود ... قالوا كان يوليوس قيصر يحسن الكتابة والبيان بلغته .. كان دموياً طفلا يلعب بالدماء والسكاكين وبَعْجِ الاكباد والبطون وما رحم الغالِيَّ الذي ضَحّى ذلك الرّجل النبيل ذو الاسم الطويل ... قَالُوا بَرَكَ ليُؤْخَذَ أسيراً فداءً لقَوْمِه وعَرَضَهُ يوليوس على صعاليكِ روما ليخنقوه كالكَلْب وبدمه طاح هو عِنْد تِمْثَال بمباي ... من حقارة ابن زياد وحقارة من كانوا معه ولم يقاوموه مقتلُ مُسْلِم بن عقيل ... كان غُلاماً حَدَثاً وصَعِدُوا به فوق القصر وقطعوا رأسه سِبْطَ عَمِّ النبي ، ذَا الدّم الزّكيِّ — صَلّى الله عليه وعَلَى آله —

«فإنْ كُنْتِ لاتَدرينَ ماالموْتُ فانظري   إلى هانِيءٍ في السُّوق وابْنِ عَقيلِ
إلى بَطَلٍ قَدْ هَشّم السّيْفُ رَأْسَه   وآخر يَهْوِي من طَمَارِ قَتيل »

ان الانسان يعزيه النسيان ولو تأمل وتفكر لأهلكته الحسرة . أتذكر منظر الجبال عند نهر النيجر والبؤس الإفريقي الضارب بجران وبيوت الأرضة الطوال

بين الاشجار الطوال أَحْكَمَ وأعجب صنعاً من ناطحات السحاب . والذين بَنَوْا كبري شمبات نَسُوا أن يجعلوا به ممراً للسفن وجاءت الثريا من وادي حلفا يُزْجونها بالزغاريد وانقطعت صلة ما بين الخرطوم وأسوان من طريق النيل . والسد العالي منطقة حربية . وهاذاك مخزن قُمْ ويأيها القاضي قد عزلناك فَقُمْ وعلى العهد دُمْ وإن جاء رمضان فَصُمْ .. وقليلٌ ما هُمْ ... يا داود اتّقِ المحارم والحُدود وزعمت اليهود أن سُلَيمان ابْنُ المرأة التي بَعَثَ داود بزوجها إلى الحرب فمات وهي الحمامة التي فتنته حتّى بَلَّ بالدمع جانب المحراب لما خَرَّ راكعاً وأناب .. وعسى قصة النّعاج التسع والتسعين كلّ ذلك كِناية عن أسماء الله الحسْنى والاسْم الأعظم وهو عند النصارى الحبُّ الكبير الذي أحيا به يَسُوع عازر ، وقال ابرهيم لأبيه آزر ... يا رُمّان هاتيك ازبكستان .. وهذا بَحْر القلزم أي المرجان أي الكالسيوم وتِلْكَ زاوية الشّيْخ عند القَيْف وتلك جَزيرة سواكن وقَبْر الشاذلي بين عَيْذاب وتُونس والبْئر الْمُعَطّلة أهي بِئْر بَرْهوت ... وكيف يكون الْقَمْح مُرّاً يا شاعرة أَحسبك تترجمين من الأفلام قَوْلهم« بِتَرْزَايس »يعني أرزمر أم تريدين حَلْوى الشام التي تصنع من القمح صارت مرة ... المحاولة الفكرية لا تخفى ومقال الشابي :

«كُلّ شَيْء مُوقَعٌ فيك حتّـــى لَفْتَــة الجِيدِ واهتزاز النهود »

أوله من فكرة الهارموني الافرنجية أي كل شيء فيك موسيقا منسجمة هكذا عنى والله أعلم . أخذ الفكرة الغربية ولم تكن واضحة في ذهنه . ولفتة الجيد فيها حيوية ما . واهتزازُ النهود إضافة اضطرّتها القافية ونَوْع من التقرب إلى القارىء بهمسة خاصة والفكرة أفرنجية والنهد الجَيِّد لا يهتز يا هذا ... ماذا قال شيخنا النابغة : « والثَّوْب تَنْفُجُه بِثَدْي مُقْعَد » كاد يخترق الثوب يا

سيدنا وقال المرار « مِثْل أنْفِ الرِّيمِ يُنْبِي دِرْعها » وهذا جَسَدِيْ صار — عبارة افرنجية — صِرنا كغثاء السَّيْل والعياذ بالله . تبسمي يا جُلنار بثنايا الصِّغار . لا ، الكبار .

« عَسَى الْكَرْب الذي أمسيت فيه يَكُون وراءَهُ فَرَجٌ قريب »

وعَلَّ وعسى ... « عَسَى الْغُوَيْر أبْؤساء » ... قف عند عدوة النيل وانظر بعيداً لعلك ترتاح نفسيّاً لأن لعب النسيم على صفحاته مهدىء للأعصاب مثل المخدر الناعم ... أنا طفل صغير ... هذا العمر سريع الذهاب ألم نكن أمس في الكتّاب ... قال القَدْمُ كلّنا سنموت وهو يَظُنُّ أنه لن يموت .. هل رأيت النخلة في صحن البيت المصمم كالجامع وانهلت المدامع .

وفتاةٍ أطْمَعَتْنِي سَاعةً ... وَلَهَا سَاعَةَ جِدِّي هَرَبُ
يَتَلَظّى جِسْمُهَا مِن أَرَبٍ ... جَامِحٍ يُحْرِق لولا رَهَبُ
تُبْصِرُ الشَّهْوَةَ فِي رَعْشَتِهَا ... وتَرَاهَا كُلّها تضطرب
أيُّ شَيْءٍ هذه الدُّنْيَا إذا ... حَجَبَت قَصْدَكَ فيها حُجُب
وتَهَيَّبْتُ عَلَى خَوفٍ بِهَا ... حِينَ كَانَ الْعَزْمُ مِمَّا يجب
لَمَسَتْ كَفِّي بُرُودَ جِسْمِهَا ... واطّبى نَفْسِي حَنَانٌ كَثَبُ
وَتَدَانَيْتُ عَلى رِفْقٍ بِهَا ... وأراها أوْشَكَتْ تَنْجَذِبُ
جِنَحَتْ رَاجِفَةً فانْبَهَرَتْ ... فَهْيَ مِثْلَ الثَّلْج جِسم صَلِبُ
أيْنَ مَيْلُ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ إذا ... كَانَ فيها من غرامٍ سَبَبُ
أم تُرَى بَيْنَ خَفَايَا قَلْبِهَا ... رُعُبٌ يَفْرَقُ مِنْهُ الرُّعُبُ
فَتَسَلَّيْتُ على وَجْدِي بِهَا ... فَكَأنِّي صَابِرٌ مُحْتَسِب

هذا شعر جيد ... هكذا قال الدكتور أحمد رحمه الله ... شاعره أبلها

لا بد له من المفكر لا ينفصل عنه ... شَيْءٌ عنيف ... وكان ينشد لكيتس :

A thing of beauty is a joy for ever

هذا بيت القصيد وجاء في أول إندميون وأصْفى كيتس بعده في ذوقنا العربي :

« وقد أَرَتْنَا حُسْنَها ذَاتُ الْمَسَـــكْ
شَادِخَـــةُ الْغُرَّةِ غَرَّاء الضَّحِـــكْ »

عَنَاق مسيو سَغَانْ التي تُحِبّ الحرية ... ليس في الخبز من أَلَمٍ يؤلمني به أنا العذراء الربّة .. « لا يا غَيْلان ، ما هَمّ لساني بِشَيْءٍ من هذا » غيلان اسم ذي الرمة « إنما أردت أن أقول حُلول الدُّود بالثّمرة فالثّمرة إلى التّعَفُّن والفساد » والواو لا تفيد ترتيباً . قال غيلان « تَقُولين يا مَيْمونة » من أُمّهات المؤمنين ... كلاّ ما إحداهن مُرادُهُ ههنا ولكنها الجنية التي جاءت هي والْجِنّي بقمر الزمان لِيُحِبّ بنت الملك الغيور « تقولين يا ميمونة خطأً عظيماً لأن الخيال لا يُؤْكل » فقالت ميمونة « قد يَكُون قولك الْحَقّ .. بل هو الحق . نَعَم . الْخيال لا يُدَوَّد ولا يؤكل . الخَيَال أَكل أَكُولٌ جَرَّاف . يأكُلنا نَحْنُ . الخيال يَأكل البشر » ... أسلوب المسعدي في السد فصيح فيه أنفاس أصالة إلاأن ميمونة ههنا تتحدث بلسان مذكرٍ فَعَلّ كَوْنَها جنيةً إن يَكُ أرادها المسعدي لتكون جنية يَصْلح مع ذلك ويعجبك قَوْل غيلان من قبل « نَعَمْ لقد وصلنا وانْقَطَع الرَّحيل » نَهْج عربي من فكرة فرنسية .

— نَعَمْ يا غيلان حبيبي

— قد نكون بَغْلَيْن حَرُونين .

—لاياميمونةبل الكفربالنواميس والحدود والعراقيل وإنكار العَجْز والاسلام .

هذه الأخيرة من ياقوت في خَبَر أبي معشر إذ قدم يريد الحـج فعرّج ببغداد على مكتبة آل المنجم فعكف بها يدرس الفلك فكان ذلك آخر عهده بالحج والاسلام أيضاً ... ونظر إلى سجع الكهان وبعض الأوزان في غناء الهاتف الذي هتف بغيلان :

« نَسار مُنصبّه وخِضَمّ فُؤَاد
فلا تَعرِض للرَّبة ْ ولا تَقرَب الوَاد ْ
فَهْي صَيْهُود
ورعْدٌ رُعْدُود
وفِلَسقٌ جُلْمُود
ذَاتُ الرّواعد الرَّبة
فادْعُ ذات الرواعد
وسَبِّح لصاهَبّاءْ »

— « بلّغ اللّهم رُوحَه الشريفة ، صلواتٍ طَيّبةً مُنيفَةْ ، اللهم صل وسلم وبارِكْ عليه » .. ليست زاوية الامام الشاذلي من قرطاجنة أو القيروان ببعيد .

وفي بعض هواتف المسعدي نظر شديد إلى شعر الافرنج وأصواتهم وبعض ما جاء في سلمبو لفلبير والله تعالى أعلم .

قال أحمد هو ابن حنبل حدّثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن خيثمة عن سويد بن غفلة قال قال علي : إذا حدّثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً فلأن أخِرّ من السماء أحبُّ إليّ من أن أكذب عليه وإذا حدثتكم عن غيره فإنما أنا رَجُل محارب ، والحَرْب خدعة ، سمعت رسول الله صلى الله

عليه وسلم يقول يخرج في آخر الزمان أقوامٌ أحْداث الاسنان سفهاء الاحلام يقولون من قول خير البرية : لا يجاوز إيمانهم حناجرهم . فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن قتلهم أجْر لمن قتلهم يوم القيامة . ا . هـ

اللهم اكفنا إياهم وأنت الكافي .

قال البخاري في إسناده نَظَرٌ حديثُ «المهدي مِنّا أَهْلَ البيت يُصْلحه الله في ليلة » .. ولفظه شاهد صحته وقول البخاري كأن بعضه يدل على هذا لولا الذي أتاه من أمر السند أن فيه نظراً والله أعلم وفي النهاية أن معاوية قال لابن أبي محجن الثقفي أبوك الذي يقول :

«إذا مُتّ فادْفِنّي إلىجَنْب كَرمةٍ تُروّي عِظامي في التُّراب عُروقها
وَلاَ تَدْفِنَنّي في الْفَلاة فإنّنـــي أخاف إذا ما متُّ أنْ لا أذُوقها »

فقال أبي الذي يقول :

« وَقَدْ أجودُ وما مَالِي بِذي فَنَعٍ وأكْتُم السِّرَّ فيه ضَرْبَة الْعُنق »

فتأمل يا هَيْدَ مالك ... كتب الصحفي أنه كافر بالشيوعية ولكنه مؤمن بالاشتراكية .

« هي الْخَمْر يَكْنونها بـــالطِّلاء كما الذئب يُكْنى أبا جَعْدَةْ »

وكلاهما من كَيْد يهود أرادوا به النّصارى فسُلِّط على المسلمين . وقالت الفقيرة الدكتورة مع أن بنطلونها طويل لكنه « أتْراكْتيف » لأنه يظهر حدود الجسم وصاحبة الْبَنْطلون شَابّة غَضِيرة مَمْكُورة سَواءٌ بالبنطلون أمْ بالتنّورة ولَوَى عليه الصلاة والسلام عُنُقَ الفضل بن عباس كيلا ينظر إلى بنت الشيخ الهرم الشابة التي جاءت يوم أكمل الله الدين تسأل عن مناسك الحج وفي عينيها ماذخر ابن بُجْرة بَوجّ ،ووج وادي الطائف وابنبجرةهذا خَواجَة

به كان يبيع الخمر ... الخواجات يبيعون الخمر من قديم الزمان ... في هدىء من الليل ينظر إلى أضواء اللمبة في زجاجة الحبر التي عن شمال زجاجة الويسكي سوداً ... عند سَفْحها .. عند سَفْح الجبل البارد حيث استيقظ الفارس المسحور بعد أن قبّل عيني الفتاة المسحورة خلافاً لابن يامون صاحب التحقيق والوصف الدقيق ... جاءت بحرارة الصبا تُزْجى اليك من براءة سذاجة مودات أوائل الحياة موكباً ... وتعقدّنا فما نبالي بعد مرور الليالي ... بُدلير شديد التأمل والتعمق ذواقة مرهف جداً لعلّه كذلك ولكن كأن هذا خطبة بارعة لا شعر ... وصف الدنيا مدحاً وذماً عند ابن الحريري كأنه ليس بشعر ... وجاء بدَم كذبٍ على قميص الخراب وقذفوه في وجهي ... أي عطر تتعطرين يا سكسكة ... لماذا لا تُرَكّز على السكسكة وتدع السومية ؟ ألا تحب الكحل؟ أم هل أنت يعجبك البخل ؟ هذا الشيطان من جانبيّ يعوم من حَوْلي كالهواء الذي لا يلمس ...

إذ أنَّــني أبْتَلِــع الْهَــواء
يَمْــلأ نَــاراً رِئَــتي حمــراء
وشَهْــوة لاَ تَعْــرِف انتهــاء
والإثــم في الشّهْــوة والأخْطَــاء
وغَــادَةٍ أبْصِــرُهَــا حَسْنَــاء
تُغْــرِي ولا أقَــاوم الإغْــراء
بسَأَمِ الْعَيْشِ فُؤادِي نَــاء
والْعَيْش قَــدْ أبْصْره صَحْــراء
«وقــد أَرَتْنَا حُسْنَها ذَاتُ المسك»
«شَادِخَــةُ الغُرَّةِ غَرَّاءُ الضَّحــك»

ـ وقـد لَمَسْنَا نَهْدَها ثم الْـوَرك ـ
ـ وقـدْ وَجَدْنَا لَـذَّةً مِثْل الملك ـ
ـ لما ظَفِرنا حينَ غَابَ النّاس بك ـ

ـ متين ؟ ستذيبه ؟ متين ؟ سُوْن . زُرْنَا سُونْ .
ـ نعم يا عَنْدَلِيب ... يا عَنْدَلِيبا
سباسيبا
دا ... وَجْهُك نضير .
دا .. هَذَا الْخُبْز فطير .

دا .. يصنعون البيرة من الشعير ويضيفون اليها الجويدار يا حَشيشَة الدينار .. لا بل يا دينار ... يا دينَا ... يا رانا ... يا شَمْس دجانا ... يا إنْساناً بالترخيم السُّكُونْ مِصْرَا .. هل تحسب أن مِسْرَى التي بعد أَبِيبْ هي نفس كلمة مصر .. مِصْرايمْ ... كنت مسلمة زمان الشباب وغَطّيت رأسي بَيْنَ الأظهر والدرب الاحمر وجاء الاولاد يجرون ورائي يشاغلونني ـ كان كشف الرأس أول خطوة نحو المِينجُوب .. وكان القناع أسود وعلى الأنف قَصَبة من ذَهَب والطِّفْل على الكَتِف والْعَلَمُ المؤنث لا ينصرف ... أنا أُحبك مِثْل الثلج الّذي فوق جِبَال الألب .. أنا صغيرة السِّن وجميلة أيضاً ...

ماذا قال الأديب الافرنجي مُجرَّد رُؤْيتك من تعرفه وعِرْفَانُكه عَمَلِيّةٌ فكرية ـ هذا يعجب دكتور أحمد رحمه الله .

قالت أنا كنت من الذكيات جداً وانكسر صوتها بغنّة تغرق غادتين من بِرْكة الإوَزّين كالخنجر الذي رماه الصالح المتدي فقطع به رقبة العصفور الذي فيه روح الساحر الشرير وثناياها كلمع البدر على أمواج البحر الأحمر الهادىء والباخرة في طريقها إلى بنغال

«يــا مُشْكلا مَرْيَم جُونْ»

كثير من شخصيات القصص الافرنجية يحف بها الفراغ ومستوى المعيشة العالي ويقابل هذا هاتِ المعول ونذهب مع الرفاق إلى التضحية والصياح ولا شيء يتوسط بين فراغ ضياع الشخصية بَيْنَ الرفاق الغاضبين بلا غضب وبلا سبب وبلا ضحك هو قِلّة أدب وفراغ ضياع الشخصية في بستان حب الملوك وصباح الخير يا بستان ... تَحِبّ القِراءَةْ ؟

جاءَتْ إلَيْنَا بَعْدَ عِطْرٍ بِتَفَــلْ
وبتفَاصِيــلِ الْجَمَالِ والْجُمَلْ
وعِنْدَهَا حَلاوَةٌ من الغَزَلْ
وربّمَــا تَجُود بَعْدُ بالْقُبَلْ
وشَفَتَــاها كَالْكَرِيم والْعَسَلْ
والبَسْكَويت المُنْتقَى لا الْمُبْتَذَلْ
وهي نَؤُوم بالضُّحَى ذَاتُ كَسَــلْ
جَدلَةُ طيّ الجِسْمِ خَدْلَةُ الكَفَلْ
ومِلْءُ جَفْنَيْهَا شَبَابٌ وجَذَلْ
ونَظَرات بــاحْوِرارٍ وثَمَـــلْ
وبِحِـــوارٍ وسِرَارٍ وأَمَـــلْ
وأنت يا ذَلْفاءُ مَضْرَبُ الْمَثَــلْ

وحُورٌ عِينٌ كأمْثال اللُّؤْلؤ المَكْنون ... قال محمد بن جرير في التفسير إن المشركين قالوا هذا شِعْر الله وإلى هذا المعنى قَصد الأعمى الماكر حيث زَعَم أن الشّعْر قُرآن إبليس والعبارة نابية وعسى بها أن تَسْحَبه الزبانية ... وابْنة الشاطىء تَقُول هو شَاعِري وتتحامل على أبي الطيب وهي أديبة العصر

بلا جدال وعلّه يشفع له عندها قوله :

«قَطَعْتُ بها البَيْداءَ حتى تغَمّرت من النّيل واستَدْرَتْ بظلّ المُقطم»

ولها شعر حسن ولا أحسبها تأثرت فيه بأبي العلاء ... ويشفع له عندها أيضاً وهي تتعصب لجنسها كأكثر أُولات الفِكْر أنه مَدَح النِّساء صادقاً وذلك قوله

« وما التّأنيثُ لاسْم الشّمْس عَيب وما التّذْكير فَخْرٌ للهـلال »

وقوله :

«وإن تَكُنْ خُلقتْ أُنْثَى لَقَدْ خُلِقتْ كريمةً غَيْرَ أُنْثَى العقلِ والْحسبِ»

وقوله :

« ومنْ هَوى كُلِّ منْ لَيستْ مموهَةً تَركْتُ لَوْنَ مَشيبي غَيرَ مخضوب »

فنسب منهن إلى الصِّدق كما ترى

وأن أبا العلاء هجاهن بين صِدْق وكذب ... أم ترحم له من أجل هذا فتقدمه بذلك على من هو منه أفضل وأقوى أسْرَ مَتْنٍ وأجزل وأرقُّ وأحكم وأفْخَر وأهْجى وأغزل .. بهؤلاء يتقدم الخنذيذُ المُفْلِقَ والمفْلِقُ الشاعِرَ والشاعِرُ الشويعِرَ والشويعِرُ الشُّعْرُورَ وذلك أيُّ شَيءٍ بين جبران وحافظ إبراهيم .

« ولقد شَرِبْتُ ثَمانياً وثَمانيـاً وثمان عَشْرة واثْنَتَيْن وأَرْبعا
بالجُلّنار وطَيِّـبٍ أَرْدانُـه بالَونٌ يَضْرِب لي يَهُزُّ الإصبعا »

هل أكلت الضفدع ...

قالوا يأكلون فخذيه وهو أطيب من الدَّجاج . وكثير من الدجاج لحمه خيوط لشدة كدحه في قرى شَطَف النيل العَنَجي ودجاج أوروبا الذي يعطى الهرمونات في أمريكا قد نَفِدَ طعمه وقالوا له عكس تأثير القِرْش على بعض

الرجال لأنّ الهرمونات التي يحقنونها به تزيد السمن من طريق زيادة عنصر التأنيث لأن النساء فيهن شحْم أكثر من الرجال ويقول الأطبة إن الشحم يسبب زيادة ضغط الدم والسكتة وأخواتها ؛ وأعمارُ النساء وهُنّ أشحم أطولُ من أعمار الرجال ؛ والعامة تقول إن الشحم صِحّة وبَعْض العامة أصْدق وأدق من بعض الأطباء ، وقالوا شجر الهجليج ولالوبه من أنجع ما تُقَاوم به البلهارسيا ولأن فيه شَوْكاً كثيراً وهو شَجَرٌ مسلم وَجَد عَدَاوةً من المُخَطِّطين الإفرنج والبرجوازيين والتقدميين وغير التقدميين فاستأصلوه واستأصلوا معه سُبَح اللالوب الألفية التي كان بها الأولياء يُرَوِّبون الماء ويقتلون البلهارسياء . ودجاج نيجريا يأكل « النِّيَدا » أي الفول المنثور من بقايا الحصاد في الحقول وبقايا الدخن والذرة واللوبياء فهو ذو طعم حسن كالفراخ التي بريف مصر قبل أن يستوردوا إليها لحم الصين والمَاصِين حَظُّكَ مَتِينْ إنَّ كِتابَ الفُجّارِ لفي سِجّين يس يس يس حم حم حضر ... سَلامٌ ... طيبُونْ ... آئبون تائبون .. لله دَرُّ حسان رضي الله عنْه إذ يقول

« فلا يبعدنَّ اللهُ قَتْلَى تتابعوا — بمُؤْتَةَ منهم ذوالجناحَيْنِ جَعْفَرُ
وكُنّا نَرى في جَعْفر من مُحَمّدٍ — وفاءً وأمْراً حَازِماً حِينَ يَأمر »

فقد رشّحه للخلافة كما ترى وكأنما نظر إلى شيء من مقْتل حُسين

« فما زَالَ في الإسلام من آل هاشمٍ — دَعائِمُ عِزٍّ لا يَزُلْن ومَفْخَرُ
هُمو جَبَلُ الإسلام والنّاس حولهم — رُضَامٌ إلى طَوْدٍ يَرُوق ويَقْهَرُ »

أحسن ما شاء وكذلك الطّود الركين يَروق ويَقْهر

« بهاليلُ منهم جَعْفَرٌ وابْنُ أُمّه — عليٌّ ومنهم أحْمَد المُتَخَيّر
هم أوْلياء الله أنْزَل حُكْمَه — إلَيْهم وفيهم ذا الكِتابِ المُطهر »

هذا قبل الكميت وذا الكتاب قبل أبي الطيب وسُبْحان الله وبحَمْده

سبحان الله العظيم . قال له ابن الكواء هَلْ كنت تُسَبِّح ليلة الهرير بصفين .
وتقُول هذه صِفُّون يا فتى ... انتفخ الحِمار كأنه رِمّة ألقيت في النّهر ...
وتملوا بنو الكلب حتى صاروا خنازير كلّ ذلك بنصف زجاجة من الفودكا ..
قال ثمنها ثلاثة روبلات فإذا كان عندك روبل واحد وقفت أمام الحان فانضاف
إليك روبل ثانٍ ورفعتما إصبعيكما كمن يريد أن يستوقف سيارة بالطريق
العام لينضاف إليكما ثالث فتتم زجاجة أو تحتجزان بالقوة كلّ الكمية التي
خارج سلطة الجمارك المعروضة للمسافرين ويدخل بها في قاعة الجمرك أحدكم
بقوة عشرين أو ثلاثين ويكتفي المسافرون لأنهم مسلمون والدُّنيا رمضان
بالسجّائر والروائح العطرية جيدة جيدة خالص خالص كل شيء خُلُص
بضم الخاء واللام كما يقول الدُّخلاء فيما بين الداخلة وكربلاء ..

ـ سَمِيح ـ أيوه ـ حاضر

« سِمْبريّه يامْ قَدُّوم »

« عيش أبوي مِتين يقُوم »

« بَاكِرْ »

« مَع العَساكِرْ »

والقدوم بلا تشديد الدال في اللغة الفصيحة ضرب من الفؤس يَنْجُر به النجار ويستعمل فيحسن استعماله مع خشب السنط لأنه خشب صلب لا يؤثر فيه ما عند النّجارين الآن من فارات الموبيليا الأفرنجية ، خشب الموسكي لنصنع به العناقريب .. قال الشيخ بابكر بدري رحمه الله في كتاب المطالعة القديم الذي كان مستعملا بالمدرسة الأولية الدلكة والعنقريب ... فهذا كان أول خطوة نحو الفولكلور ... قال فيكتور هيغو وأصحاب الكفاءات همو الضعفاء يا فتى ... هيدْبُوكْر .. هو هابيل الذي قتله قابيل الذي قابيل ...

تسقط إسرائيل ... عهدك بالشيوعيين عام ١٩٤٨ يقولون إن إعطاء فلسطين لليهود خطوة تقدمية لأن العرب إقطاع متأخرون قد زرع اليهود التغف وهو دودة تهلك ياجوج وماجوج فإذا هيَ شاخِصَةٌ أبْصار الّذِين كفروا ... البِتْ دي عيونها كُبَار ... قِفْ زَنهار

« يا مَطارِقْ يا عصي »
« مُحمَّد أخُوْي مِتين يَجي »
« مَطراً بَعَدَ النْعِصي قِسي »

مطراً بالنصب أي اذكر مطراً والوجه الرفع ولكن أهل السودان متى نونوا أرادوا التأكيد فنصبوا على معنى المفعول المطلق المؤكد لفعله والحال المؤكدة وكل شيء منصوب جار هذا المجرى أتميميّاً مرة وبَكْرِيّاً أخرى أي أتَمَّمُ تَمِيمِيّاً فكأنها مفعول مطلق يا سيدنا سين ... « فعاش القَسيل » — أي صغار النخل — « وأوْدى الرِّجُل »

ونظرت إليه يقص قصته انهزامة ذلك البطل وهي في عنفوان زهرة الحياة الدنيا .. مثلما كانت دزدمونه تستمع لاوثيلو ... لابوهيم ... واغرورقت عيناها بدمع .. كان العمر في الريعان ولا ينفذ الخاطر من وراء الغيوب ... مرُّ الأيام سريع ... أمس فقط كنا طِفْلاً ... ومن قبل كان غَزَلٌ بين الوالدين .. ومن قبل .. ومن قبل .. قصة التناسل التي تُخْدع بها ضروب الذّر والحيوان إلى سراب الحبّ ... أين ماؤه أين حقيقته أين بهاؤه .... أمس لما تغشاك قلق الشّوق اخضرَّ عُودك بخضرة أول الريعان .. وما هذه الحبة التي علي خدك يا سكاسك ونهداك أحس فيهما حيوية وهما جَلْدان .. بديع السماوات والأرض

ألا يا حبّذا ممكورة النْجِسْمِ من الصّحه

وقد فات شَبابي وعلى حُسْنك يا أحّه

وقرأ لك الشاب شعره الجديد عن القضية التي لا تبيد امرأة ولقاء وفرار من المسؤولية ورقّ عمر فأمر بستر فضيحة الفتاة التي رامت أن تنتحر ، قيل اسمها نُبَيْشَة فتهددهم ان ذكروا شيئاً من ذلك فستروها وتزوجت وكان الله غفوراً رحيماً ، ذلك عمر بن الخطاب . قالوا عُرِفَ الحزن في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لمقتل جعفر ذي الجناحين ... هذه هي الذخيرة لا قُطن الجزيرة ... ما أضأله من وافد قوم وأسْمَج الحقيرة ... وكنا لك جيرة أيام الدميرة والدموع بعد غزيرة وليت المرء يعرف مصيره ... هذه السجعة غير متقنة لأن الهاء ليست من أصل الكلمة ... أفسدتكم المدارس والعنابر والطعام الذي يعطى لا برحمة قلب ... هأنذا البرُّ المعاصر ... هل تغيّر أيما وضع من أوضاع الاستعمار ... هذا بلد النوبــة ... قالوا هم جنس مــن السودان قال يــاقوت عندهم الكرم والقمــح والخيــل والحمير والحمير البراذين قال ابن خلدون ومنهم عبيد قيل هم عبيد البَقَطِ وهي معاهدة أو تحريف معاهدة والبَقَط والقِبْط متقاربان وراكبُ الناقة طليحان ، قال النحويون أي راكب الناقة والناقة طليحان أي مُتْعبان فكرهوا التكرار فيه كأن المبتدأ والخبر غير متطابقين وليس الأمر كذلك واصبر وما صَبْرك إلا بالله ... قال لماذا دائماً ينتصر الشر . . جَر . . . لفظة لزجر الكلب الذي ليس له قلب . . . سُبْحان الله لقد هنّا على الله . . . قال فيكتور هيغو رضي الله عنه : « إن الله لا يغفر أن يُشْرَك بــه ويَغْفِر ما دُونَ ذلك لمــن يشاء — وعسى هوغو أن يكون من هؤلاء » : يَحْسب الاصلاح الزراعي والشيوعية أن سيقدران على حسن توزيع الثروة بين الناس فقد أخطأا يا هناة إذ حسن توزيعهما الذي يزعمان يقتل الإنتاج إذ المشاركــة بالسوية بين اللامتساوين (هذا مراده بلا ريب) تطيح بالتنافس وذلك يذهب بالعمل

« ويغري المرء بالكسل » كما قال الطغرائي رضي الله عنه أيضاً ... وعنك أنت يا هناة ... تأملي كيف أتذكرك في هذه الوحدة عند الكتاب يا أحب الأحباب.. الروح التي تبقى بعد فناء عَجْبِ الذّنب الذي ذكرت بقاءه الأحاديث الصحاح قال في الجوهرة :

عَجْبُ الذّنَبْ كالرُّوح لكن صَحّحا   المُزَنــيُّ لِلْبِـلى وَوَضّحــا

الحديث عندنا أصح من تَجْربة المزني ... لا رأي للعاقل النّظر في هذه الحلول المزعومة . التطويح بالغنى ليس بحسن تَوْزيع له ... ولا بالحَسَنِ فهاتيه نثمل به إن عطاءكه لنا ذخر ولسنا نكرر كلام أندرو مارفيل ولا شكسبير ولا يوحنا بن دونائيل ولا عباس بن محمود بن عقاد يا عنترة بن شداد ... البومة لص شديد الشوكة بلا جند ... وعندنا عتاد ... ألْمعي لنا بثَوْب ... « كلَمْع اليَديْنِ في حَبِيٍّ مُكَلّل » – البرجوازيون همو المكتفون – قال هوغو – ولعله كان أصاب لو أضاف – هم الطامعون والخائفون على ما هم به مكتفون وفيه طامعون إنهم لحقيرون ... ويصيحون ليغتنوا ويكتفوا فقد صارت الصَّيْحة هي البقرة التي ذبح بنو إسرائيل غير صفراء ولا تسر الناظرين ما عهدت أبوخ وأتفه . وعانَدَت بالغباء . وجاء الناس وحملوا لواء ... وجاءت بِنْتُ بر ، قالوا أرادت الغارة على الشَيخ أحمد البدوي فامْتَنع من صَولتها بالسر العظيم.. وجاء كُلّ غر ..

والتي أشْبَهَتْ فَرْعاءُ جَيْداءُ رَدَاحٌ هِرْكَوْلَةٌ هَيْدكُر

هذا في أزبكستان ... وتألب بَنو الخطايا واشرأبت الْعَظَايا

« النو. غـَـايَــا   وفــاق السّمايــا

. ج ــزوْرْ خَــاتم انْبيــايـــا »

هل من جديـ . « فكشفنا عنك غطاءكَ فبَصرُكَ اليَوْم حَديد » ...

تعالي دعي الطقوس ... هلمّ نبوس ... البومة لصٌّ شديد الشوكة لا جند له ... ليس في العرب أصقر من الحجاج ... لو عاش جعفر لم يكن يوم السقيفة وكذلك لو عاش حمزة ... لقد فطن ابن أبي الحديد إلى رِقّة علي ودقّة حسه والفن أصيل ... يا أصيل .

هذا نهر النيل أحمر عليه تيار الهواء وغبار آخر الخريف — والغبار به يصفو كصفاء انهدال شجرة السنط . واضطرب الإمام بين حفص وأبي عمرو وقرأ الطارق بعد الغاشية والرُّوَيْدُ قأل ... هل ذلك أمد يطول .. « رُوَيْدَ عَلَيّاً جُدَّ ما ثَدْيِ أُمِّهم » — أي أَمْهِل عَلِيّاً قَطعَ الله ثَدْي أمهم أو قد انْقَطَع ثَدْيُ أُمِّهم إلَيْنَا — أي قطعوا أرحامنا أو دعا عليهم بقطع الارحام — قال تعالى « واتّقوا اللهَ الّذي تَساءلُون بـه والأرحام » — « ولكن ودُّهم مُتمائن » أي قد طال العهد به .

« وإني عَلى أن قد تجشّمتُ هَجرهَا لما كتَمتْني أم سَكْنٍ لضامن »

جدّاً جدا ... هذا شِعْر هُذيل

« يا ليل يا ليل يا ليـــل »

رحم الله مصطفى صادق الرافعي ... لا زال في النفس شيء من سيد قطب رحمة الله عليه لتحامله عليه في الكلمات التي كتب بالرسالة ينافح عن العقاد واذكروا محاسن موتاكم .. كل الناس يا أخية يظنونك فظة عاتية وأنت هشة بَشّة مِشّة ... مُشْ ؟ « نِس با » كما يقول الفرنسيون ؟.. سكرة ومشة واحدة المش بكسر الميم وتشديد الشين ، ضرب من اللبن الرائب يصنعه أولاد الريف ... « السِّكُونْ مِصْرا » ... فيه الفلفل والشطة ومخلخل الليمون ... هذا المش مع أربعين قطعة جبن من عنزي الواحدة والله حيّ والله حيّ ... أخذنا الطريق من شيخنا عبد الله الأزرق ... عنزي في دمقلة مع البراذين التي

عند ياقوت وفي عيشهم شدة .. أنا صوتي ضعيف مثل المرأة ولكني قوي وعندي سلطة إلى الحاكم العام نفسه والسكرتير الاداري منحرف ، أعني ، عنكم ، مثلي ... قرقر قرقر ... ردّوني إلى أهلي غَيْرى نَغِرة أي تغلي كما يَغْلي المرجل ... تجربة في التعليم يا حفيظ يا رحيم .. أنا أترجم لكم رسائل القاضي الفاضل في دار الثقافة .

«عبّاس لَيْتَكَ سِرْبالٌ على جسدي   أو لَيتَني كُنت سِرْبالاً لعبّاس »

لو سميت امرأة سربال يا هذا لصغرتها سُرَيبال أهكذا قال سين يعني سيبويه ... سقطت دَمْعة أخيه على خده هكذا قال الخطيب ... وشدّ مــا أصغى إليك المأخوذ فؤاده بك ... والجِحِنْبار والجِعِنْبار والفِرْنداد كل هذا عربي جيد .

« تَنْفِـي الطوارِفَ عنه دِعْصتا بقرٍ   ويافع من فِرِنْدِادَيْنِ ملموم »

هذا تقليد علقمة ، أجود من تقليد الألمان الأبسطةَ العجمية يَحْسُبون العقدات في البوصة المربعة أو غير المربعة بكبرياء الروم . تمد عير ندق ... غطّي رأسك وما تَكَفْشي (أي تكشفي) مِثْلَ الخدم (أي الإماء)

— انني ماني كَافْشة ، أنا نافشة ، وعندي باروكه ... يـَا بَرَكَةْ

— أنا ما عندي بَاروكة ...

« الشّايـــب   دا   الله بيــني وبينه »
« تَطيـْر الإبـْـرَهْ   وتَقـِدّ له عينـُـو »
الشّــايـــبْ   دا   رَسّلته للبَارُوكَة»

— لأ ... البَازوكة بالزّايْ

— عاين حَوْلَ عنقي ... بُسْتي

هكذا يتعلمون السّفاهة من السينما ... يا أليس فاي . يا جُودي غَارْلند يا جنفر جونز ، يا انغريد برغمان ... يا يوسف وهبه ... دعوني أشرح لكم

يا متأخرين ... تحبُّون القراءة .. الغراءة بالغين ويكتبون القاف المقاربة للكاف مثل غرناطة بالغين هكذا يفعلون بالحرف العجمي ببلد هوسا مثل غُسَوْ حيث معلم جنيد ... كان عكاشة رحمه الله بأم درمان سجاعاً في عقله شيء من اختلال، فكلما رآك قال تحبون القراءة وجعل يحاول يقرأ ويسجع .. كان أحدهم يحتج على غلاء سعر الطعمية ، قال عكاشة رحمه الله — نحن فَطَرْنا كمونية ... تعال نقرأ « ذافوديل » — هذا هو المفرد والجمع دافُودِيلُون يا هذا أو دافُودِيليم إذا احتلت اسرائيل مزيداً من بلاد العرب ، صوصيم حلالْ ، لشكسبير في الزَّوبعة على الأرجح والنسيان لا يستبعد ولورد ثورث .

قَلْبِي سروراً يَمْتَلِي ويُغَنِّي مع الدَّفْدِلِ

هذه محاولة تقريب وزنه مثل الذي ترجمت العرب عن ارسطوطاليس وعن افلاطون .

«عِنْدِي لكِ الزَّهْرُ الذي لا يَذْبلُ والقُبْلَةُ الحرَّى التي تُتَقَبَّلُ
ولقد أُصارِحُكَ الصَّراحةَ كُلَّها يا حبيبتي ولربُّما أتغزَّلُ
ولرُبَّما أَسْتَافُ شَعْرَكِ خِلْسَةً ولربَّما بكِ في الدُّجَى أتسربلُ»

لانك نور يا بنُّور يا وَزّ يا دودة القزّ يا جميلة يا أصيلة يا برتكان يا ملكة الجمال هذا العام في اليابان ، وهي واق الواق وأنت بدور بنت الملك الغيور صاحب سبع الجزائر وسبعة البحور متى فررت من الحور ... مسكين ابن كثير ثار على الحديث الشريف لأن أكثر أهل النار نساء ... لأنهن صاحبات نار العشق ... رُدُّوني إلى أهلي غَيْرى نَغِرة لأن زوجي زنى خادمي لو صدقت رجمناه ولو كذبت حددناك يا غيرى نَغِرة ... تعال نستحيل الحِرَّ والحرير ونكون قردة وخنازير ... تحب القراءة ... أنا تجاوبت مع قبلته بدفء من شفتي لأني سمعت النغمة ... تعال نقرأ د . هـ . لورنس ومَدار السرطان ونَقيف فوق السد العالي بعد أن قذفت انطونوف الشرّار . . . دا . . . « ستيودينانتي » .. ياء الحسَبَ والنسب ... وكلاهما شيء غير اشتراكي .. « إن

الله لا يغفر أن يُشرك به » واحذرْ هذه المادة . ومن يُسلم وجهه إلى الله وهو محسن – إن الله يأمر بالعدل والإحسان – هذه هي العروة الوثقى .

« وكم زارَ باريساً ولندرةً ومـــا بحجَّ لبيتِ الله أو طيبة الغرا »

وبكت الجارية وولولت وريع الشيخ الأظهري ، هذا نصنعه في بلدالسودان فحسنٌ جميل .. يجوز مجيء الفاء هكذا ، قال سين ، « ذلك الذي يخوف الله عباده يا عباد فاتقون » .. يا فلسطين فحظك متين ... نفعك علمه مفكر ... انا أحترمك وأعجبني منظر هذا اللون عليك ، هو خير من هذا اللون الآخر . لا بد من الذهاب الآن ... ليتني أبقى معك إلى الأبد ... إلى أن يفرق بيننا حمام الموت ... هذه الحياة قصيرة فلماذا نراقب أعين الناس ولا نعطي الحرية الكاملة لهذه الأنفاس ... إيش اون ، رحم الله الدكتور زكي مبارك وليلى المريضة بالعراق .

انت وديعة وساخنة القلب ومع هذا فيك نوع من برود ... يا سمك يا سمك هل أنت على العهد . ولله الأمر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ... سورة الروم :

يـــا نُزْهة الدُّنيا ويا قمرَ السما وَسَطَ الدُّجنة في طريقِ الكادح
ان التخوف من مقالة قائـــلٍ لا شيءَ يُوسيني إليك وسامحي
والجيدُ منك أحيـــه والخدُّ كالـ ـمصباح والعينانِ بحرُ السابح
ولأنتِ أجمل من رأيتُ وحلوةٌ عند الفكاهةِ والحديثِ الصالحِ
والعشقُ لم تحتل إليه بحيلةٍ منا ولكن من عطاء المانحِ

سبحانه وتعالى علواً كبيراً

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

خاتمة

أهدت إليك هدية رمان — إن المليحة قلبها حنان
ان المليحة روضة أنف لنا — عذراء ثم شبابها ريعان
ذخرت صباها لانتظارك وصلها — إن القوى ليلقا الحبيب تصان
إني سأشكرها وقرط أذنها — مدحي لها إني لها فنان
لو أن أنثى بالجمال نبوة — تعطى لكان لها به تبيان
نظرت إليك بمقلتين كأنما — خجلت ولكن قلبها جذلان
وكأن شيفون الحرير بجسمها — فانظر إليه أيها الإنسان
وكأنها كأس يفوح أريجها — وبها فؤادك يا فتى نشوان
أحسست وخدك في الدجنة حبها — يهوى به في الجوف منك مكان
ان المليحة قد فتنت بحسنها — إن المليحة حسنها فتان
ان المليحة قد أحبتني كما — أحببتها لا يمكن السلوان
بوحي كما قد بحت لا تتمنعي — فالبوح في شرع الهوى إحصان
بعد الذي قد كان منا فاعلمي — وهو المدى لا يصلح الكتمان

والحمد لله وبه التوفيق والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

عبد الله الطيب

جدول الخطأ والصواب

الخطأ	ص	س	الصواب
قراءة	٧	١٢	قراءتــه
البرتغال	٨	١٠	البرتغال
Figer	٣٠	٦	Tiger
كرنبيتة مما	٣٤	٥	كرنبيتة والكرنبيت مما
وقبل	٣٤	١٣	وقلْ
اشتهروا	٣٦	٢١	اشتهرا
ن	٤٧	١٢	من
دَخْنَتُوس	٤٨	١	دَخْنَتُوس
بئر	٤٩	١٥	وبئر
الأردنّ	٥٠	٣	القدس
بعد أت	٥١	١٩	بعد أن
هو	٥٣	٦	هــدَّ
كان عليها	٥٣	١٧	كان عليه
ذلك فغضب	٥٤	١٩	ذلك لك فغضب
مريم — وعيسى	٥٥	٦	مريم — وَعَتّى
خيلها	٥٨	١٤	حبلها
بَرْنَحُ	٥٨	١٦	بَرْنَحُ
كتابة	٥٩	١٦	كنابةٌ
وهو	٥٩	١٢	هو
المثان	٥٩	١٤	المثان
جبين	٥٩	١٥	جيفُ

الخطأ	ص	س	الصواب
دبيب	٥٩	١٩	دبيب
كذراعيْ	٥٩	٢٢	كذراعَيْ
يَسْتَغْنِي	٦٠	٥	يُسْتَغْنَى
تُزْرَعْ	٦١	٤	تُزْرَعْ
خَنْدَرِيسْ	٦٦	٤	خَنْدَرِيس
جياد	٧٠	٨	جياداً
وَتَخْشِيْ	٧١	٣	وَتَخْشِيْ
طالْ	٧٢	٧	طالْ
وارتوس	٧٢	١٣	وأتوس
Shapp	٧٣	١١	Shape
وتاليف	٧٤	٢	وتآليف
قزهر	٧٤	٨	مِزْهَرُ
بعطام	٧٥	١٧	بحطام
بن عورة	٧٨	٢٣	بن عروة
الدار السودانية	٨٣	١١	دار المعارف
وفادة	٨٩	٢٣	وفاة
الغسيل	٨٩	٢٣	القسيل
لابوهم	٩٠	١	لابوهيم
بامبيو	٩٤	١٣	بامبو
وخيرات	٩٦	١٩	وخيران
كانوا لا ينجحون	١٠٢	١٤	كانوا ينجحون
أن يغنى	١١٦	١٩	أن يُغْنِيَ
فانْدَعَرَ	١١٨	٩	فابْذَعَرَّ
ويعجز عن	١٢٠	١٣	ويعجز التشريع عن

الخطأ	ص	س	الصواب
بنُوح	١٢٣	١٥	نَبُوحُ
وغُوَا	١٢٦	٧	وغَوَا
عالماً قوي الباع حبراً في	١٢٧	٩	عالماً حبراً قوي الباع في
حبيبا	١٣١	٨	حَبِيباً
ذاتِ	١٣٤	٦	ذاتُ
منح	١٧١	١٤	منع
الثر	١٧٢	١٦	الشر
أرقَ	١٨٥	٣	أَرْقَ
مرْقيَة	١٨٥	١٠	مَرْقَبَة
وطموح الأمعاء	١٩٠	١٨	وطموح يحرق الأمعاء
Jeny	١٩٢	١	Jenny
وَلْبَسْك ثم زيدَ	١٩٥	٢٣	وَلْبَسْكَ ثَمَّ زَيْدٌ
يغدو	١٩٩	٨	يغذو
يا لبخت	٢٠٠	١٦	يا للبخت
ماجوج	٢٠١	٤	وماجوج
كيف كيف	٢٠١	١٨	كيف يكون
كالنّمِر	٢٠٦	٢٣	كالنَّمِر
بيرا	٢١٦	١٠	بيبيرا
سَتَجِنحاء	٢١٢	١٤	سَجْحاء
بالدَّزْدَق	٢١٤	٩	وبالدَّزْدَق
منـ ل	٢١٥	٨	مَنْزِلَ
كدنداش	٢٢١	١	كَرَنْداش
السوداني	٢٢٢	٥	السودان

الخطأ	ص	س	الصواب
المذّ مِنْ	٢٢٢	٢٢	المَكّ مِنْ
يَشْحى	٢٢٩	١٩	يُشْجِي
Renight	٢٣٠	٢٠	Knight
جولير	٢٣٥	٢١	جويس
أجبت	٢٤٠	٥	أحْبَبْتَ
شُحُب	٢٦٢	٢٠	شُحُوب
تَنبِر	٢٦٣	١٨	تَنْبِرُ
دمه	٢٦٥	١	دمٍ
صمحن	٢٦٨	١٩	صَبْحَنَ
تَشْتَهِي	٢٦٧	٤	تشتهى
حيّْ نِصفُ	٢٦٩	١٤	حيٌّ إني نِصْفُ
ونزهتَها	٢٧٠	٩	وزَهَتَها
الحُسْنِ حَبَتْها	٢٧٠	٢١	يَدُ الحُسْنِ حَبَتْها
ابوساه	٢٧٥	[illegible]	أبوسا
أكل	٢٧٦	١٤	آكِلٌ
سوداً	٢٧٩	٣	سوداء
يا إنساناً	٢٨٠	١٠	يا إنسانا
هيدْبُوكَر	٢٨٤	٢٢	ميدْيُوكَر
الذي قابيل	٢٨٤	٢٢	الذي هو قابيل